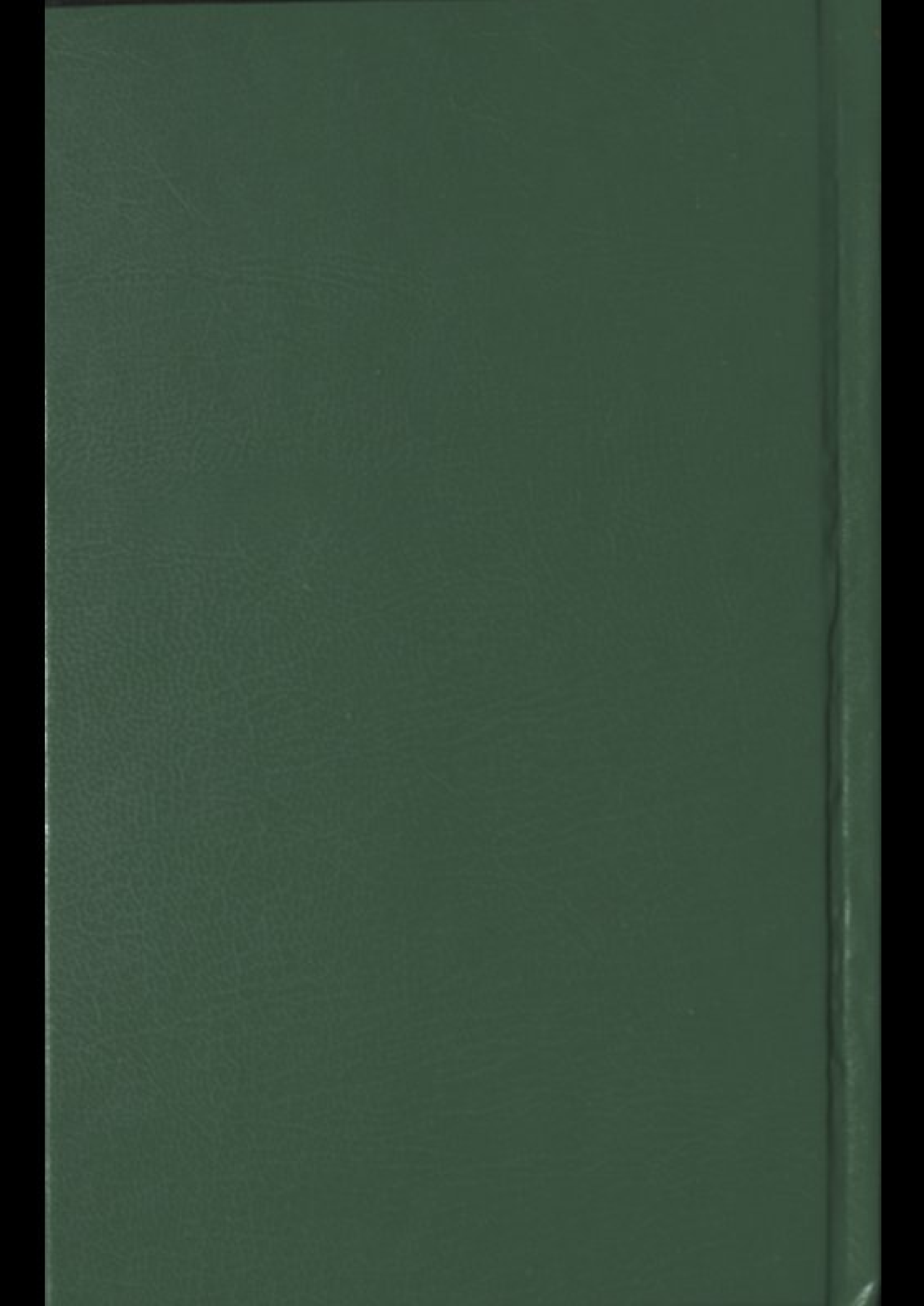


فهرست تحفة الانام

صحيفه



كتاب

تحفة الانام
مختصر تاريخ الاسلام

تأليف

علامة المعقول والمنقول ودراكة الفروع والاصول
المحدث الثبت الذي تنضى اليه ركاب الطلب
والمفتي النقاب الذي ينسل اليه من كل حدب
مولانا صاحب الفضيلة الشيخ
عبد الباسط افندي
فاخوري
مفتي مدينة بيروت حالاً حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الملك رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وامام المتقين الذي جاء بالحق المبين، المبعوث رحمة للعالمين، ورسولاً للناس اجمعين ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا الفتوحات واقاموا قواعد الدين ، اما بعد فيقول الفقير الى رحمة مولاه الغني ، عبد الباسط بن علي، هذا مختصر في تاريخ الاسلام والمسلمين سميته (تحفة الانام مختصر تاريخ الاسلام) ورتبته على مقدمة واربعة ابواب وعلى الله سبحانه وتعالى الاتكال ومنه حسن الختام

﴿ المقدمة ﴾

اعلم ان العرب ثلاثة اقسام بائدة وعاربة ومستعربة فالبائدة لم يبق منهم باقية وهم قوم عاد الاولى بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح عليه السلام . منهم نبي الله هود بن عبد الله بن رباح

ابن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم عليه السلام · ومنهم قوم
ثمود وجديس ولدي كاثر بن ارم ومن ثمود نبيُّ الله صالح بن
عبيل بن كاثر بن ثمود بن كاثر بن ارم عليه السلام · ومنهم
طسم وعملاق ولدي لاوذ بن سام منهم العماليق والكنعانيون
وملوك مصر الفراعنة

والعاربة هم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن
سام منهم بنو جرهم بن قحطان الذين سكنوا مكة والحجاز وتزوج
اسماعيل بن ابراهيم منهم · ومنهم بنو يعرب بن قحطان · منهم بنو حمير
والتبابعة ملوك اليمن · ومنهم اهل المدينة الاوس والخزرج وهم الانصار

واما العرب المستعربة فهم من ذرية اسماعيل بن ابراهيم
الخليل عليهما السلام كما ان بني اسرائيل من ذرية يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم عليهم السلام · ومن ذرية اسماعيل عدنان بن
أدّ وهو الجد الأعلى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذريته
مضر واياد وربيعة وانمار اولاد نزار بن معد بن عدنان · ومن
ذرية مضر هوازن منهم بنو سعد بن بكر منهم حليمة السعدية
مرضعة النبيّ صلى الله عليه وسلم · ومن ذرية مضر قريش وهو
فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
الياس بن مضر منهم عبد مناف وعبد الدار بنو شيبة منهم اصحاب

السدانة . وولد لعبد مناف اربعة اولاد هاشم والمطلب وعبد شمس وعبد نوفل فمن عبد شمس بنو امية منهم عثمان بن عفان ومعاوية بن ابي سفيان ومروان بن الحكم ومن نوفل النوفليون ومن المطلب المطلبيون منهم الامام الشافعي محمد بن ادريس القرشي . وولد لهاشم عبد المطلب سيد العرب ورئيس مكة . وولد لعبد المطلب عشرة اولاد منهم عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة والعباس جد الخلفاء العباسيين

ثم ان العرب كانوا في الاصل موحدين يتعبدون بشريعة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وعنه اخذوا الدين الحنيفي ومناسك الحج وحدود الحرم وتحريم الاشهر الحرم والغسل من الجنابة والختان والاستنجاء الى غير ذلك الى ان استولت بنو خزاعة بعد جرهم وملكوا مكة وسدانة البيت وظهر منهم عمرو بن لحي بن حارثة من نسل كهلان بن سبأ فاستجلب لاهل مكة الاصنام من البلاد الشامية وحسّن لاهل مكة والعرب تعظيمها وعبادتها وهو الذي بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام فتوالدوا واعتادوا على ذلك خلفا عن سلف حتى اخذ السدانة منهم قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم الأعلى

وقد وجد في العرب ارهاصا للنبوة افراد من عقلائهم متبصرون

ينكرون عبادة الاصنام ويقبحون افعال الجاهلية وما كانوا عليه
منهم قس بن ساعدة الايادي حكيم العرب وخطيبها مات قبل
البعثة وكان من المعمرين ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل ابو سعيد
ابن زيد احد العشرة وعم عمر بن الخطاب رضى الله عنه اجتمع
بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ومات بدمشق · ومنهم امية
ابن ابي الصلت الثقفي الشاعر ادرك البعثة ولم يسلم لانه تامل ان
تكون النبوة فيه · ومنهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى
ابن قصي ابن عم خديجة بنت خويلد اجتمع بالنبي صلى الله عليه
وسلم بعد نزوله من جبل حراء اول نزول الوحي عليه صلى الله
عليه وسلم فصدقه وثبته وبشره بان هذا الناموس الذي ينزل
على الانبياء مات في زمن فترة الوحي ومنهم بحيرة الراهب كان
مؤمناً بدين المسيح عليه السلام ومتعبداً على شريعته اجتمع به
النبيّ صلى الله عليه وسلم لما سافر مع عمه ابي طالب الى الشام

ثم ان اهل الفترة انقسمت من العرب الجاهلية الى ثلاثة
اقسام : قسم منهم ناجون وهم المتبصرون كقس بن ساعدة وامثاله
منهم تبّع وقسم منهم غير ناجين وهم مشركون وهم الذين بدلوا
شريعة اسماعيل ومنهم من اشرك وعظم الاصنام وحلل وحرم
كعمرو بن لحي ومن تابعه وهم الاكثر من اهل الفترة وقسم منهم

لم يحدثوا شركا ولا وحدوا الله تعالى ولا دخلوا في شريعة نبيّ من
الانبياء بل كانوا على غفلة من هذا فهولاء قد اختلفت اقوال
العلماء فيهم هل هم معذبون او ناجون فعند الاكثرين من الماتريدية
وغيرهم انهم معذبون لانهم مكلفون بالعقل وعند الاكثر من
الاشعرية انهم ناجون لقوله تعالى وما كنا معذّبين حتى نبعث
رسولا والله اعلم · واما بلاد العرب فهي قطعة كبيرة من اسيا الكبرى
شبه جزيرة كبيرة متصلة من جهة الشرق يحدها جنوباً بحر المحيط
الهندي بحر عمان وشمالاً بلاد سوريا وغرباً البحر الاحمر وشرقاً نهر
البصرة والعراق

نبذة في التاريخ

التاريخ لغةً الوقت مطلقاً يقال ارّخت الكتاب تاريخاً اذا
بينت وقت كتابته · واصطلاحا علم بمعرفة احوال الامم الماضية
ورسوم عاداتهم واوقاتهم · وموضوعه احوال الاشخاص الماضية من
الانبياء والملوك والحكماء والعلماء وغيرهم وفائدته الاعتبار والتبصر
باحوالهم للحصول على ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن
ليحترز العاقل من المضار ويستجلب ما فيه نفعه · ثم ان المؤرخين
من المتقدمين قبل الاسلام والمتأخرين قد اختلفوا اختلافا
كثيرا بما يتعلق بمعرفة بدأ الخلق وهبوط آدم عليه السلام

لتقادم الزمن والقرون الماضية وقد كان لكل امة ودولة من الماضين
قبل التوراة تاريخ مخصوص لهم ولا يعلم تاريخ بدا الخلق وهبوط
آدم الا من التوراة وهي مختلفة اختلافا متباينا لا يعتمد عليه ولم
يرد لنا نص صحيح يستند عليه وقد قال الله تعالى « الم ياتكم نبأ
الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله » وانما اعتماد المؤرخين على التوراة اليونانية المعروفة بالسبعينية
التي ترجمت في زمن بطليموس اليوناني المسمى عند اليهود ثلماي
اليوناني الثالث بعد الاسكندر وهو الذي فك اسارى اليهود
وارجعهم الى بيت المقدس فعليه نقول كان ابتداء ظهور نور
الاسلام ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمضي خمسمائة وتسع
وسبعين سنة من رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ·
وبين عيسى ووفاة موسى عليهما السلام الف وسبعمائة سنة وست
عشرة سنة · وبين موسى وابراهيم الخليل عليهما السلام خمسمائة
وخمس واربعون سنة · وبين ابراهيم والطوفان الف واحدى وثمانون
سنة وبين الطوفان وهبوط ادم عليه السلام الفان ومائتان واثنان
واربعون سنة · فيكون بين مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهبوط
آدم ستة الاف سنة ومائة وثلاث وستون سنة على ماهو المشهور عند
المؤرخين وفي الحقيقة كل او جل ذلك من قبيل الظنيات والله اعلم

الباب الاول

﴿ في ذكر الخلفاء الراشدين والائمة المهديين وامراء المؤمنين ﴾
﴿ ورثة خير المرسلين وهم اربعة ومدة خلافتهم ثلاثون سنة ﴾

« الاول » ابو بكر الصديق معدن الهدى والتصديق وهو عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب التيمي القرشي يلتقي بعمود النسب الشريف في مرة بن كعب امه بنت عم ابيه ام الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو ولد بعد الفيل بنحو ثلاث سنين كان من رؤساء قريش وعلمائهم محببا فيهم زاهدا خاشعا حليما وقورا مقداما شجاعا صابرًا برًّا كريما رؤفًا رحيما . كان ابيض اللون نحيف الجسم خفيف العارضين ناتیء الجبهة اجود الصحابة اول من اسلم من الرجال وعمره سبع وثلاثون سنة عاش فى الاسلام ستا وعشرين سنة . بويع له بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الحادية عشرة من الهجرة في سقيفة بني ساعدة ثم خرج المبايعون الى المسجد النبوي فبايعه الناس اجمعون . ثم بايعه علي والعباس رضي الله عنهما واجمعت الصحابة كلهم على خلافته . والنبي صلى الله عليه وسلم من الحكمة لم ينص على خلافة احد بعده؛

بل كان يوري ويشير بالتعريض وقد قال صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر ثم لما تم امر البيعة
والخلافة امر ابو بكر الصديق بتجهيز النبيّ صلى الله عليه وسلم
فدخل البيتَ العباسُ وعليٌّ والفضل وقثم وابو سفيان بن
الحارث وهم عمه صلى الله عليه وسلم واولاد اعمامه واسامة
ابن زيد وشقران من مواليه صلى الله عليه وسلم فتولوا غسله وتكفينه
ثم دخل الصحابة ارسالاً يصلون ويسلمون عليه صلوات الله وسلامه
عليه ودفن في بيت عائشة وسط ليلة الاربعاء صلى الله
وسلم وبارك عليه . واول امر بدأ به ابو بكر رضي الله عنه ان
جهز اسامة بن زيد وامره بالمسير الى جهة اراضي موتة حيث
استشهد ابوه زيد بن حارثة وكان صلى الله عليه وسلم قد
جهز هذا الجيش وأمّر عليهم اسامة بن زيد ليأخذ بثار ابيه زيد
وخرج ابو بكر مع اسامة يودعه خارج المدينة ماشياً واسامة راكب
وقال له اوصيكم بعشر خصال فاحفظوها . لا تخونوا ولا تغلوا ولا
تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الطفل ولا المرأة ولا الشيخ ولا تحرقوا
نخلاً ولا تقطعوا شجرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا
للاكل واذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما
فرغوا انفسهم له واذا قرب اليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه

وكلوا · ثم ودعه ورجع ·

ثم لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظمت مصيبة المسلمين والاسلام كثر النفاق واشرأبت المشركون وارتدت بعض القبائل والبعض امتنع عن اداء الزكاة فاسرع ابو بكر رضي الله عنه لمداركة هذا الامر العظيم فامر بتجهيز الجيوش لقتال اهل الردة ومن منع الزكاة وخرج ابو بكر بالجيش ومضى حتى وصل الى الربذة ثم ارجعوه الى المدينة فرجع وقد عقد احد عشر لواء لقتال اهل الردة فتوجهت الجيوش وقاتلوا المرتدين وقتل مسيلمة الكذاب وهرب طليحة بن خويلد الى ارض الشام وكان ادعى النبوة ثم اسلم في زمن عمر بن الخطاب واستشهد من الصحابة نحو سبعمائة رجل اكثرهم من القراء منهم زيد بن الخطاب اخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو اكبر منه سنا واقدم اسلاما ومنهم البراء بن مالك اخو انس بن مالك وقتل من بني حنيفة نحو سبعة عشر الفا واعطى ابو بكر من سبي بني حنيفة علي بن ابي طالب امرأة فاستولدها محمد بن الحنفية ثم جمع ابو بكر الصديق رضي الله عنه القرآن وهو اول من سماه مصحفا وقبل ذلك لم يكن مجموعا بل كان محفوظا في صدور القراء من الصحابة ومكتوبا في صحف مطهرة متفرقة · ثم دخلت السنة الثانية

عشرة فيها جهز ابو بكر الجيوش للفتوحات فجهز خالد بن الوليد في جيش الى العراق وفي السنة الثالثة عشرة جهز ابا عبيدة بن الجراح اميرا على جيوش بلاد الشام ٠

وقعة اليرموك

اجتمعت عساكر ابي عبيدة باليرموك (وهو مكان في فلسطين) وكانوا احدو عشرين الفا فارسل هرقل عساكره وعليهم شقيقه تدارق وجرجه بن تود وكانت عساكر هرقل يومئذ نحو مائتي الف فكتبوا الى ابي بكر يخبرونه ويطلبون ان يمدهم فكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يستخلف على العراق المثنى بن حارثة وان يتوجه بمن معه الى الشام وجعله اميرا على جيوش الشام بدل ابي عبيدة وامره بالاسراع فتوجه خالد ومرّ بأ روكة وتدمر وحوران ففتح في طريقه تلك البلاد وصالح اهلها على الجزية ووصل الى اليرموك فالتحم القتال واشتدت الحرب فانهزم ماهان وقتل تدارق اخو هرقل وانتهت الهزيمة الى هرقل وكان بحمص فانتهى الى وراء حمص لتكون بينه وبين المسلمين ورضي بان تكون حمص ودمشق له ٠ فكان المسلمون في وقعة اليرموك نحو ستة وثلاثين الفا٠ سبعة وعشرون الفا مع الامراء٠ وثلاثة الاف من امداد العراق مع خالد بن الوليد وستة الاف مع عكرمة بن ابي جهل والعدو مائتان واربعون الفا ٠

وبينما هم في وقعة اليرموك حضر بريد من المدينة المنورة اخبر خالد بن الوليد ان الخليفة ابا بكر رضى الله عنه قد توفي وولي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فاسرّ خالد ذلك الخبر ولم يعلم احدا لشغلهم بالقتال ثم خرج جرجه بن توذر من امراء الروم وسال خالدا عن امره وامر المسلمين والاسلام فاعلمه ووعظه ودعاه الى الاسلام فاسلم وحسن اسلامه فكان اسلامه وهناً على الروم . ثم قاتل جرجه مع المسلمين وانهزمت الروم ثانية واستشهد جرجه بهذه الوقعة واستشهد عكرمة وابنه واصيبت عين ابي سفيان ابن حرب

اما وفاة ابي بكر الصديق رضى الله عنه فقد كانت في السنة الثالثة عشرة من ليلة الثلثاء لسبع بقين من جمادى الاخرة عن ثلاث وستين سنة من عمره وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوما . ودفن في بيت عائشة ورأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما توفي جاء عليّ بن ابي طالب كرم الله وجهه باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وقال يرحمك الله ابا بكر لقد كنت والله اول القوم اسلاماً واخلقهم ايماناً واشدهم يقيناً واعظمهم واحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدّهم على الاسلام واحماهم على اهله وانسبهم

برسول الله صلى الله عليه وسلم خلقاً وخُلُقاً وهديا وسمتا فجزاك الله
عن الاسلام خيرا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا
صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس وواسيته حين
بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقا فقال
« والذى جاء بالصدق وصدّق به » كنت والله للاسلام حصنا
وللكافرين ناكسا لم تغلب حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن
نفسك كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف
كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك
قويا في دينك متواضعاً في نفسك عظيما عند الله جليلا في الارض
كبيرا عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا هوادة فالضعيف
عندك قوي والقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوي
للضعيف لاحرمنا الله اجرك ولا اضلنا بعدك . وكان لما مرض
ابو بكر رضي الله عنه جمع عنده طلحة وعثمان بن عفان وعبد
الرحمن بن عوف وغيرهم من كبار الصحابة واخبرهم انه يريد ان
يجعل عمر بن الخطاب ولي عهده فكلهم استحسن ذلك واثنوا
على رأيه فاشرف على الناس وقال اني قد استخلفت عمر بن الخطاب
فاسمعوا واطيعوا ثم دعا عثمان بن عفان وقال له اكتب: بسم الله
الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله

عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا واول عهده بالاخرة في الحال
التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر
ابن الخطاب فان صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وان
جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخيرَ اردت ولكل امرىء ما
اكتسب وسيعلم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون . ثم امره فختمه
بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج به عثمان وقرأه على
الناس فبايعوا عمر بن الخطاب ورضوا به فرفع ابو بكر يديه وقال
اللهم اني لم ارد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت
عليهم خيارهم وقد حضرني من امرك ما حضرني فاخلفني
فيهم وهم عبادك ونواصيهم بيدك فاصلح لهم ولاتهم واجعله من
خلفائك الراشدين يتبع هدى نبيك نبي الرحمة واصلح له رعيته

الثاني من الخلفاء الراشدين

هو ابو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى
ابن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن
لؤى القرشي يلتقي بعمود النسب الشريف بكعب بن لؤى
وامه حنتمة بنت هاشم لقبه رسول الله عليه وسلم بالفاروق
لأنه يفرق بين الحق والباطل وقال صلى الله عليه وسلم الحق
يجري على لسان عمر وقلبه . وافق ربه في احد وعشرين موضعا

وُلد رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة واسلم في السنة الثالثة من البعثة وله حينئذٍ سبع وعشرون سنة كان طويلاً مشرفا اصلع الرأس ابيض اللون شديد الحمرة كث اللحية خفيف شعر العارضين كثير شعر السبالين شديد حمرة العينين شديد البطش كثير التواضع زاهدا ورعا متقشفا من الدنيا · ولي الخلافة بعهد من ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وبويع له في حياته ثم قام بامر الخلافة بالصدق والعدل وحسن التدبير والسياسة لا يخاف في الله لومة لائم رتب الجيوش للجهاد في سبيل الله وعزل خالد بن الوليد عن امارة الجيوش بالشام وولى ابا عبيدة ابن الجراح شفقة على الجيوش والعسكر لشدة بطش خالد وهجماته

فتح دمشق

ولما انقضى امر اليرموك ساروا الى دمشق فحاصروها اشد الحصار سبعين ليلة من نواحيها الاربع فاستغفل خالد بن الوليد ليلة من الليالي وتسور السور بمن معه وقتل البوابين واقتحم بالعسكر وكبر وكبروا ففزع اهل البلد الى امرائهم فنادوا بالصلح فدخلوا من نواحيها صلحا والتقوا مع خالد بن الوليد في وسط البلد فاجريت ناحية خالد على الصلح ايضا وذلك سنة اربع عشرة ثم سارت الجنود ففتحوا طبرية وبيسان صلحا وقيسارية وغزة وسبسطية (كانت

بلدة كبيرة للسمرة لها شأن وفيها قبر يحيي وزكريا) وفتحوا نابلس والرملة ولدّ وعمواس وبيت حبرون ويافا وسائر تلك الجهات الى غزة

فتح بيت المقدس

ثم سار ابو عبيدة الى اردن فجمع الجيوش وقصد بيت المقدس وكتب لهم كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة ابن الجراح الى بطارقة اهل ايلياء · سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول · اما بعد فانا ندعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فان شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم واموالكم وذراريكم وان ابيتم سرت اليكم بقوم هم اشد حبا للموت منكم بشرب الخمر واكل لحم الخنزير) ثم انتظرهم فابوا ان ياتوه فسار اليهم ونزل بهم وحاصرهم اشد الحصار وضيق عليهم فلما اشتد عليهم الحصار طلبوا منه الصلح فقبل منهم فقالوا ارسل الى خليفتكم فيكون هو الذى يعطينا عهد الصلح وكان البطريق يومئذٍ صفرونيوس اخبرهم ان بيت المقدس يفتح على يد رجل يقال له عمر صفته كذا وكذا كما في الكتب القديمة · فكتب ابو عبيدة الى امير المؤمنين يخبره بذلك فجمع عمر كبار الصحابة

وشاورهم في المسير فاشاروا كلهم بالمسير بجمع العساكر وخرج
واستخلف على المدينة المنورة علي بن ابى طالب رضى الله عنه فلما
قارب جاء رجل نصراني له ذمة وله بستان كرم فقال يا امير
المؤمنين كرمي هذا في ايديهم فلم يستبيحوه ولم يتعرضوا له وانا رجل
لي ذمة فلما ظهروا عليه وقعوا فيه . فدعا عمر ببرذون وركب مسرعا
فراى ابا هريرة يحمل عنبا فقال له وانت ايضاً يا ابا هريرة فقال
يا امير المؤمنين اصابتنا مخمصة شديدة فكان احق من اكلنا من
ما له من قاتلنا فتركه ثم اتى الكرم فنظر فيه فاذا هو قد اسرعت
اليه الناس فدعا عمر رضى الله عنه الذمي وقال له كم كنت تستغله
قال بكذا قال خل سبيله ودفع له الثمن كما قال واباحه للعسكر .
ودخل امير المؤمنين الجابية وجاء اهل بيت المقدس وقد هرب
ارطبون امير عسكر الروم الى مصر وحينئذٍ وقع الصلح بين امير
المؤمنين و بين رؤساء اهل بيت المقدس على الجزيـة وشروط
معلومة وكتب لهم كتابا و كتبوا له كتابا على ماتم عليه الصلح . ثم
دخل امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس
بالجيش العظيم من المسلمين و كشف عن الصخرة وكانت مزبلة
للروم غيظا لليهود وامر ببناء مسجد ومضى نحو محراب داود وهو
على باب البلد في القلعة فصلى فيه وقرأ سورة صٓ وسجد ثم حول

قبلة المسجد لجهة الكعبة وحينئذ فتحت تلك الجهات من البلاد الشامية كلها · ثم ولى علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وجعل مركزه الرملة وولى علقمة بن محرز على النصف الثاني واسكنه بيت المقدس · ثم رجع عمر رضي الله عنه الى المدينة المنورة ولما راى ما صنعه خالد بن الوليد قال يرحم الله ابا بكر لقد كان اعلم مني بالرجال · ولما فرغ ابو عبيدة وفتح قنسرين سار الى حلب وحاصرها ثم صالحوه على الجزية ثم اسلموا كلهم ثم سار الى انطاكية وكان لها شأن عظيم وفيها جمع عظيم فهزمهم ابو عبيدة ثم صالحوه على الجزية ثم فتحوا منبجا وعينتاب والموصل وكامل الجزيرة وذلك في السنة الخامسة عشر

فصل

واما فتح مصر فانه لما فتح بيت المقدس استاذن عمرو بن العاص امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فتح مصر فاذن له واتبعه الزبير بن العوام فساروا حتى دخلوا في قرى الريف فلقيهم اسقف وجاثليق فاجتمعوا بعمرو وعرضا عليه الصلح واداء الجزية فاجلهم ثلاثا فرجعوا الى المقوقس وكان عنده ارطبون الذي هرب من بيت المقدس فابى ذلك واشار عليهم بالحرب فهجموا على المسلمين والتحم القتال وانهزموا شر هزيمة

وحاصرهم المسلمون فقبلوا الصلح والجزية ٠ ونزل المسلمون بمصر واستلموها وضرب عمرو بن العاص فسطاطه في موضع مسجده ثم توجه عمرو الى الاسكندرية فوقف له في الطريق عساكر من الروم من جهة هرقل والقبط فهزموهم واكثروا فيهم القتل وفتحها عنوة وجعل اهلها ذمة وجعل فيها عمرو جندا من المسلمين ٠

فصل

واما اخبار القادسية فانه بعد ان توجه خالد بن الوليد من العراق الى الشام وبقي المثنى بن حارثة مع جيشه اقام بالحيرة ورتب الامور وارسل كسرى ثلاثة عشر جيشا الى الحيرة عليهم هرمز فاقتتلوا هناك قتالا شديدا وانهزم الفرس وقتل هرمز قتله المثنى ٠ فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافة ندب الناس ان يتوجهوا الى العراق مددا للمثنى فانتدب ابو عبيد بن مسعود فبعثه عمر في جيش فكان اول جيش بعثه الى العراق فاجتمع ابو عبيد مع المثنى وهناك جمع عظيم من الفرس عليه رستم فحصلت وقعة يقال لها وقعة الجسر قتل فيها من المسلمين نحو اربعة آلاف وبقي من المسلمين نحو ثلاثة آلاف فاخبروا عمر رضي الله عنه بالوقعة فلما بلغ عمر ندب الناس واستنفرهم فاجتمع من القبائل جمع عظيم وامر عليهم جرير بن عبد الله البجلي وبعثهم مددا للمثنى وابي عبيد

فاجتمع المسلمون بمكان يقال له العذيب مما يلي الكوفة وهناك عساكر
من الفرس عند الفرات فباشروا بالحرب والتحم القتال فانهزمت
الفرس شر هزيمة وقتل من الفرس ما يزيد عن مائة الف فلما دهم
الفرس ما دهمهم وكانوا مختلفين لم يكن لهم ملك توجهوا الى
بوران يسالونها عن ولد من كسرى فذكرت لهم ان شهريار بن
كسرى وُلد له ولد اسمه يزدجرد فجاؤا به وهو ابن احدى وعشرين
سنة فملكوه واجتمعوا عليه فكتب المثنى الى امير المؤمنين يخبره فلما
وصل كتابه قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب . « وفي
هذه السنة حج عمر رضي الله عنه سنة ثلاثة عشر فاستنفر العرب
فجاءته افواج العرب الى المدينة المنورة » فلما اجتمعت عنده امداد
العرب استخلف على المدينة عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه وجمع
العساكر وانبهمَ الامر على الناس ثم استشارهم في المسير الى العراق
فاشاروا عليه بالمقام بالمدينة وان يبعث رجلاً من الصحابة بهذه
الجنود يعتمد عليه فقبل ذلك منهم وعيّن لذلك سعد بن ابي وقاص
احد العشرة الكرام وولاه حرب العراق واوصاه وبعثه في اربعة
آلاف فيهم عمرو بن معدي كرب وامثاله من الشجعان والابطال
ثم مده باربعة آلاف . فسار سعد بالجيوش وبلغه في الطريق
ان المثنى قد توفي من جراحته وكانت جموع المثنى سبعة آلاف

ولحقه الاشعث بن قيس ومعه ثلاثون الفا فعبي سعد الكتائب
والساقة والطلائع والمجنبات ورتب الامراء وجعل على كل عشرة
عريفا ورتب المقدمة وتوجه بالعساكر كلها حتى اتى القادسية
فوصلت اخبارهم يزدجرد وارسل سعد نفرا من العسكر فقدموا
على يزدجرد فاحضرهم وقال لترجمانه سلهم ما جاء بكم وما حملكم
على غزونا وبلادنا أمن اجل انا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا .
فتكلم النعمان بن مقرن بعد ان استأذن اصحابه وقال ما معناه :
ان الله تعالى قد رحمنا وارسل الينا رسولا صفته كذا يدعونا
الى كذا ووعدنا بكذا فاجابه قوم وتباعد عنه قوم ثم امرنا بان
نجاهد من خالفه من العرب فدخلوا معه على وجهين مكره
اغتبط وطائع حتى اذا اجتمعنا عليه وعرفنا فضل ما جاء به
امرنا بجهاد من يلينا من الامم ندعوهم الى الانصاف فان ابيتم
فامر اهون من ذلك وهو الجزية وان ابيتم فالمناجزة فقال يزدجرد
لا اعلم في الارض امة كانت اشقى ولا اقل عددا ولا اسوء ذات
بين منكم فان كان بكم جهد اعطيناكم قوتا وكسوة وملكنا عليكم
ملكا يرفق فيكم . فقال قيس بن زرارة هؤلاء اشراف العرب .
والاشراف يستحيون من الاشراف وانا اكلمكم وهم يشهدون .
فاما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت واشد « ثم ذكر من

عيش العرب ورحمة الله بهم بارسال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ماقال النعمان» فاختر اما الجزية عن يد وانت صاغر او السيف والا فنجّ نفسك بالاسلام · فقال يزدجرد لو قتل احد الرسل لقتلتكم ثم استدعى بحمل من تراب وقال ارجعوا الى صاحبكم واعلموه اني مرسل رستم حتى يدفنكم اجمعين في خندق القادسية ثم يدوخ بلادكم اعظم من تدويخ سابور فقام عاصم بن عمر فجعل التراب على عنقه ورجع الى سعد وقال ابشر فقد اعطانا الله تراب ارضهم فتعجب رستم من محاورتهم واخبر يزدجرد بما قاله عاصم

ثم سار رستم الى ساباط ومعه من الجنود نحو مائتي الف وثلاثة وثلاثون فيلا وطلب رجلاً من العرب فقال له رستم ما جاء بكم وما تطلبون فقال نطلب وعد الله بارضكم وابنائكم ان لم تسلموا قال فان قتلتم دون ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقي انجزه الله وعده فلا يغرنك من ترى حولك فلست تحاول الناس انما تحاول القضاء والقدر فغضب رستم وامر به فضربت عنقه

ثم سار رستم فنزل القادسية بعد ستة اشهر يطاول خوفا وتقية وكسرى يحثه على السير· وارسل الى زهرة بن حوية فوقف

معه وعرض له بالصلح وقال كنتم جيراننا نحسن اليكم ونحفظكم .
فقال زهرة ليس امرنا بذلك قد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله
فينا رسولا ودعانا الى دين الحق فاجبناه . فقال وما دين الحق .
فقال الشهادتان واخراج الناس من عبادة الخلق الى عبادة الله
وانتم اخوان في ذلك قال فان اجبنا الى هذا ترجعوا فقال اى
والله . فانصرف رستم ودعا رجالا من الفرس وذكر لهم ذلك
فانفوا وتكبروا فارسل الى سعد ان ابعث الينا رجلاً نكلمه ويكلمنا
فبعث اليهم ربعي بن عامر فاقبل على فرسه وسيفه ورمحه حتى
انتهى الى البساط وهو مزخرف بالذهب فوطئه بفرسه ونزل
وربط فرسه بوسادتين شقهما فاشاروا اليه ان يضع سلاحه فقال
لو اتيتكم فعلت وانما دعوتموني . ثم اقبل يتوكأ على رمحه حتى
دنا من رستم وازال البساط وجلس على الارض وركز رمحه
بالبساط وقال انا لا نقعد على زينتكم فقال له الترجمان ما جاء
بكم فقال الله بعثنا لنخرج عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن
جور الاديان الى عدل الاسلام وارسلنا بدينه الى خلقه فمن
قبله قبلنا منه وتركناه وارضه ومن ابى قاتلناه حتى نفضي الى
الجنة او الظفر فقال رستم هل لكم ان تؤخروا هذا الامر
حتى ننظر فيه قال نعم ان مما سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاثة ايام فانظر في امرك
واختر اما الاسلام وندعك وارضك او الجزية فنقبل ونكف
او المنابذة في الرابعة وانا كفيل بهذا عن اصحابي فقال اسيدهم انت
قال لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجيز بعضهم عن بعض
ويجيز ادناهم على اعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه وقال هل رأيتم
كلاما قط مثل كلام هذا الرجل فأروه استخفافا بشأنه وثيابه فقال
ويحكم انما النظر الى الرأى والكلام والعرب تستخف اللباس
وتصون الانساب . ثم ارسل الى سعد ان ابعث لنا ذلك الرجل
فبعث اليه حذيفة بن محصن ففعل كما فعل الاول فقال ما قعد
بالاول عنا فقال اميرنا يعدل بيننا في الشدة والرخاء وهذه نوبتي
فقال رستم والمواعدة الى متى فقال الى ثلاث من امس وانصرف . ثم
طلب رجلا آخر فجاءه المغيرة بن شعبة فلما وصل جلس معه
على سريره فانزلوه عنه فقال لا ارى قوما اسعد منا معشر العرب
لا يستعبد بعضنا بعضا فظننتكم كذلك وكان احسن بكم ان
تخبروني ان بعضكم ارباب بعض مع اني لم آتكم وانما دعوتموني
فقد علمت انكم مغلبون ولم يقم لكم ملك على هذه السيرة فقالت
السفلة صدق العربي وقالت الاساطين لقد رمانا بكلام لا يزال
عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله من يصغر امر هذه الامة . ثم ما زال

رستم يعرض على الفرس مصالحة العرب ويحذرهم عاقبة حرب
العرب فلم يقبلوا. ثم نصب سريره ورتب عساكره ورتب يزدجرد
عساكره بين المدائن والقادسية لتأتي اليه اخبار رستم واخذ
المسلمون مصافهم واختط سعد قصره وكان به وجع النسا
ودماميل لا يستطيع الجلوس . فاشرف على الجنود وخطبهم
وحثهم على الجهاد وذكرهم بوعد الله وذلك في المحرم سنة
«١٤» ثم امر بقراءة سورة الانفال فنزلت السكينة على
المسلمين . فلما فرغ من قراءة السورة قال الزموا مواقفكم فاذا
صليتم الظهر فاني اكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم
الثانية فكبروا واتموا عدتكم فاذا سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا
الناس فاذا سمعتم الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا
لا حول ولا قوة الا بالله . فلما كبر الثالثة هاج الناس وبرز
الابطال والتحم القتال وارتجز الشعراء فاول من أسر هرمز
من ملوك الفرس اسره غالب بن عبد الله الاسدي ودفعه
الى سعد ثم كبر سعد الرابعة وزحف المسلمون مكبرين ودارت رحى
الحرب واشتد عواء الفيلة ووقعت الصناديق عن الفيلة وهلك من
كان عليها ودام ذلك الى الليل . فلما اصبحوا دفنوا القتلى وسلموا
الجرحى الى النساء فلما انتصف النهار زحف الناس ودارت رحى

الحرب الى نصف الليل وقتل عامة رؤساء الفرس فاصبحوا في
اليوم الثالث على مواقفهم واشتد القتال واختلط المسلمون بالعدو
وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد وهبت رياح النصر فقلبت
طيارة سرير رستم فقام من سريره يستظل بظل بغل فضربه
هلال بن علقمة وقتله وجره من رجله وصعد على السرير ينادي
قتلت رستم ورب الكعبة اليّ اليّ فكبروا تكبيرة واحدة وجزوا
رأسه وطافوا به فانهزم قلب العدو وتفرقوا واخذ ضرار بن الخطاب
ابن مرداس الفهري راية كسرى العظيمة عوض عنها ثلاثين
الف دينار وقيمتها الف الف ومائة الف . ثم جمع السلب
والاموال والغنائم ما لم يجمع قبله ولا بعده مثله واعطى سعد هلال
ابن علقمة سلب رستم وامر سعد القعقاع وشرحبيل بان يتبعوا
العدو . وكتب سعد الى امير المؤمنين يبشره بالفتح واقام
المسلمون بالقادسية ينتظرون امر امير المؤمنين

فصل

ثم جاء الامر من امير المؤمنين بان يسيروا الى المدائن
عاصمة الكسروية فذهبوا ولحقوا ببابل وكان الفرس لما انهزموا
من القادسية لجأوا الى بابل فحصل قتال شديد وانهزم الفرس
وافترقوا فرقتين فالهرمزان دخل الاهواز والفيرزان دخل

نهاوند وفيها كنوز كسرى ثم توجهوا حتى نزلوا شهرشير من المدائن
ولما عاينوا الايوان كبروا وقالوا هذا الايض هـذا ما وعد الله
ورسوله وكان نزولهم في ذى الحجة سنة «١٥» فحاصروا المدائن
ثلاثة اشهر ثم اقتحموها يقولون نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا
الله ونعم الوكيل لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وساروا في
دجلة وخيولهم سابحة يهيمون تارة و يتحدثون اخرى فلما رأى الفرس
عساكر المسلمين جازوا البحر خرجوا هـاربين الى حلوان وكان
كسرى يزدجرد قبل ذلك قدم بعياله . ونزل سعد الايوان وصلى
فيه صلاة الفتح ثمان ركعات لايفصل بينها . وقرأ (كم تركوا من جنات
وعيون الآية) واتخذ الايوان مسجدا ولم يغير ما فيه من التماثيل
وصلى فيه سعد بالناس والتماثيل من الجص قائمة فيه

ثم استولوا على بيت مال كسرى وكان فيـه ثلاثة آلاف
قنطار من الذهب دنانير واخذوا حلية كسرى وثيابه ودرعه
من الهاربين واخذوا حمل بغل من السيوف وحمل بغل من الدروع
والمغافر واخذوا درع هرقل وداهر ملك الهند وبهرام جور
وسياوخش والنعمان بن المنذر وسواري كسرى اخذوها كلها من
المنهزمين الهاربين واحضرها كلها القعقاع الي سعد وخيره سعد
في السيوف فاختار سيف هرقل واعطاه درع بهرام . وبعث الى

امير المؤمنين سيف كسرى والنعمان وتاج كسرى وحليته وثيابه ليراها الناس في المدينة المنورة والبسوا سراقة بن مالك المدلجي سواري كسرى تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم له « كيف بك ياسراقة اذا لبست سواريْ كسرى » . وقسم سعد بين المسلمين الغنيمة بعد ما خمسها فاصاب الفارس اثنا عشر الف دينار وكانوا ستين الفا وقسم المنازل والدور بين الناس وانزلهم فيها . واخذوا بساط كسرى وطوله ستون ذراعا في مثلها وهو شبه بستان فيه زهور منسوجة بالذهب وطرق كالانهار وتماثيل منقوشة بالدر والياقوت على حرير وجواهر متنوعة . كانت الاكاسرة تبسطه في الايوان زمن الشتاء عند فقد الرياحين وتشرب عليه* ولما قدمت الاخماس على امير المؤمنين قسمها في الناس وقطع البساط قطعاً بين الصحابة واعطى عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه قطعة باعها بعشرين الفا . وولى امير المؤمنين سعد بن ابي وقاص على الصلاة والحرب فيما فتحه وغلب عليه . وولى حذيفة بن اليمان على سقي الفرات . وولى عثمان بن حنيف على سقي دجله

فصل

ثم ارسل سعد جنداً لفتح جلولاء فقدموا عليها وحاصروها

ثم حملوا حملة واحدة فانهزم الفرس وتفرقوا وقتل منهم يومئذ نحو
مائة الف وتبعهم القعقاع بطليعة فاحتل كسرى يزدجرد حلوان
ثم هرب الى الرى . ثم توجه بعض عساكر المسلمين نحو الاهواز
والسوس ففتحوها واسروا الهرمزان وارسلوه الى المدينـة المنورة
والبسوه كسوته من الديباج والذهب وتاجه مرصع باليـاقوت
فلما رآه عمر امر بنزع ما عليه وقال له ياهرمزان كيف رأيت امر
الله وعاقبة القدر فقال انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى
بيننا وبينكم فغلبناكم اذ لم يكن معنا ولا معكم فلما صار الآن معكم
غلبتمونا فقال عمر انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا . ثم
قال فما حجتك وما عذرك في الانتقاض مرة بعد اخرى فقال
اخاف ان اقتل قبل ان اخبرك قال لا تخف فاستسقى بماء فاتى
بكوز فقال اخاف ان اقتل وانا اشرب قال لا بأس عليك حتى
تشربه فالقى الكوز من يده وقال لا حاجة لي في الماء وقد امنتني
قال كذبت قال انس صدق يا امير المؤمنين قد قلت له لا بأس
عليك حتى تشربه وصدقـه الناس فقال عمر خدعتنى لا والله
الا ان تسلم فأسلم وحسن اسلامه وفرض له امير المؤمنين الفين
وانزله بالمدينة مكرما

فصل

ثم صدر امر امير المؤمنين ان تسير العساكر والجنود لفتح بلاد فارس وهي بلاد ايران فتوجهوا وفتحوا في طريقهم بلاداً كبيرة كخراسان وازدشير وسابور واصطخرونسا ودارابجرد وكرمان وسجستان وتستر وهمذان ومكران والدينور وشيراز واصبهان وقزوين وطبرستان وقوص وجرجان وطخارستان وفرغانه والصغد وبلخ وبلاد الديلم وكافة بلاد فارس والعجم . ثم فتحوا نهاوند وفيها غنائم كسرى العظيمة واقتسموها حتى وصلوا الى مرو الروذ وبها كسرى يزدجرد فقاتل المسلمين وقاتلوه ثم انهزم هزيمة شديدة وكان قد ارسل بريداً من طرفه الى ملك الصين يستنجده ويستمده ويخبره فعل العرب بملكه وكيف استولوا على بلاده وخزائنه فرأى البريد راجعا من ملك الصين في طريقه وهو منهزم ومعه كتاب يسأله ملك الصين ان يترجم له احوال العرب ودعوتهم وافعالهم وعيشهم فكتب اليه يزدجرد عن دينهم ودعوتهم وكتابهم وصفتهم . فكتب اليه ملك الصين اذا كانت صفاتهم كما قلت فسالمهم وصالحهم على الجزية ولا تحاربهم فانه لا يقوم لهم مقاوم فضاقت عليه الارض بما رحبت . فاقام بفرغانه تحت عهد خاقان ثم انهزم منها مع جيوشه الى جور « وهي ازدشير » فلما كان

ايام خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنـه ولى عبد الله بن
عامر بن كريز وهو ابن خال عثمان على تكميل فتوحات بلاد
العجم ففتحوا اسفرابن وابيورد وطوس حتى وصلوا الى ازدشير وبها
يزدجرد مع فرقة معه فانهزم وتبعوه فالتجأ الى جماعة هناك فقتلوا
من كان معه وهرب يزدجرد ماشيا وحده الى شط المرغاب فآوى
الى بيت رجل ينقر الارحاء فلما نام قام اليه وقتله ورماه في نهر
هناك فبلغ خبره مطران مرو فجمع بعض اتباعه ووعظهم وذكرهم
حقوق سلفه فاخذوه من النهر ووضعوه في ناووس ودفنوه هناك
واقاموا عليه مأتماً . وبه انقرضت دولة الاكاسرة والساسانية من
الارض وظهرت معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله
تعالى يمزقهم كل ممزق

استطراد

كان ليزدجرد ثلاث بنات سُبين في خلافة عمر بن الخطاب
اعطى واحدة منهن لعبد الله بن عمر بن الخطاب فاولدها سالما .
والثانية اعطاها لمحمد بن ابي بكر فاولدها قاسما . والثالثة وهي
(شهر ياتو ثم سماها غزالة) اعطاها لسيدنا الحسين بن عليّ فاولدها
عليّ بن الحسين زين العابدين وجد الاشراف الحسينيين .
فسالم والقاسم وعليّ بنو خالة رضي الله عنهم

فصل

في سنة اربع عشرة امر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببناء البصرة والكوفة فبنوها اولاً بالقصب ثم استاذنوا عمر ان يبنوها باللبن فأذن لهم وقال لا يزيد احد على ثلاثة بيوت ولا يطاول في البنيان وان يلزموا السنة فاذا لزمتموها لزمتكم الدولة · وفي سنة سبعة عشر توجه امير المؤمنين معتمرا واقام بمكة عشرين يوما وفيها وسع المسجد الحرام

وفي هذه السنة تزوج امير المؤمنين عمر بن الخطاب بام كلثوم بنت علي بن ابي طالب وامها فاطمة الزهراء · وفي سنة ثمان عشرة حصل قحط شديد سمي ذلك العام عام الرمادة فاستسقى عمر رضي الله عنه وخطب واخذ العباس بن عبد المطلب وتوسل به وجثا على ركبتيه وبكى يدعو الى ان نزل المطر واغيثوا

وفي هذه السنة كان طاعون عمواس ببلاد الشام · اقام شهرا ومات فيه نحو خمسة وعشرين الفا · وكتب امير المؤمنين الى ابي عبيدة ان يرتفع بالمسلمين من الارض التي فيها الطاعون وتوفي من مشاهير الصحابة فيه أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي امين هذه الامة واحد العشرة الكرام وامير جيوش الشام من

السابقين الى الاسلام · هاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وله من العمر ثمان وخمسون سنة وقبره ببيسان يزار ويتبرك به · وتوفي فيه ايضاً ابو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو الانصاري الخزرجي كان ولاه ابو عبيدة قبل وفاته على الجيوش وهو من السبعين الذين شهدوا العقبة من اهل المدينة وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان ينصروه ويحموه ما دام عندهم في المدينة وكان عمره حينئذ ثمان عشرة سنة · شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا على اليمن فبقي فيها الى ان توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من علماء وقرّاء الصحابة واعلم بالحلال والحرام · قال صلى الله عليه وسلم «معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة برتوة او رتوتين» يعني بميل او بميلين

وتوفي ايضاً يزيد بن ابي سفيان صخر بن حرب بن امية ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي اخو معاوية بن ابي سفيان كان افضل اخوته واورعهم وكان يقال له يزيد الخير · اسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا وولاه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وابا عبيدة على جيوش الشام وما والاها فولى عمر رضي الله عنه على دمشق مكانه اخاه معاوية بن ابي سفيان

وفي هذه السنة سار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه
ناس من الصحابة الى الشام حتي وصل سرغ (وهي قرية قرية من
دمشق) فاستقبله معاوية وامراء الجيوش واخبروه بشدة وطأة
الطاعون في البلاد الشامية فتوقف عن الدخول واستشار رؤساء
الصحابة فبعضهم اشار بالدخول والبعض اشار بعدم الدخول
وكان من رأي عمر عدم الدخول للبلاد التي فيها الطاعون خوفاً
على الصحابة الذين معه ثم حضر عبد الرحمن بن عوف وروى له
ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم بالطاعون بارض
فلا تقدموا عليها واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه»
فحمد الله عمر ورجع بمن معه ولم يدخل دمشق . ولما مضت مدة
الطاعون واطمأنت البلاد رجع عمر رضي الله عنه من المدينة
المنورة مرة ثانية الى البلاد الشامية ليتفقد احوال الجيوش ويقسم
مواريث المسلمين . فتطوف في البلاد والثغور والحصون ثم رجع .
وفي سنة احدى وعشرين توفي خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله
ابن مخزوم القرشي المخزومي سيف الله بقرية على نحو ميل من
حمص عن ستين سنة من عمره . قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد الحديبية هو وعمرو بن العاص وطلحة بن طلحة العبدري
من بني عبد الدار القرشي . فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال « رمتكم مكة بافلاذ كبدها » يريد انكم قطعتم اكباد اهل مكة بمجيئكم . مات رضي الله عنه على فراشه مرابطا بحمص بعد ان باشر الحروب والوقائع العظيمة ولم يبق في جسده موضع شبر الا وفيه طابع الشهادة مابين ضربة بسيف او طعنة برمح او رمية بسهم وكان في قلنسوته التي كان يجاهد فيها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنصر به . ثبت انه صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه من حجة الوداع «او من عمرة اعتمرها» استبق الصحابة الى شعره ولم تقع شعرة على الارض فسبق خالد بن الوليد واخذ الناصية وجعلها في مقدم قلنسوته . ولما حضرته الوفاة بكى قيل له ما يبكيك قال لقيت زهاء مائة زحف وها انا اموت على فراشي حتف انفي كما يموت العنز فلا نامت اعين الجبناء

فصل

وفي سنة ثلاث وعشرين حج امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم رجع الى المدينة المنورة وفي ختامها طعنه ابو لؤلوة فيروز مملوك المغيرة بن شعبة اصله من نهاوند مجوسي كافر لعنه الله . وكان عمر رضي الله عنه يمنع من سكنى المدينة غير المسلمين فاستأذن المغيرة وهو بالكوفة عمر بن الخطاب بسكنى ابي لؤلوة لانه يحسن كثيرا من الصنائع فقد كان حدادا نجارا نقاشا

فأذن له .

خرج عمر رضي الله عنه لصلاة الصبح وقد استوت الصفوف فدخل الخبيث ابو لؤلؤة بين الصفوف وبيده خنجر مسموم برأسين فضربه به ثلاث طعنات احداها تحت سرته فمسكوه واصيب من الصحابة نحو اثنى عشر رجلاً مات منهم ستة وطعن اللعين نفسه فمات . وسقط عمر رضي الله عنه على الارض فقال لابنه انظر من ضربني . قال ابو لؤلؤة غلام المغيرة . قال الحمد لله الذي لم يجعل قتلي على يد رجل سجد لله سجدة . واستخلف عمر عبد الرحمن يصلي بالناس وحمل الى بيته فاوجز عبد الرحمن الصلاة . ثم دعاه عمر فقال اني اريد ان اعهد اليك قال اتشير عليّ بها قال لا قال والله لا افعل فقال عمر اني اريد ان اعهد الى النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم عليّ وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن وطلحة وفيهم سعيد بن عمرو بن نفيل ولستُ مدخله فيهم لانه ابن عم عمر قيل له فلو عهدت الى عبد الله (يعني ابنه) قال حسب آل الخطاب ان يحاسب منهم واحد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددت اني نجوت من هذا الامر كفافا لا لي ولا عليّ فعليكم بهؤلاء الستة فلتختاروا منهم واحدا وليصل بالناس صهيب

ثلاثة ايام . ولا يأتي اليوم الرابع الا وعليكم امير من هؤلاء
الستة وليحضرهم عبد الله في الشورى ولا شيء له من الامر . ثم
اوصاهم بالانصار الذين تبوأوا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم
ويعفو عن مسيئهم واوصى بالعرب فانهم مادة الاسلام واوصى
بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ان يوفوا لهم بعهدهم . اللهم قد بلغت
لقد تركت الخلافة من بعدى على انقي من الراحة . ثم بعث
ابنه عبد الله الى عائشة فقال قل لها يقرأ عليك عمر بن الخطاب
السلام ولا تقل امير المؤمنين فيقول لك انه لاحق بربه فاستأذنين
ان يدفن مع صاحبيه . فجاء عبد الله الى عائشة فاستأذن فبلغها
رسالة امير المؤمنين فتأوهت وبكت وقالت كنت اشم رائحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابى بكر فلما مات ابو بكر كنت
اشم رائحته في امير المؤمنين عمر ما لى والدنيا افقد فيها الاحباب
واحداً واحداً . بلّغ امير المؤمنين مني السلام وقل له انها كانت
قد ادّخرت ذلك لنفسها ولكنها آثرتك اليوم على نفسها . فرجع
عبد الله فقال له عمر ما وراءك يا عبد الله قال الذي تحب قد
اذنت لك قال الحمد لله ما كان شيء اهمّ اليّ من ذلك فاذا انا
قبضت فارجع الى عائشة فاستأذنها ثانياً فربما تكون استحيت وانا
حيّ فلم يزل يذكر الله تعالى الى ان توفي رضى الله عنه ليلة الاربعاء

لثلاث بقين من ذى الحجة عن ثلاث وستين من عمره فغسل ووضع على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصلى عليه صهيب ودفن في الحجرة الشريفة وراسه عند كتفى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر الا يوماً واحداً

جاهد رضي الله عنه في الله حق جهاده وجيش الجيوش وفتح البلاد ومصّر الامصار واعزّ المسلمين والاسلام واذلّ الكفر واجلى اليهود من بلاد الحجاز كما اجلى نصارى نجران ويهودها من جزيرة العرب . كثرت في ايامه الفتوحات ووسع المسجد الحرام وعمّر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى وهو اول من امر بصلاة التراويح وجمع الناس اليها واول من وضع الديوان وفرّق العطاء واول من وضع التاريخ في الاسلام واول من عسّ بالليل من الامراء واول من نهى عن بيع امهات الاولاد واول من اثبت تحريم نكاح المتعة واول من جمع الناس في صلاة الجنازة على اربع تكبيرات وكانوا يكبرون اربعا او خمسا او ستا واول من حمل الدرة وضرب بها واول من تسمى بامير المؤمنين رضى الله عنه

اجتماع اهل الشورى

بعد ان دفنوا عمر رضى الله عنه جمع ابو طلحة الانصاري والمقداد بن الاسود النفر الستة اهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة وقيل في بيت عائشة ودار بينهم الكلام فقال عبد الرحمن ابن عوف ايكم يخرج نفسه من هذا الامر فترك الاربعة الامر لعليّ بن ابي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما . فلما كان اليوم الرابع استدعى عبد الرحمن عليا وعثمان وجمع المهاجرين والانصار واهل السابقة وامراء الاجناد حتى غص المسجد بهم وقال عبد الرحمن لعليّ عليك عهد الله وميثاقه لتعملنَّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده في العسر واليسر فقال عليّ ارجو ان اجتهد واعمل بمبلغ علمي وطاقتي فقال لعثمان مثل ذلك فقال اللهم نعم . فرفع عبد الرحمن رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال اللهم اشهد قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان بن عفان فبايعه الناس كلهم لثلاث ليال خلت من المحرم سنة (٢٤)

الثالث من الخلفاء الراشدين

ابو عمرو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشي الاموى امه اروى بنت

كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس يلتقي بعمود النسب الشريف بعبد مناف. لقب بذي النورين لانه تزوج بنتي سيد الكونين رقية وام كلثوم . كان ربعة حسن الوجه ابيض مشربا بحمرة بوجهه نكتات من اثر الجدري كث اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين طويل الذراعين شعره كسا ذراعيه اصلع قد شد اسنانه بالذهب كان خاتمه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر وعمر رضي الله عنهم فلما وقع منه الخاتم في بئر اريس اتخذ خاتماً نقشه «آمنت بالذي خلق فسوّى»

وُلد بالطائف بعد الفيل بست سنين اسلم قديماً على يد ابى بكر رضي الله عنهما وعمره حينئذٍ تسع وثلاثون سنة . ثم هاجر مع زوجته رقية الى الحبشة . ثم قدم مكة قبل الهجرة ومنها الى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم . شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاَّ بدراً لان زوجته رقية كانت مريضة فامره صلى الله عليه وسلم ان يقيم بالمدينة ليمرضها وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بدر واسهم له من غنائمها

بويع له بالخلافة بعد دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاث ليال سنة (٢٤) . فاقرَّ عمال عمر رضي الله عنه في الجهات

اولا · وولى سعد بن ابي وقاص على الكوفة وعزل المغيرة بن شعبة وذلك بوصية عمر لانه كان قد اوصى بتولية سعد وقال لم اعزله عن سوء ولا خيانة

ثم بعث جيشاً بامرة سلمان بن ربيعة الى بلاد ارمينية فذهبوا ودوخوا البلاد ووصلوا الى ملطية وسيواس وقونية وتفليس فصالحه اهلها على الجزية وفتحوا عدة حصون ومدن وقاتلوا اكراد (البوشنجان) فظفروا بهم وفتحوا مدينة (سمكور) وهي المتوكلية ثم (شروان) وسائر بلاد الجبال الى الباب

ثم غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ عمورية في خلافة عثمان وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص من مصر وولى مكانه عبد الله بن ابي سرح وهو اخو عثمان من الرضاعة وامره بغزو افريقية وكان قبله عمرو بن العاص غزا طرابلس الغرب وحاصرها شهرا وكان بها الروم من جهة هرقل فاقتحموها ودخلوها وفتحوا مدينة صبره وبرقة كانت تعرف قديماً «انطابلس»

ثم ان عثمان جهز جيشاً لغزو افريقيا وفيهم اجلاء من الصحابة كعبد الله بن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير فساروا مع عبد الله بن ابي سرح سنة ست

وعشرين ولقيهم عقبة بن نافع بمن معه من المسلمين ببرقة فبعثوا الطلائع في نواحي افريقية وكان ملك تلك الجهات جرجير من قبل هرقل يرسل اليه الخراج كل سنة فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين الفاً ولقيهم من سبيطلة دار ملكه فدعوه الى الاسلام او الجزية فاستكبر · وارسل عثمان عبد الله بن الزبير بمدد فسمع جرجير بوصول المدد فخاف والتحم القتال وقد غاب عبد الله بن ابي سرح فسأل عنه عبد الله بن الزبير فقيل له انه سمع منادى جرجير ان من قتل ابن ابي سرح فله مائة الف دينار وزوجه ابنته فخاف وتأخر فقال عبد الله بن الزبير تنادي ان من قتل جرجير اعطيته مائة الف دينار وزوجته ابنتك واستعملته على البلاد فخاف جرجير اشد الخوف · واشتدت الحرب والتحم القتال وهجموا على خيام الروم فهزموهم وقتل منهم اناس كثير وقتل عبد الله بن الزبير جرجير وسبى ابنته وفتحوا سبيطله ثم صالحه اهل افريقية على الفي الف وخمسمائة الف دينار

ولما رجع ابن ابي سرح الى مصر خرج قسطنطين بن هرقل فغزا الاسكندرية في ستمائة مركب فركب المسلمون البحر مع ابن ابي سرح ومعه معاوية في اهل الشام فالتحم بين الفريقين القتال ودارت رحى الحرب في البحر حتى انهزم قسطنطين جريحاً

وقد سميت هذه الغزوة غزوة الصواري لكثرة المراكب فيها

وكان لما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاوية بن ابي سفيان على دمشق والاردن استأذن عمر بن الخطاب بان يغزو البحر وبين له شأن قبرص فكتب عمر الى عمرو بن العاص ان صف لى البحر وراكبه فكتب اليه عمرو يقول هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد فلق القلوب وان تحرك ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة راكبه دود على عود ان مال فرق وان نجا برق . فكتب عمر الى معاوية والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لا احمل عليه مسلما ابدا ولمسلم واحد احب اليّ مما حوت الروم فاياك ان تعرض لي في ذلك . فلما ولى عثمان الخلافة الحّ معاوية عليه بعد ان ضم اليه حمص وقنسرين وفلسطين واجتمع الشام كله لمعاوية فاذن له بغزو البحر على اختيار الناس وطوعهم فاختار جماعة من الصحابة الغزو فيه منهم ابو الدرداء وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام بنت ملحان وامّر عليهم عبد الله بن قيس فساروا الى قبرص وجاء ابن ابي سرح من مصر واجتمعوا عليها وحاصروهم مدة ثم صالحهم اهلها على سبعة آلاف دينار كل سنة وان يكونوا عونا للمسلمين على عدوهم وان يكون طريق الغزو للمسلمين عليهم

وذلك سنة(٢٨) · وفي هذة الغزوة ماتت ام حرام بالساحل حين
خرجت من البحر وقعت عن دابتها بعد ركوبها فماتت ولها قبر
في جبانة في بيروت يتبرك به · وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم
قد اخبرها بانها تغزو البحر مع جيش من اهل الجنة · واقام عبد
الله بن قيس في البحر يغزو فغزا فيه نحو خمسين غزوة لم ينكب
فيها الى ان نزل في بعض الايام بساحل المرفى من ارض الروم
فثاروا عليه فقتلوه ونجا الملاحون فجاء سفيان بن عوف على سفن
الى المرفى فقاتلهم حتى ابادهم

فصل

وفي سنة ثلاثين بلغ الخليفة عثمان بن عفان انه وقع في
العراق اختلاف في القرآن فكان البعض يقول قرآءتنا اصح لانا
قرأنا على ابي موسى وكان اهل الشام يقولون قرآءتنا اصح فانكر ذلك
عثمان واستعظمه وحذر من وقوع اختلاف في القرآن وكان عثمان
من الحفظة فوافقه من حضر من الصحابة والتابعين وجاء حذيفة بن
اليمان الى عثمان وقال انا النذير العريان ادرك الامة · فجمع عثمان
الصحابة فراوا ما راٰه حذيفة فارسل امير المؤمنين عثمان بن عفان
الى حفصة بنت عمران ابعثي الينا بالمصاحف التي كتبت في خلافة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه · وكانت اولا عند ابي بكر الصديق

ثم عند عمر فصارت عند حفصة · فاخذها عثمان وامر زيد بن
ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام ان ينسخوها في مصاحف وقال لهم ان اختلفتم في كلمة
فاكتبوهـا بلسان قريش يعني في الرسم ففعلوا ونسخوا اربعة
مصاحف فبعث امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
الى كل افق من الافاق بمصحف يكون مرجعاً وعمدة يعتمدون عليه
فلم يقع بعد ذلك ولله الحمد خلاف في كلمة ابدا

تمهيد

اعلم انه لما تكاملت الفتوحات للامة الاسلامية وقوي الملك
في الامصار على وجه الكرة الارضية واختلطت العرب بالامم
والاقوام المختلفة اللغات والطباع كان المختصون بصحبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمقتدون بهديه وسيرته وسياسته من اجلاء
المهاجرين والانصار من قريش واهل المدينة المنورة متمكنين
بهديه صلى الله عليه وسلم وسيرته يعطون كل ذي حق حقه ،
معترفين بفضل بعضهم وفضل السابقين الاولين، واما سائر العرب
من بني بكر بن وائل وربيعة والازد وكندة وقضاعة وبني تميم
وفزارة وغيرهم فهؤلاء وان كانت لهم صحبة بيد انهم لم يكن لهم قدم
الصحبة الخاصة والهدي التام ليكونوا بمثابة السابقين الاولين من

المهاجرين والانصار، نعم ان لهؤلاء القبائل في الفتوحات قدماً عظيماً ويرون ذلك لهم، وان فضلائهم يقرون ويذعنون بفضل السابقين من الصحابة لكن لما طالت المدة وقويت الدولة وكثرت الغنائم وحصلت الثروة والغنى غلبت الطبيعة البشرية فنسوا بعض الشيء وكانت بسائق الطبيعة البشرية عروق الجاهلية تنفض في بعض طباعهم، ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والانصار لا سيما بنوامية انفت نفوسهم من ذلك ونزعت الى العصبية العربية، ووافق ذلك ايام خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فلذلك اظهروا الطعن في ولاة عثمان بالامصار وكانوا يأخذون بفلتات الامراء بالمحطات ويعظمونها. وفشت تلك المقالات بين الاهالي فصاروا ينادون بالجور والظلم من امراء وولاة عثمان في الجهات والنواحي وانتهت هذه المقالات والتشكيات الى كبار الصحابة بالمدينة فارتابوا لذلك وتكلموا مع عثمان وطلبوا منه عزل بعض الامراء تسكيناً للفتنة فبعث عثمان الى الامصار من يأتيه بصحيح الاخبار منهم محمد بن مسلمة الى الكوفة واسامة بن زيد الى البصرة وعبد الله بن عمر الى الشام وعمار بن ياسر الى مصر فذهبوا ورجعوا فقالوا ما انكرنا شيئاً

فصل

واما عمار بن ياسر فقد استماله قوم من رؤساء الفتنة الاشرار واظهروا له ان مرادهم اظهار الحق فكانوا يبطنون ما في قلوبهم ويموهون للناس انهم يريدون اظهار الحق والعدل لكن مرادهم بذلك اظهار الفتنة ليحصلوا على بغيتهم . وكان رئيسهم في ذلك الامر عبد الله بن سبأ يعرف بابن السوداء كان من يهود العراق نافق واظهر الاسلام لايقاع الفتن والانشقاق في الامة الاسلامية فلما عرفه اهل البصرة طردوه واخرجوه منها فذهب الى الكوفة ثم الى الشام فطرد منهما . فذهب الى مصر واستوطنها فكثرت جماعته هناك وكان يكثر الطعن على عثمان وبني امية ويدعو في السر لاهل البيت ومراده انشقاق كلمة الاسلام . وهذا اول ظهور التشيع والشيعة . وكان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم يرجع كما يرجع المسيح عليه السلام وكان يقول للعامة ان علي بن ابي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الخلفاء اخذوا الخلافة بغير حق . ولم يكن هذا القول قبله يعرفونه . وكان يحرض الناس على القيام بذلك ويكثر الطعن على الامراء فاستمال اليه سفهاء الناس وجهالهم وكانوا يكاتبون بعضهم بعضاً . فتأخر عمار بن ياسر عن الرجوع الى

المدينة المنورة٠«ورد في الحديث الصحيح عن حذيفة بن اليمان صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا نحن جلوس عند عمر اذ قال ايكم يحفظ قول النبي صلى الله عليـه وسلم في الفتنة قال فتنة الرجل في اهله وماله وولده وجاره تكفّرها الصلاة والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ليس عن هذا اسألك ولكن التي تموج كموج البحر قال ليس عليك منها بأس يا امير المؤمنين ان بينك وبينها باباً مغلقاً قال عمر ايكسر الباب ام يفتح قال لا بل يكسر قال عمر اذاً لا يغلق ابدا قلت اجل قلنا لحذيفة أ كان عمر يعلم الباب قال نعم كما اعلم ان دون غد ليلةً وذلك اني حدثته حديثاً ليس بالاغاليط فهبنا ان نسأله من الباب فامرنا مسروقا فسأله فقال من الباب قال عمر بن الخطاب»٠

فصل

ثم كثر الطعن والقيل والقال في المدينة وكتب رؤساء الفتنة الى جماعتهم في الامصار يستقدمونهم الى المدينة فخرج من اهل مصر نحو خمسمائة ومن الكوفة كذلك ومن البصرة كذلك ودخلوا الى المدينة مظهرين الحج مجمعين باطناً على السوء بعثمان رضي الله عنه فارسل اليهم عثمان المغيرة بن شعبة وعمرو بن

العاص يدعونهم الى الحق وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فردوها اقبح رد واقترح المصريون على عثمان بان يعزل عبد الله ابن ابي سرح ويولي عليهم محمد بن ابي بكر الصديق فاجابهم عثمان الى ذلك فارسل لهم عليا يتكلم معهم فولى عثمان محمد بن ابي بكر الصديق وانصرفوا وتفرقوا قاصدين محلاتهم . فلما وصل المصريون الى ايلة وجدوا رجلاً راكباً على ناقة عثمان فمسكوه وفتشوه فوجدوا معه كتاباً مختوماً بخاتم عثمان مصطنعاً عليه مضمونه :(من عثمان بن عفان الى عبد الله بن ابى سرح اذا قدم عليك محمد بن ابى بكر وفلان وفلان فاقطع ايديهم وارجلهم وارفعهم على جذوع النخل فاخذ الكتاب محمد بن ابي بكر ووضعه في كيس وختموه ورجع المصريون ومعهم محمد بن ابى بكر حتى دخلوا المدينة ورجع اهل الكوفة والبصرة الى المدينة ثم اخبروا عليا وطلحة والزبير وكبار الصحابة بالكتاب فاخبروا عثمان بذلك فحلف عثمان انه ما فعله ولا امر به فما شعر اهل المدينة الا انهم هجموا واحاطوا ببيت عثمان ونادوا بامان من كف يده فقال لهم علي رضي الله عنه ما ردكم بعد ذهابكم قالوا قد اخذنا كتابا من بريد بقتلنا فقال لأهل الكوفة والبصرة كيف علمتم بما لقي اهل مصر وكلكم على مراحل حتى رجعتم علينا جميعاً هذا امر ابرم

بليل · وبقي الحصار اربعين يوماً حتى منعوه الماء او يسلمهم مروان
فغضب عليّ وارسل له ماء وارسل الحسن والحسين وجماعة من
اولاد الصحابة يحرسون بيت عثمان خوف الهجوم عليه وهاجت
المنحرفون يقتحمون باب عثمان فمنعهم الحسن والحسين والزبير
وطلحة وغيرهم ثم تسوروا واقتحموا الدار من دار عمرو بن حزم
فلم يشعر الذين على الباب · ودخل محمد بن ابي بكر وتكلم مع
عثمان وحاوره ان يسلمه مروان فقال له عثمان لو راك ابوك ابو
بكر ما رضي ذلك فاستحيي وخرج · ثم دخل عليه سفهاء الفتنة
فضربه احدهم بالسيف فاكبت عليه نائلة زوجته فقطعت اصابع
يدها ثم قتلوه رضي الله عنه وهاجت الفتنة وقتل بعض قاتليه
وانتهبوا البيت ويقال ان الذي تولى قتله كنانة بن بشر التجيبي
وعمرو بن الحمق · وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي
الحجة سنة خمس وثلاثين · وبقي في بيته ثلاثة ايام · ثم جاء
حكيم بن حزام وجبير بن مطعم الى عليّ فاذن بتجهيزه ودفنه
فدفن بين المغرب والعشاء في حش كوكب وهو بستان كان
اشتراه عثمان رضي الله عنه وادخله في بقيع الفرقد وكانت خلافته
اثني عشرة سنة الا يوماً · قال عثمان رضي الله عنه قبل قتله اني
رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وابا بكر

وعمر فقالوا لي اصبر فانك تفطر عندنا القابلة · وهذه الحادثة اول الفتن التي تموج كموج البحر كما تقدم

الرابع من الخلفاء الراشدين والائمة المهديين

هو ابو الحسن عليّ بن ابي طالب عبد مناف بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم امه فاطمة بنت اسد بن هاشم وُلد قبل البعثة بعشر سنين وتربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وفي بيته، اول من اسلم بعد خديجة وهو صغير واخفى اسلامه مدة خوفاً من ابيه، كان يلقب حيدرة وكناه النبي صلى الله عليه وسلم ابا تراب وكانت احب الكنى اليه · ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة امر عليا ان يبيت على فراشه واجله ثلاثة ايام ليؤدي الامانات التى كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابها ثم يلحق به الى المدينة فهاجر من مكة الى المدينة المنورة ماشياً شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم الا غزوة تبوك واصطفاه النبي صلى الله عليه وسلم صهرا له وزوجه بنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين واتخذه اخاً لنفسه حين آخى بين اصحابه واعطاه اللواء يوم خيبر ففتحها واقتلع باب الحصن وقتل مرحبا صاحب خيبر · كان رضي الله عنه وكرم وجهه آدم

اللون ادعج العينين عظيمها حسن الوجه ربعة القد عظيم الكراديس بطيناً كثير الشعر عريض اللحية اصلع الرأس ضحوك السن اشجع الصحابة واعلمهم في القضاء وازهدهم في الدنيا لم يسجد لصنم قط رضي الله عنه ·

لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه اجتمع طلحة والزبير واكثر المهاجرين والانصار واتوا عليا ليبايعوه فابى وقال اكون وزيراً لكم خيراً من ان اكون اميرا ومن اخترتم رضيته · فالحوا عليه وقالوا لا نعلم احدا احق منك ولا نختار غيرك فخرجوا به الى المسجد وبايعوه وكان اول من بايعه طلحة ثم الزبير ثم بايعه الناس وكان رضي الله عنه لما خرج الى المسجد للمبايعة قال هذا امركم ليس لاحد فيه حق الا من اردتم وقد افترقنا امس وانا كاره فابيتم الا ان اكون عليكم فقالوا نحن على ما افترقنا عليه بالامس قال اللهم اشهد · ثم بعد المبايعة خطب الناس ووعظهم ثم دخل بيته وذلك يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين

فصل

ثم ظهر القول واللغط في قتل الخليفة عثمان واقامة الحد والقود على من قتله فقال امير المؤمنين علي رضي الله عنه لا قدرة

لي الآن على ما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الامور فتؤخذ الحقوق . وهرب مروان وبنو امية الى الشام . واشار المغيرة بن شعبة على امير المؤمنين ان يبقي العمال والولاة حتى يستقر الامر فابى الا ان يعزلهم ثم جاء المغيرة في الغد وساله فاشار عليه بعزل العمال فجاء ابن عباس واخبره بخبر المغيرة فقال نصحك في الامس وغشك اليوم . قال علي فما الرأي عندك قال تقر معاوية الان فقال علي رضى الله عنه والله لا اعطيه الا السيف قال ابن عباس انت رجل شجاع ولست صاحب رأي في الحرب اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة قال بلى قال ابن عباس والله ان اطعتني لاتركنهم ينظرون في دبر الامور ولا يعرفون ما كان في وجوهها من غير نقصان عليك فقال علي يا ابن عباس لست من هنيئاتك وهنيئات معاوية في شيء فقال ابن عباس اطعني والحق بمالك بينبع واغلق بابك فان العرب تجول وتضطرب فلا تجد غيرك وان نهضت مع هؤلاء القوم يحملك الناس دم عثمان غداً فابى علي . «ليقضي الله امراً كان مفعولا» . قال علي لابن عباس سر الى الشام فقد وليتكها قال اذن يقتلني معاوية . وكان المغيرة يقول نصحته فلم يقبل . ثم ان معاوية جمع جنداً ليطالب بدم عثمان فبلغ امير المؤمنين

علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال اللهم اني ابرأ اليك من
دم عثمان وعزم على الخروج من المدينة الى الشام وامر بالتجهيز ودفع
اللواء الى ولده محمد ابن الحنفية واستخلف على المدينة تمام بن
العباس وعلى مكة قسم بن العباس وذلك سنة «٣٦» فلقيه عبد
الله بن سلام فقال يا امير المؤمنين لا تخرج من المدينة فوالله لئن
خرجت منها لايعود اليها سلطان المسلمين ابدا . فبدر الناس
اليه فقال دعوه فنعم الرجل من اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم . ولحقه ابنه الحسن عليه السلام ولامه وعذله في
خروجه فلم يقبل منه وتوجه امير المؤمنين بالجنود قاصداً الكوفة

فصل

واما خبر وقعة الجمل فان عائشة كانت قد خرجت من المدينة
الى مكة وعثمان محصور في بيته فقضت نسكها وارادت الرجوع
الى المدينة فبلغها ان عثمان قد قتل فتأسفت اسفاً شديداً وقالت
قتل عثمان مظلوماً ورجعت الى مكة فاجتمعت الغوغاء من القبائل
واهل الامصار وتكلم معها طلحة والزبير في مداركة هذا الامر.
واركبها يعلى بن منبه جملاً اسمه عسكر كان اشتراه بمائة دينار
وتوجهوا من مكة بنحو ثلاثة آلاف فيهم مروان وطلحة والزبير
وابان والوليد ولدا عثمان يطالبون بدم عثمان حتى مروا بمجل

فنبحت عليهم كلاب فسألت عائشة ما اسم هذا المحل قالوا ماء الحوأب فقالت ردوني واناخت بعيرها وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعري ايتكن تنبحها كلاب الحوأب. واقامت بهم يوماً وليلة الى ان قيل النجاء النجاء قد ادركم علي بالعسكر فارتحلوا نحو البصرة فجاء القعقاع فبدأ بعائشة فقال اى اماه ما اشخصك قالت اريد الاصلاح بين الناس وقرأت « لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس » ثم ذهب الى طلحة والزبير وقال لهما سألت ام المؤمنين ما اقدمها فقالت الاصلاح قالا كذلك قال فاخبروني ما هو الاصلاح قالا قتلة عثمان فانّ تركهم ترك للقرآن قال فقد قتلتم منهم ستمائة من اهل البصرة فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم حرقوص ابن زهير فمنعه ستة الاف فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمعت مضر وربيعة على حربكم فأين الاصلاح ؟ قالت عائشة فما تقول انت قال هذا الامر دواؤه التسكين فان سكن سكنت الامور فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير ولا تعرضونا للبلاء فتتعرض له فيصرعنا واياكم ، قالوا قد اصبت واحسنت فان قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الامر فرجع القعقاع

واخبر علياً فاعجبه واشرف القوم على الصلح · ثم خطب امير المؤمنين وامرهم بالرحيل من الغد وارادوا الانصراف فحضر قبائل من العرب بنو بكر بن وائل وعبد القيس واشاروا على عليّ بالمناجزة واجتمع جماعة على الزبير واشاروا عليه بالمناجزة فاعتذر كل منهما بما وقع بينه وبين القعقاع · ثم اجتمع عليّ والزبير فقال له عليّ اما بايعتني قال نعم والسيف على عنقي (يعني من اصحاب الفتنة الموجودين في المدينة وقت قتل عثمان) · ثم قال عليّ للزبير اتذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وانت له ظالم فقال اللهم نعم ولو ذكرت قبل مسيرى ماسرت ووالله لا اقاتلك ابدا فقال عليّ لاصحابه ان الزبير قد عهد ان لا يقاتلكم · ورجع الزبير الى عائشة وقال ما كنت في موطن منذ عقلت الا وانا اعرف امرى غير موطني هذا قالت فما تريد ان تصنع قال ادعهم واذهب · وكان مع عائشة من قبائل العرب نحو ثلاثين الفا ومع عليّ رضي الله عنه نحو عشرين الفا كلهم مسلمون فبات الذين يحبون الفتنة من الفريقين يتشاورون فاتفقوا على انشاب الحرب بين الناس فجاؤا في الغلس ولا يشعر بهم احد وباشروا الحرب فبعث طلحة والزبير رجلا يسأل ما هذا الذى وقع وسمع عليّ الضجة فقال ما هذا وركب ونادى في الناس ان كفوا فلم يرجعوا

والتحم القتال حتى انهزم اصحاب الجمل واصيب طلحة بسهم في
رجله ودخل البصرة الى ان توفي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين
عن ست وستين سنة من عمره . وهو ابو محمد طلحة بن عبيدالله
ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة لقب طلحة
الخير والجواد والفياض وهو من العشرة المبشرين بالجنة ومن
السابقين، اسلم هو وابو بكر فاخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية
وكان شديداً قوياً فشدهما في حبل ليمنعهما عن الصلاة فلما جاء
وقت صلاتهما انحل الحبل فانطلقا يصليان فلذا كانا يسميان
القرينين . هاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يشهد بدرا لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد
ارسله مع سعيد بن زيد الى طريق الشام يتجسسان الاخبار فلما
رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم لك اجرك وسهمك وأبلي يوم
أحد بلاءً عظيما . ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه كان يتقي
عنه النبل بيده حتى شلت يده وحمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ظهره ليصعد الصخرة فيراه الصحابة وآخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينه وبين الزبير بمكة ، وبينه وبين ابي ايوب
بالمدينة كان من اغنياء الصحابة كانت غلته كل يوم الف دينار ،
فلما رآه عليّ رضي الله عنه جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول

عزيز عليَّ ابا محمد ان اراك مجندلا تحت نجوم السماء، الى الله
اشكو عجري و بجري وترحم عليه · قيل رآه رجل في المنام يقول
له حولوني فقد اذاني الماء ، رأى ذلك ثلاث ليال فاخبر ابن عباس
فحفروه فاذا شقه الذي يلي الارض قد اخضر من نزّ الماء ولم
يتغير جسمه فاشتروا له دارًا بالبصرة ودفنوه فيها · ثم ذهب
الزبير الى وادي السباع بعد ان ذكره عليّ رضي الله عنه فمرَّ
بعسكر الاحنف وتبعه ابن الجرموز فكان يوانسه ويسالمه حتى اذا قام
يصلي غدر به فقتله ورجع بفرسه وسلاحه وخاتمه الى الاحنف
فقال والله ما ادري أأحسنت ام اسأت · وجاء عمرو بن الجرموز
الى عليّ رضي الله عنه وقال للحاجب استأذن لقاتل الزبير فقال عليّ
بشره بالنار ولم ياذن له · وهو ابو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد
ابن اسد بن عبد العزى بن قصي امه صفية بنت عبد المطلب
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اخي خديجة جدة
الاشراف، اسلم بعد ابي بكر بزمن يسير وهو ابن خمسة عشر سنة
وهو حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الهجرتين واول
من سل سيفا في سبيل الله شهد بدرا وأحد والمشاهد كلها وفتح
مصر كان من الاغنياء الاسخياء · كان له الف مملوك يؤدون
اليه خراجهم فكان يتصدق به وعمره سبع وستون سنة

وصل

ولما بلغت الهزيمة البصرة وراوا الخيل طافت بالجمل وشبت
الحرب ورموا الهودج بالنبال وصارت عائشة تستغيث وتكثر
الدعاء على قتلة عثمان وضج الناس بالدعاء فقال عليّ رضي الله عنه
ما هذا قالوا يدعون على قتلة عثمان فقال اللهم العن قتلة عثمان
واحاطوا بالهودج يحمونها وهم يتساقطون من السهام فنادى علي
اعقروا الجمل يتفرقوا فضربه رجل فسقط الجمل له صوت شديد ·
وجاء القعقاع وزفر بن معهما وحملوا الهودج ووضعوه على الارض
وهو كالقنفذ من السهام وامر عليّ رضى الله عنه بحمل الهودج
من بين القتلى وامر محمد بن ابي بكر ان يضرب عليها قبة وينظر
هل بها جراحات · واتاها عليّ رضى الله عنه وعنها فقال كيف
انت يا امه قالت بخير قال غفر الله لكِ قالت ولكَ · وجاء وجوه
الناس اليها وفيهم القعقاع بن عمرو فسلموا عليها فقالت وددت
اني مت قبل اليوم بعشرين سنة وقال عليّ رضي الله عنه مثل
قولها · ولما دخل الليل ادخلها اخوها محمد البصرة الى بيت صفية
بنت الحارث بن ابي طلحة من بني عبد الدار ام طلحة الطلحات ·
ثم صلى عليّ على القتلى من الجانبين و كانوا نحو عشرة آلاف قتيل ·
ثم دخل البصرة فبايعه اهلها، وبلغه ان بعض اهل الغوغاء عرّض

لعائشة بالقول والاساءة فاحضرهم واوجعهم ضرباً ٠ ثم جهزها
عليّ رضي الله عنه الى المدينة بما احتاجت اليه وبعثها مع اخيها
محمد وارسل معها اربعين من نسوة البصرة لمرافقتها ،وجاء يوم
ارتحالها فودعها واستعتبت له واستعتب لها ومشى معها اميالا وشيعها
بنوه مسافة يوم، وذلك في غرة رجب فذهبت الى مكة فقضت
الحج ثم رجعت الى المدينة

فصل

واما خبر وقعة صفين «وهو موضع قريب من الرقة على شاطىء
الفرات» فانه لما كانت محاصرة عثمان بالمدينة خرج عمرو بن
العاص منها الى فلسطين ومعه ابناه عبد الله ومحمد فلما بلغه الخبر
بقتل عثمان ارتحل يبكي كما تبكي النساء وقصد دمشق وبلغه بيعة
عليّ فاشتد الامر عليه واقام ينتظر ما يفعله الناس ثم بلغه سير
عائشة وطلحة والزبير وسمع ان معاوية بالشام لم يبايع عليا رضي
الله عنه فاستشار ابنيه في المسير الى معاوية فقال له عبد الله توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخان بعده وهم راضون عنك
فارى ان تكف يدك وتجلس في بيتك حتى تجتمع الناس، وقال
له محمد انت ناب من انياب العرب فكيف يجتمع هذا الامر وليس
لك فيه صيت ، فقال يا عبد الله امرتني بما هو خير لي في ديني ويا

محمد امرتني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي

فلما رجع علي رضي الله عنه من وقعة الجمل الى الكوفة اجمع على التوجه الى الشام بعسكره· وقد كان عسكر معاوية سلك شريعة الفرات فشكى الناس الى علي العطش فبعث صعصعة بن صوحان الى معاوية بانا سرنا ونحن عازمون على الكف عنكم حتى نعذر اليكم فسابقنا جندكم بالقتال ورأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وقد منعتم الماء والناس غير منتهين فابعث الى اصحابك يخلون عن الماء حتى تنظر بيننا وبينكم· فاشار عمرو بتخلية الماء واشار ابن ابي سرح والوليد بن عقبة بمنع الماء فتشاتم معهم صعصعة ورجع وجاء الاشعث بن قيس الى الماء فقاتلهم وجاء عليه الاشتر بجماعته فملكوا الماء وارادوا منعهم منه فنهاهم علي رضي الله عنه عن ذلك واقاموا يومين· ثم بعث علي الى معاوية يدعوه الى الطاعة وذلك اول ذى الحجة سنة ست وثلاثين فدخلوا على معاوية وتكلم معه بشير بن عمرو بعد ان حمد الله واثنى عليه امره بالموعظة الحسنة وناشده الله ان لا يفرق بين الجماعة ولا يسفك الدماء فقال هلا اوصيت صاحبك بذلك فقال بشير ليس مثلك هو احق بالامر بالسابقة والقرابة قال فما رأيك قال تجيبه الى ما دعا اليه بالحق قال معاوية ونترك دم عثمان لا والله لا افعله ابدا

فقال شبث بن ربعي يا معاوية انما طلبت دم عثمان تستميل به
هؤلاء السفهاء الطغام الى طاعتك ولقد علمنا انك ابطأت على
نصرة عثمان لطلب هذه المسألة فاتق الله ودع عنك ما انت
عليه ولا تنازع الامر اهله فاجابه معاوية بما لا يرضي وقال انصرفوا
فليس بيني وبينكم الا السيف فقال شبث اقسم بالله لنعجلنها لك
ورجعوا الى عليّ بالخبر فاقاموا يقتتلون ثم جاء المحرم فذهبوا الى
الموادعة حتى ينقضي طمعاً في الصلح . ثم جرت المخابرات والانذارات
والمواعظ من امير المؤمنين رضي الله عنه الى معاوية وهو يطاول
ويطلب قتلة عثمان فلما انسلخ المحرم نادى امير المؤمنين في الناس
بالقتال وعبّى الكتائب وقال لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فاذا هزمتموهم
فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا
ولا تأخذوا مالا ولا تهيجوا امرأة وان شتمتكم فانهنّ ضعاف
الانفس والقوى ثم حرضهم ودعا لهم . وكان مع علي رضي الله عنه
تسعون الفا وكان مع معاوية مائة وعشرون الفا كلهم مسلمون
فابتدأوا القتال مناوبة قبيلة لقبيلة الى خمسة ايام وخرج عمار بن
ياسر وقال اللهم اني لا اعمل عملا ارضى من جهاد هؤلاء
الفاسقين ثم نادى من سعى في رضوان الله فلا يرجع الى مال
ولا ولد فأتاه عصابة فقال اقصدوا بنا هؤلاء الذين يطالبون بدم

عثمان يخادعون بذلك عما في نفوسهم من الباطل حتى دنـا من
عمرو بن العاص وقال يا عمرو بعت دينك بمصر تباً لك فقال انما
اطلب دم عثمان قال أتشهد انك لا تطلب وجه الله . فالتحم القتال
حتى قتل عمار بن ياسر بن عامر المدلجي ثم العنسي من اجلاء الصحابة
ومن السابقين هو وابوه وامه شهد بدرا وأحدا والخندق وبيعة
الرضوان . قال صلى الله عليه وسلم « اقتدوا باللذين من بعدي
ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن ام عبد وقال
من عادى عمارا عاداه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله » فلما قتل
عمار حمل عليّ رضي الله عنه ومعه ربيعة ومضر وهمدان حملة
شديدة يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويح عمار تقتله
الفئة الباغية) فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض حتى بـلغوا
معاوية فناداه عليّ علامَ يقتل الناس بيننا هلمّ احاكمك الى الله
فاينا قتل صاحبه استقام له الامر فقال عمرو انصفك قال معاوية
لكنك ما انصفت ، ثم اشتد القتال وخرج الاشتر وقتل صاحب
رايتهم فلما راى عمرو شدة اهل عليّ وخاف من الهلاك قال
لمعاويـة مر الناس يرفعوا المصاحف على الرماح ويقولوا كتاب
الله بيننا وبينكم فانه يرتفع القتال ففعلوا فقـال الناس نجيب الى
كتاب الله وقال عليّ ياعباد الله امضوا على حقكم فان معاوية

وابن ابي معيط وابن ابي سرح والضحاك ليسوا باصحاب دين
ولا قرآن انا اعرف بهم صحبتهم اطفالاً ورجالاً فكانوا شر اطفال
وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها الا مكيدة وخديعة فقالوا لا
يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فلا نقبل فقال انما قاتلناهم ليدينوا
بكتاب الله فقال مسعر بن فك التيمي وزيد بن حصين الطائى
في عصابة صاروا بعد ذلك خوارج يا عليّ اجب الى كتاب
الله والا دفعنا برمتك الى القوم وفعلنا بك ما فعلناه بابن عفان
فقال ان تطيعوني تقاتلوا وان تعصوني فافعلوا ما بدا لكم قالوا
فابعث الى الاشتر فكفه عن القتال فبعث اليه فابى وقال قد
رجوت ان يفتح الله لي، وبعث الاشعث بن قيس الى معاوية لاي
شيء رفعتم المصاحف قال لنرجع نحن وانتم الى ما امر الله في
كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونحن نبعث رجلا اخر وناخذ عليهما
ان يعملا بكتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الاشعث رضينا
وقبلنا فرضي اهل الشام عمرو بن العاص فقال الاشعث والقراء
الذين صاروا خوارج رضينا بابي موسى الاشعري فقال عليّ لا
لا ارضاه فقالوا لا نرضى الا به فقال عليّ انه فارقني فقالوا لا
نرضى الا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء قال فاصنعوا ما بدا
لكم فبعثوا الى ابي موسى وكان قد اعتزل القتال فقالوا له ان الناس

قد اصطلحوا لحمد الله قالوا وقد جعلوك محكما فاسترجع وجاء
ابو موسى الى العسكر وطلب الاحنف بن قيس من علي ان يكون
معه فابى الناس ذلك · وحضر عمرو بن العاص عند علي
لكتابة القضية فكتبوا بعد البسملة : هذا ما تقاضى عليه امير
المؤمنين، فقال عمرو ليس هو باميرنا فقال الاحنف اني اتطير
؛ وها فمكث مليا فقال الاشعث امحها فقال عليّ رضى الله عنه
(الله اكبر)· وذكر قصة الحديبية وقول النبي صلى الله عليه وسلم
لعليّ انك ستدعى الى مثلها فتجيبها · فكتب هذا ما تقاضى عليه
علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان قاضى عليّ على اهل
الكوفة ومن معهم ومعاوية على اهل الشام ومن معهم انا ننزل عند حكم
الله و كتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته
الى خاتمته نحيي ما احيا ونميت ما امات مما وجد الحكمان في
كتاب الله وهما ابو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص
ومالم يوجد في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة واخذ
الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق انهما
آمنان على انفسهما واهلهما والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان
عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله ومثياقه
ان يحكما بين هذه الامة ولا يورداها في حرب ولا فرقة حتى

يقضيا . ثم اجلا القضاء الى شهر رمضان وان مكان قضيتهما مكان عدل بين اهل الكوفة واهل الشام وشهد رجال من اهل العراق ورجال من اهل الشام ووضعوا خطوطهم في الصحيفة وارّخو الكتاب لثلاث عشرة خلت من صفر سنة (٣٧) واتفقوا على ان يوافي على موضع الحكمين بدومة الجندل او باذرح في شهر رمضان . ورجع عليّ رضي الله عنه وقومه حتى دخلوا الكوفة ولم يدخل معه الطائفة التي صارت فيما بعد من الخوارج ورجع الناس من صفين وكان اقامة الجميع بصفين مائة وعشرة ايام كان فيها بين الفريقين تسعون وقعة واحصيت القتلى من الجانبين فكانوا من قوم معاوية خمسة واربعين الفا ومن قوم علي رضي الله عنه خمسة وعشرين الفا من صحابة وتابعين، منهم ست وعشرون رجلا من اهل بدر، والى الله المشتكى واليه يرجع الامر كله

تكميل

اعلم ان ما تقدم وحصل بين امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه وبين معاوية بن ابى سفيان واصحابهما من القيل والقال والمحاربة والجدال الناشيء عن العصبية البشرية والحمية الدينية لا يخرجهم عن الكمال والاسلام ولا ينقص

فضل صحبتهم بخير الانام عليه افضل الصلاة والسلام على ان معشر اهل الحق من اهل السنة والجماعة يعتقدون ان معاوية كان مخطئاً بغى على الامام الحق عليّ بن ابي طالب لسبق البيعة والخلافة له رضي الله عنه وهو مصيب بمحاربة معاوية واصحابه بحكم قتال اهل البغي من المسلمين ولذا لم يعاملهم معاملة المرتدين ولا الكافرين وان عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم قد رجعوا عن خطأهم بخروجهم في وقعة الجمل على امير المؤمنين وقد ندموا على خروجهم متأسفين والندم توبة من الخطيئة ، فاتبع الحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله والله اعلم

فصل

واما قصة الخوارج فانه لما دخل عليّ رضي الله عنه الكوفة لم يدخل معه الخوارج بل ذهبوا الى حروراء «قرية من اعمال الكوفة» فنزلوا بها وكانوا اثنى عشر الفا وخرجوا على عليّ ومعاوية وعلى الناس كلهم لكونهم رضوا بالتحكيم وجعلوا عبيد الله بن الكوا اليشكرى اميرا عليهم فبعث عليّ عبد الله بن عباس فقال لهم عبد الله ما نقمتم من امر الحكمين وقد امر الله بهما بين الزوجين فكيف بالامة فقالوا له لايكون هذا بالرأى والقياس قال ابن

عباس قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم قالوا والاخرى كذلك وليس امر الصيد والزوجين كدماء المسلمين . ثم جاء عليّ رضي الله عنه فقال لهم من زعيمكم قالوا ابن الكوا قال فما هذا الخروج قالوا الحكومتكم يوم صفين قال انشدكم الله اتعلمون انه لم يكن برأيي وانما كان برأيكم مع انى اشترطت على الحكمين ان يحكما بحكم القرآن فان فعلا فلا ضير وان خالفا فلا خير ونحن برآء من حكمهم قالوا فتحكيم الرجال في الدماء عدل قال انما حكمنا القرآن الا انه لا ينطق وانما يتكلم به الرجال قالوا فلم جعلتم الاجل بينكم قال لعل الله تعالى يأتي فيه بالهدنة بعد افتراق الامة فرجعوا الى رايه .

فصل

ولما انقضى الاجل وحان وقت اجتماع الحكمين بعث عليّ رضي الله عنه اربعمائة رجل فيهم ابو موسى وعبد الله بن عباس ليصلي بالناس ولم يحضر عليّ رضي الله عنه وبعث معاوية عمرو ابن العاص في اربعمائة رجل وجاء معاوية واجتمعوا بدومة الجندل وشهد معهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة واجتمع الحكمان وتفاوضا . فطلب عمرو من ابي موسى ان يجعل الامر الى معاوية فابى وقال لم اكن اوليه وادع المهاجرين

الاولين وطلب ابو موسى من عمرو ان يجعل الامر الى عبد الله
ابن عمر بن الخطاب فابى عمرو فقال عمرو ما ترى انت قال
ارى ان نترك عليا ومعاوية ونجعل الامر شورى بين المسلمين
يختارون من يشاؤن فاظهر له عمرو ان هذا هو الرأي ثم اقبلا على
الناس وقد اجتمعوا ينتظرون وكان عمرو قد عهد الى ابي موسى ان
يتقدمه في الكلام لما له من الصحبة والسنّ فقال يا ابا موسى أعلم
الناس ان رأينا قد اتفق فقال انا رأينا امرا نرجو الله ان يصلح به
الامة فجاء اليه عبد الله بن عباس وقال له ويحك اظنه خدعك فاجعل
له الكلام قبلك فابى فصعد ابو موسى وقال ايها الناس انا نظرنا
في امر الامة فلم نرَ اصلح لهم مما اتفقنا عليه وهو ان نترك عليا
ومعاوية ويولي الناس امرهم من احبوا واني قد تركتهما فولوا
من رأيتموه اهلا . فجاء عمرو وقال ان هذا قد ترك صاحبه وقد
تركته كما تركه واثبتّ معاوية فهو ولي ابن عفان واحق الناس
بمقامه فقال له ابو موسى لا وفقك الله مالك غدرت وفجرت وركب
ابو موسى ولحق بمكة حياء . وانصرف عمرو واهل الشام الى
معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع عبد الله بن عباس بالخبر الى
عليّ رضي الله عنه فمن ذلك اخذ امر عليّ بالضعف وامر
معاوية بالقوة .

فصل

ولما عزم عليّ رضي الله عنه ان يبعث ابا موسى للحكومة اتاه زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي من الخوارج فقال لعليّ تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم فقال عليّ قد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وعاهدناهم فقال حرقوص ذلك ذنب ينبغي التوبة منه فقال عليّ ليس بذنب ولكنه عجز عن الرأي فخرجا من عنده يناديان لا حكم الا لله ، فخطب عليّ يوماً فتنادوا من جوانب المسجد لا حكم الا لله · فقال علي الله اكبر كلمة حق اريدَ بها باطل فقال عليّ اما ان لكم ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله تذكرون فيها اسمه ولا نقاتلكم حتى تبدأونا وننظر فيكم امر الله ·

ثم اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فوعظهم وحرضهم على الخروج الى بعض النواحي لانكار هذه البدعة بزعمهم وتبعهم حرقوص بن زهير واختاروا منهم عبد الله بن وهب فبايعوه وذلك لعشر خلت من شوال سنة (٣٧)

ولما عزموا على المسير وكان عليّ رضي الله عنه قد جمع الجيوش لقتال اهل الشام بلغه ان الناس يرون قتال الخوارج اولاً اهمّ من قتال اهل الشام فقال عليّ ان قتال اهل الشام اهمّ لانهم

يقاتلونكم ليكونوا ملوكا جبارين و يتخذون عباد الله خولا فرجعوا
الى رأيه . فبينما هو على عزم المسير الى اهل الشام بلغه ان
الخوارج لقوا عبد الله بن خباب من الصحابة فعرفهم بنفسه فسألوه
عن ابي بكر وعمر فاثنى خيرا ثم سألوه عن عثمان اول خلافته
وآخرها فقال كان محقاً في الاول والآخر وسألوه عن عليّ قبل
التحكيم وبعده فقال هو اعلم بالله واشد توقيـاً على دينه فذبحوه
وبقروا بطن زوجته فتأسف عليّ من ذلك فبعث رجلا لينظر
فيما بلغه فقتلوه فقال اصحابه كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم
فوافقهم عليّ رضي الله عنه وساروا الى الخوارج فلما التقوا شرع
(رضي الله عنه) بوعظهم وتحذيرهم . ثم قـال من انصرف الى
الكوفة والمدائن فهو آمن فاعتزل منهم نحو خمسمائة وخرج منهم
آخرون الى الكوفة ورجع منهم آخرون الى عليّ وبقي منهم نحو
الف وثمانمائة فحمل عليهم حملة فهلكوا كلهم في ساعة واحدة .
فأمر عليّ ان يلتمس الرجل المخدوع في قتلاهم وهو الذي ذكره
النبي صلى الله عليه وسلم فوجدوه في القتلى فقال عليّ رضي الله
عنه الله اكبر . واخذ ما في عسكرهم من السلاح والدواب فقسمه
بين المسلمين ورد عليهم المتاع والاماء والعبيد

تبيين

روى البخاري من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ذات يوم قسما فقال ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم يا رسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقال عمر رضي الله عنه ايذن لي ان اضرب عنقه فقال لا ان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية (١) ينظر الى نصله (٢) فلا يوجد فيه شيء وينظر الى رصافه (٣) فلا يوجد فيه شيء وينظر الى نضيه (٤) فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى قذذه (٥) فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم يخرجون على حين فرقة من الناس . آيتهم رجل احدى ثديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة (٦) تدردر (٧) قال ابو سعيد اشهد

---

(١) الرمية بفتح الراء وتشديد المثناة التحتية هي الطريدة المرمية (٢) النصل حديدة تكون في السهم (٣) الرصاف بكسر الراء واحدها رصفة بالتحريك وهي العقبة التى تلوى فوق رعظ السهم اذا انكسر (٤) النضي بفتح النون وكسر المعجمة وتشديد المثناة التحتية نصل السهم قبل النحت (٥) القذذ ريش السهم واحدها قذة بضم القاف شبه مروق الخوارج من الدين وخلوه منه بذلك (٦) البضعة بفتح الموحدة القطعة من اللحم (٧) وتدردر اصله تتدردر اي تتحرك وتترجرج تجيء وتذهب . اه

لسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد انى كنت مع علي رضي الله عنه حين قاتلهم فالتمس في القتلى فأُتي به على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذو الخويصره التميمي اسمه حرقوص ابن زهرة المتقدم وهو اصل الخوارج. وهو غير ذو الخويصرة اليمانى الذي بال في المسجد وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ادخلني الله واياك الجنة ولا ادخلها غيرنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك قد احتظرت واسعاً يا اخا العرب

فصل

واما خبر مقتل امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه فانه اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي وعمرو بن بكير التميمي والبرك بن عبد الله التميمى واسمه الحجاج فتذاكروا في شأن المقتولين بالنهروان وقالوا لو قتلنا ائمة الضلالة ارحنا العباد. فقال ابن ملجم انا اكفيكم عليّ بن ابي طالب وقال البرك انا اكفيكم معاوية بن ابي سفيان وقال عمرو ابن بكير انا اكفيكم عمرو بن العاص فتعاقدوا وتعاهدوا واتخذوا سيوفاً مسمومة وتواعدوا لسبع عشرة ليلة من شهر رمضان سنة (٤٠)، فوثب ابن ملجم وقد خرج عليّ رضي الله عنه الى صلاة الصبح فضربه بالسيف في جبهته فمسكوه واحضروه مكتوفاً بين

بدي عليّ رضي الله عنه فقال اي عدو الله ماحملك على هذا قال
شحذته اربعين صباحاً وسألت الله ان يقتلك به قال اراك
مقتولا به ثم قال عليّ رضي الله عنه ان هلكت فاقتلوه وان بقيت
رأيت فيه رأيي يابني عبد المطلب لا تحرضوا على دماء المسلمين
وتقولون قتل امير المؤمنين لا تقتلوا الا قاتلي . ثم دعا الحسن
والحسين ووصاهما فقال اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان
بغتكما ولا تأسفا على شيء زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم
واعينا الصانع وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصراً واعملا بما في
كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم وقال لمحمد ابن الحنفية
اوصيك بمثل ذلك وتوقير اخويك لعظيم حقهما عليك ولا تقطع
امرا دونهما ووصاهما به . واما البرك بن عبد الله فانه وثب على
معاوية في تلك الليلة فضربه بالسيف فوقع في اليه فامسكوه
فقال لمعاوية اني ابشرك فلا تقتلني فقال بماذا فقال ان رفيقي قتل
عليا هذه الساعة فقال معاوية لعله لم يقدر عليه قال بلى ان عليا
ليس معه من يحرسه فقتله معاوية فمن ذلك اتخذ معاوية المقصورة
وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا سجد . واما عمرو بن
بكير فانه جلس تلك الليلة لعمرو بن العاص فلم يخرج للصلاة
وامر خارجة بن ابي حبيبة صاحب شرطته ان يصلي بالناس

فخرج وضربه عمرو بن بكير فقتله بظنه عمرو بن العاص فاخذوه الى عمرو بن العاص فقال من هذا قالوا عمرو بن العاص فقال قتلت من؟ قالوا خارجة فقال اردت عمرا واراد الله خارجة. وعليه قيل

وليتها اذ فدت عمراً بخارجة
فدت علياً بما شاءت من البشر

ثم امر عمرو بقتله فقتل

وصل

كانت وفاة امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه لاحدى عشرة من شهر رمضان سنة اربعين عن ثلاث وستين او تسع وخمسين سنة من عمره فكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر. فتولى غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن عليه السلام ودفن سحرا قيل فيما يلي قبلة مسجد الكوفة وقيل عند قصر الامارة وقيل بالنجف والصحيح انهم غيبوا قبره الشريف خوفاً عليه من الخوارج. واولاده رضي الله عنه الحسن والحسين ومحسن (مات صغيرا) وزينب وام كلثوم تزوجها عمر بن الخطاب من ابيها ليتبرك بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الخمسة من فاطمة الزهراء بنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وله اولاد من غيرها وهم العباس وجعفر وعبد
الله وعثمان وعبد الله وابو بكر ومحمد الاصغر ويحيى وعمر ورقية
ومحمد الاوسط ومحمد الاكبر المعروف بابن الحنفية وام حسن
ورملة الكبرى وام هانىء وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى
وام كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وام الكرام وام سلمة
وام جعفر وجمانة ونفيسة فجملة اولاده الذكور اربعة عشر لم يعقب
منهم الا خمسة الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية والعباس وعمر
عاش خمساً وثمانين سنة ومات بينبع وحاز نصف ميراث ابيه

وصل

بعد ان توفي عليّ رضي الله عنه اجتمع اصحابه فبايعوا ولده ابا محمد
الحسن بن عليّ بن ابي طالب بن عبد المطلب سبط رسول الله صلى
الله عليه وسلم وريحانته كان عاقلاً ذكياً ناسكاً سرياً متعبداً احج
مرات ماشيا ونجائبه تنقاد بين يديه . اول من بايعه قيس بن
سعد فقال ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين
فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله فانهما ثابتان ثم بايعه
الناس فاشترط عليهم السمع والطاعة ومحاربة من حارب ومسالمة
من سالم فقال بعضهم لبعض ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال
فلما بلغ معاوية انهم بايعوا الحسن زحف في اهل الشام لجهة الكوفة

وسار الحسن في الجيش للقائه ومعه عبد الله بن عباس فلما نزل الحسن في المدائن شاع في عسكره ان قيس بن سعد قتل فحصل هيجان حتى جاءوا الى سرادق الحسن ونهبوا ما حوله ونزعوا البساط الذي كان عليه وسلبوا ردائه فقامت ربيعة وهمدان يحامون عنه فنفر قلبه من احوالهم فكتب الى معاوية بانه يتنازل له عن الامر على ان يعطيه ما في بيت المال بالكوفة وكان خمسة آلاف الف وان يعطيه خراج دار ابجرد من فارس وان يكون الامر له بعد معاوية وان لا يطالب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء من قتلة عثمان مما كان في ايام ابيه عليّ رضي الله عنهما وان يمكنه من بيت المال يا خذ ما يحتاجه منه وان لا يشتم علياً وهو يسمع · فلما بلغ الحسين وعبد الله بن جعفر عذلاه في ذلك فلم يلتفت اليهما، فوصلت صحيفته الى معاوية فامسكها وكان قد بعث معاوية عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة الى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء فيها ختم معاوية وكتب له ان اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فاشترط فيها ما تقدم وزاد اشياء · فلما وصلت الى معاوية فرح بذلك · فلما طالبه بالشروط اعطاه ما في الصحيفة الاولى وقال هذا الذى طلبت اولا ·

ثم ان الحسن عليه السلام خطب الناس وقال سخى[1] نفسى عنكم ثلاث قتل ابي وطعني وانتهاب بيتي الا وقد اصبحتم بين قبيلين قبيل بصفين يبكون له وقبيل بالنهروان يطلبون ثاره فاما الباقي فخاذل واما الباكي فثائر. وان معاوية دعانا الى امر ليس فيه عزولا نصفة فان اردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله تعالى بظبات سيوفنا وان اردتم الحياة قبلنا واخذنا لكم الرضاء فناداه الناس البقية البقية. فامضى الصلح وتنزل عن الامر وبايع لمعاوية وكان عمر معاوية وقتئذ ستاً وستين سنة وذلك في ربيع الاول او الآخر او جمادى الاولى سنة (٤١)

ثم دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس واستقر الامر لمعاوية ووقع الاتفاق عليه وسمي ذلك العام عام الجماعة وارتاحت الناس وظهرت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم (بقوله مشيراً الى الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) وظهرت معجزته صلى الله عليه وسلم ايضاً بقوله «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا» . فكان من خلافة ابي بكر الى يوم تنزل الحسن عن الخلافة ثلاثين سنة

ثم ان الشيعة غضبوا من فعل الحسن وكانوا يقولون يا عار المؤمنين

---

(١) سخى نفسي عنكم اي جعل نفسي تسخو بكم وتتركم

سودت وجوه المؤمنين فقال العار خير من النار ولست مذل المؤمنين لكنى كرهت ان اقتلكم بطلب الملك فان جماجم العرب كانت بيدى يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت تركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين · جزاه الله عن الامة خيرا · ثم توجه الحسن عليه السلام من الكوفة في اهله وعياله وحشمه الى المدينة المنورة معظما مكرما وخرج اهل الكوفة لوداعه باكين لفراقه ولم يزل مقيما بالمدينة المنورة الى ان توفي بها سنة تسع واربعين وقيل احدى وخمسين عن سبع واربعين سنة من عمره، كانوا ارادوا ان يدفنوه في الحجرة الشريفة فمنعهم مروان ابن الحكم وكادت تكون فتنة بين الهاشميين والامويين فتدارك هذا الامر العقلاء ثم دفنوه بالبقيع في قبة العباس رضي الله عنه وعن جميع اهل البيت والصحابة والتابعين لهم باحسان · هذا خلاصة ماذكره اصحاب التحقيق من المؤرخين وان كثر القال والقيل في هذا الباب من اهل الزيغ والارتياب · والله الموفق للصواب ·



الباب الثاني

في ذكر دولة الامويين

ينتسبون الى امية بن عبد شمس بن عبد مناف وهم قسمان قسم منهم المقيمون بدمشق وهم اربعة عشر خليفة ومدة خلافتهم فيها نحو ثمانين سنة وهي الف شهر وقسم منهم كانوا بالاندلس ·

الاول منهم معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ولد بالخيف من منى وامه هند بنت عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف اسلم قبل ابيه وشهد حنينا ، كان طويلا ابيض جميلا مهيباً كثير الحلم كان عمر بن الخطاب اذا رآه يقول هذا كسرى العرب قال معاوية ما زلت اطمع بالخلافة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي اذا ملكت فاحسن ويروى فاسجح · بويع له بالخلافة يوم تنزل الحسن عليه السلام عن الخلافة سنة (٤١)

كان قبل الخلافة عاملا على الشام لعمر بن الخطاب ولعثمان ابن عفان مدة عشرين سنة · ولما عزله علي بن ابي طالب رضي الله عنه تغلب على الامر الى ان تنزل عنه الحسن وبايعه الناس

وصار خليفة ٠

وصل

في سنة تسع واربعين جهز معاوية الجيوش وارسل جيشاً كثيفاً لغزو بلاد الروم وجعل عليهم سليمان بن عوف الازدي وفي الجيش عبد الله بن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري ويزيد بن معاوية فدوخوا الروم واوغلوا في ارضهم وفتحوا بلادا وحصونا وحاصروا قسطنطينية واستشهد ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه ودفن بالقرب من سورها ثم صالحوهم ورجعوا ٠ وفي سنة خمسين ارسل معاوية عقبة بن نافع الفهري في جيش لغزو افريقية وكان مقيما ببرقة وزويلة منذ فتحها عمرو ابن العاص فلما استعمله معاوية انضم اليه من اسلم من البربر فكثر جمعه فباشر الغزو وفتح فتوحات كثيرة ورأى ان يتخذ هناك مدينة يجعل بها معسكرا للمسلمين ليأمنوا من ثورات العدو فقصد موضع القيروان وكانت اجمة مشتبكة فقطع ما بها من الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبني فيها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجد فيها واتسعت دائرة الاسلام وانتشر في تلك البلاد ٠

وفي سنة اثنين وخمسين فتحت رودس فتحها جنادة بن ابي

امية الازدي واستلمها المسلمون · ثم توفي معـاوية بدمشق في نصف رجب سنة (٦٠) وصلى عليه الضحاك الفهري لغيبة ابنه يزيد ببيت المقدس ودفن بين الجابية وباب الصغير عن سبع وسبعين سنة من عمره، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر كان اميرا وخليفة اربعين سنة

الثاني من الامويين

يزيد بن معاوية (عليه ما يستحق)

وُلد سنة خمس وعشرين كان ضخماً كثير الشعر كثير اللحم وامه ميسون بنت مجدل الكلبية بويع له بالخلافة يوم مات ابوه وقد كان استخلفه قبل موته وكتب الى البلاد فبايعوه ولم يبايعه الحسين بن علي عليه السلام ولا عبد الله بن الزبير · ثم ان اهل الكوفة لما بلغهم موت معاوية وخلافة يزيد كتبوا كتاباً الى الحسين عليه السلام يدعونه اليهم ليبايعوه فكتب اليهم جواباً مع القاصد وسيّر معه ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب فلما وصل اليهم اجتمع الشيعة عليه واخذ عليهم العهد والميثاق بالبيعة للحسين وان ينصروه ويحموه · ولما اراد الحسين المسير الى العراق نهاه اصحاب الرأي والعقل كابن عباس وابن عمر وغيرهما وحذروه من غدر اهل العراق وذكروه ما وقع منهم لابيه معهم فلم يلتفت الى قولهم

ولم يتمه « ليقضي الله امراً كان مفعولا » . فتوجه وقد بلغ خبر
توجهه يزيد فولى العراق عبيد الله ابن زياد وامره بمقابلة وقتال
الحسين فدخل بن زياد الكوفة قبل الحسين وظفر بمسلم بن عقيل
فقتله وارسل جيشاً لملاقاة الحسين وامر عليهم عمر بن سعد وكان
الحسين وصل مع اصحابه الى كربلاء وحط اثقاله في ذلك المكان
ولم يجد احدا من اهل العراق ممن كاتبه . فلما التقى الحسين
مع عمر بن سعد قال الحسين رضي الله عنه لعمر بن سعد ومن
معه اختاروا مني واحدة من ثلاث ، اما ان تدعوني فالحق
بالثغور او اذهب الى يزيد او انصرف حيث جئت فقبل ذلك
عمر بن سعد ولم يقبل ابن زياد وقال حتى يضع يده في يدي
فقال الحسين لا يكون ذلك ابدا . فلما اصبح الصباح وكان يوم
عاشوراء المحرم تهيأ عمر بن سعد ومن معه وتهيأ الحسين ومن
معه وكانوا اثنين وثلاثين فارسا واربعين راجلا ، والتحم القتال
واشتد الامر فانهزم اصحاب الحسين وقتل اكثرهم وفيهم بضعة
عشر شابا من اهل بيته واشتدت الحرب وهو رضي الله عنه يدافع
عن يمينه وشماله حتى ضربه زرعة بن شريك على يده اليسرى
وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن انس بالرمح فوقع على
الارض ونزل اليه شمر فاخذ رأسه وسلمه الى خول الاصبحي ،

ووجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة
واربع وثلاثون ضربة رضي الله عنه وارضاه

وصل

ثم ان عبيد الله بن زياد جهز الرأس الشريف (وعليّ بن
الحسين ومن معه من حرمه بحالة تقشعر منها ومن ذكرها الابدان
والقلوب وترتعد منها مفاصل الانسان بل فرائص الحيوان) الى
البغيض يزيد بن معاوية مع شمر بن ذي الجوشن فلما دخلوا على
يزيد واخبروه بما وقع دمعت عيناه وقال كنت اقنع من
طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة . اما والله لو اني
صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ولم يصله بشيء ثم غسلوا
الرأس الشريف وجعلوه في طست من ذهب فجعل يزيد ينكت
ثناياه بقضيب في يده فقال له ابو برزة الاسلمي تنكت بقضيبك
في ثغر الحسين والذى لا اله الا هو لقد رأيت شفتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقلبهما اما انك يا يزيد تجيء
يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجيء هذا وشفيعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قام وولى، ودفن جسده الشريف بكربلاء
واختلف في محل رأسه الشريف فقيل دفن بدمشق وعليه
اكثر المؤرخين وقيل وجهه يزيد فدفن بالمدينة عند اخيه الحسن

عليهما السلام

ثم ان يزيد وجه الذرية صحبة علي بن الحسين رضى الله عنه وبعث معهم النعمان بن بشير مع ثلاثين رجلا حتى انتهوا الى المدينة وليس للحسين عليه السلام من الذكور الا علي هذا وهو المعروف بزين العابدين فكل ذرية الحسين منه عليهم السلام

استطراد

الائمة الاثنا عشر على رأي الامامية من الشيعة

اولهم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وقد تقدم ذكرهم والرابع علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب يكنى ابا الحسن وابا محمد وابا بكر لقب بزين العابدين وامه غزالة وكان اسمها (شهرباتو) بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس توفي بالمدينة سنة اربع وتسعين عن ثمان وخمسين سنة ودفن بالبقيع في قبة العباس والخامس محمد بن علي بن الحسين وامه ام عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب يكنى ابا جعفر ولقب بالباقر لانه بقر العلم اي شقه وتوسع فيه . توفي بالمدينة سنة سبع وعشرين ومائة ودفن بالبقيع في قبة العباس عن ستين سنة من عمره . والسادس جعفر بن محمد الباقر يكنى ابا عبد الله لقب بالصادق وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وام ام فروة اسماء بنت

عبد الرحمن بن ابي بكر ولذا كان يقول جعفر الصادق : ولدني ابو بكر مرتين · ولد بالمدينة سنة (٨٠) في العشر الاوسط من ربيع الاول وتوفي بالمدينة سنة ثمان واربعين ومائة ودفن في قبة العباس وله خمسة اولاد محمد واسماعيل وعبد الله وموسى وعلي ، والسابع موسى بن جعفر الصادق يكنى ابا الحسن ولقب بالكاظم ولد بالابواء بين مكة والمدينة سنة (١٢٨) وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة ودفن ببغداد ، والثامن علي بن موسى الكاظم يكنى ابا الحسن ولقب بالرضي ولد بالمدينة سنة (١٥٣) وتوفي ببلاد طوس في قرية سناباد من رستاق قوجاز وقبره في الجهة القبلية من قبر هارون الرشيد في قبته المعروفة وذلك في رمضان سنة ثمان ومائتين ، والتاسع محمد بن علي الرضا يكنى ابا جعفر ولقب بالتقي والجواد · ولد بالمدينة سنة (١٩٥) وتوفي ببغداد سنة عشرين ومائتين وقبره خلف قبر جده الكاظم · والعاشر علي بن محمد النقي يكنى ابا الحسن ولقب بالهادي ولد بالمدينة سنة (٢١٤) وتوفي في (سر من رأى) سنة اربع وخمسين ومائتين وقبره في داره التي بناها في سر من رأى ويقال ان مشهده بقم وليس بصحيح وهذا المشهد الذى بقم مشهد فاطمة بنت موسى الكاظم ، والحادى عشر الحسن بن علي الهادي يكنى ابا محمد ولقب بالزكي والخاص والسراج مشهور

بالعسكري ولد بالمدينة سنة (٢٣١) وتوفي في سر من رأى سنة ستين ومائتين وقبره بجنب ابيه . والثاني عشر محمد بن الحسن ابن علي بن محمد بن علي الرضا يكنى ابا القاسم ولقب بالحجة وبالقائم وبالمهدي وبالمنتظر وبصاحب الزمان وهو خاتم الائمة . ولد في سر من رأى سنة (٢٥٨) . يقول الشيعة انه دخل السرداب في دار ابيه في سر من رأى وامه تنظر اليه ثم لم يخرج الى الآن وذلك سنة ست وستين ومائتين وعمره سبع اوثماني سنين . وهو المهدي المنتظر يخرج آخر الزمان على زعمهم . وسر من رأى مدينة بالعراق من اعمال بغداد بناها المعتصم ونقل اليها العسكر سنة (٢٢٠) وسماها العسكر وتسمى عند الشيعة سامن رأى وتخفف فيقال سامرا والله اعلم

فصل

ثم ان بعد قتل الحسين عليه السلام ظهر عبد الله بن الزبير وبايعه اهل مكة والمدينة والحجاز وتهامة والعراق ونقضوا بيعة يزيد فلما بلغ يزيد بن معاوية (عليه ما يستحق) جهز جيشاً وامّر عليهم مسلم بن عقبة المزني وامره بمحاربة ابن الزبير وقال له اجعل طريقك على المدينة فان حاربوك فحاربهم وان ظفرت بهم فابحها ثلاثا فسار مسلم بالعسكر حتى نزل الحرة فخرج اهل المدينة

فعسكروا بها فدعاهم مسلم ثلاثاً فلم يجيبوا فقاتلهم وقتل امير المدينة عبد الله بن حنظلة وسبعمائة من المهاجرين والانصار ولم يبق بدري بعد ذلك ٠ ودخل مسلم المدينة فانتهبها عسكره ثلاثة ايام ٠ وافتض فيها نحو الف عذراء « فانا لله وانا اليه راجعون » وقد جاء في الحديث (من اخاف اهل المدينة اخافه الله وكانت عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) رواه مسلم

ثم توجه الجيش الى مكة وكتب الى يزيد بما فعل فلما بلغ مسلم ابن عقبة (هرشا) (وهو اسم مكان بين الحرمين) حصلت له علة فهلك في الطريق فتولى الجيش الحصين بن نمير فسار حتى رأى مكة فتحصن ابن الزبير في المسجد الحرام فنصب الحصين المنجنيق على ابي قيس ورمى الكعبة المعظمة فاحترقت استار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذى فدي به اسماعيل

فبينما هم كذلك جاء الخبر بموت يزيد بن معاوية فارسل الى ابن الزبير يسأله الموادعة فأجابه الى ذلك فدخل مكة واختلط العسكران يطوفان بالبيت ٠ ثم انصرف الحصين بالعسكر وذلك سنة اربع وستين

توفي يزيد بذات الجنب بحوارين وحمل الى دمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره مزبلة يرجم بالحجارة وعمره سبع وثلاثون

سنة . وخلافته ثلاث سنين وتسعة اشهر

الثالث من خلفاء بني امية

هو معاوية بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان، بويع له يوم موت ابيه كان شاباً صالحاً ذا عقل ودين زاهدا راغباً في الاخرة . فلما بويع نظر في الامور والاحوال فوجد انه لا يمكن اصلاحها الاّ بالسيف فجمع الناس وخطبهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال معاشر الناس اني قد نظرت في امركم واني قد ضعفت عن القيام به والساخط عليَّ اكثر من الراضي وما كنت لأتحمل اثقالكم ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا اوزاركم والقاه بدمائكم فشأنكم امركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه فلقد خلعت بيعتي من اعناقكم والسلام . فاجتمعت عليه بنوامية وقالوا له اعهد الى من تريد فقال ما اصبت من حلاوتها فلا اتحمل من مرارتها . ودخلت عليه امه فوجدته يبكي فقالت له ليتك كنت حيضة فلم اسمع بخبرك فقال وددت والله ذلك ويلي ان لم يرحمني ربي، ثم توفي بعد اربعين ليلة من ذلك عن ثلاث وعشرين سنة . وصلى عليه اخوه عبد الرحمن ودفن خارج باب الجابية . وظهر ابو انيس الضحاك بن قيس الفهري ودعا الناس الى بيعته فخرج عليه مروان بن الحكم مع جماعة من بني امية فقتلوه بمرج

راهط ٠

الرابع من خلفاء بني امية

هو مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس ابن عبد مناف ٠ بويع له بالخلافة بالجابية ثم دخل دمشق فاذعنوا له بالطاعة ثم دخل مصر بعد حروب كثيرة فبايعه اهلها وهو كاتب السر لعثمان بن عفان وبسببه جرى عليه ما جرى كما تقدم وكان تزوج زوجة يزيد بن معاوية ولها منه ولد اسمه خالد فسبه مروان مرة وقال له يا ابن رطبة الاست فاخبر خالد امه فأمرته بالكتم ثم تعاهدت مع الجواري على قتل مروان فوضعت على وجهه مخدة كبيرة وهو نائم وقعدت هي وجواريها فوقها حتى مات عن ثلاث وستين سنة من عمره ودفن خارج باب الجابية ومدة خلافته تسعة اشهر وثمانية عشر يوما وذلك سنة «٦٥»

قال الذهبي ان مروان لا يعد في امراء المؤمنين بل هو متغلب باغ على ابن الزبير وكذلك عهده لولده عبد الملك غير صحيح وانما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

الخامس من خلفاء بني امية

هو ابو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم، وُلد سنة ست وعشرين لستة اشهر من حمله . بويع له بالخلافة يوم مات ابوه . كان طويلا اقنى الانف رقيق الوجه يشد اسنانه بالذهب شديد البخل كان يلقب برشح الحجر لبخله و يلقب بابي ذباب لشدة بخره كان اذا مر الذباب على فمه يموت من شدة نتنه كان مقداما سفاكا للدماء . وكذلك عماله كالحجاج وهو اول من تسمى عبد الملك في الاسلام واول من ضرب الدنانير والدراهم بسكة الاسلام وكتب عليها بعض آيات من القرآن وعيّن فيها اسم المدينة وارخ السنة واول من نهى الناس عن التكلم بحضرة الخليفة

كان قبل الخلافة متعبدا ناسكا فقيهاً عالماً واسع العلم يلقب بحمامة المسجد فلما جاءته الخلافة كان المصحف بين يديه يقرأ فيه فاطبقه وقال السلام عليك هذا آخر العهد بك

وفي زمن خلافته سنة «٦٦» خرج المختار بن عبيد الله الثقفي بالكوفة مطالباً بدم الحسين في جمع كثير فاستولى عليها وبايعوه بها . وحصل قتال وظفر بشمر فقتله وقتل عمر بن سعد امير الجيش وبعث برأسيهما الى محمد ابن الحنفية بالحجاز . ثم استولى المختار على الموصل وقتل عبيد الله بن زياد واحرق جثته وانتقم

الله تعالى للحسين بالمختار

وفي سنة «٧٢» جهز عبد الملك الحجاج في جيش الى مكة لقتال ابن الزبير . وهو عبد الله بن الزبير بن العوام وامه اسماء بنت ابي بكر ذات النطاقين رضي الله عنهما وام الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم، ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من الهجرة وهو اول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته لان اليهود كانوا يقولون سحرناهم فلا يولد لهم فحنكه النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة وسماه عبد الله وكناه ابا بكر باسم جده كان صواماً قواماً ناسكاً فارساً له المواقف المشهورة . احتجم النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فاعطاه دم الحجامة وقال اهرقه حيث لا يراه احد فلما ذهب شربه قال ما صنعت بالدم قال عمدت الي اخفى موضع فجعلته فيه قال لعلك شربته قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون ان القوة التى به من ذلك . تقدم انه لم يبايع يزيد بن معاويه فذهب الى مكة فبايعه اهل الحرمين واليمن والعراق وخراسان فلما بلغ يزيد جهز جيشاً ثم مات يزيد ورجع الجيش فلما ولي عبد الملك بن مروان جهز جيشاً وامر عليهم الحجاج بن يوسف في اربعين الفاً لقتال ابن الزبير فحصروا مكة نحو شهر اشد الحصار ونصب

المجانيق على ابي قبيس وقيقعان فما زال يحاصره ويضيق عليه الى اربعة اشهر حتى دخل الحجاج بعسكره مكة المكرمة فاشتد الحرب داخل مكة حتى قتل عبد الله بن الزبير وتفرقت جماعته ولما تمكن الحجاج بمكة هدم الكعبة المشرفة لوقوع خلل فيها من المنجنيق وكان قد بناها عبد الله بن الزبير بعد وقعة يزيد على قواعد ابراهيم فبناها الحجاج هذا البناء الموجود الآن وذلك سنة « ٧٣ »

وصل

الحجاج هو ابن يوسف بن ابي عقيل الثقفي من اهل الطائف كان عبد الملك ولاه العراق وهو ابن عشرين سنة كان جبارا عنيدا سفاكا للدماء عنيف السياسة شكس الاخلاق احصي من قتل بأمره سوى من قتل في حروبه فكان مائة وعشرين الفاً ومات في سجنه خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة ولم يكن لحبسه سقف يستر . روي انه سمع ضجة وهو خارج من صلاة الجمعة فقال ما هذا قيل المسجونون يشكون فالتفت اليهم وقال اخسأوا فيها ولا تكلمون فما صلى جمعة بعدها وهلك

كان عالماً فصيحاً حافظاً للقران، قال الشعبي لو جاءت كل امة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم . قال عمر

ابن عبد العزيز رأيت الحجاج في المنام بعد موته وهو جيفة منتنة
فقلت ما فعل الله بك فقال قتلني الله بكل قتيل قتلته قتلة واحدة
وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة فقلت له وما انت تنتظر قال
ما ينتظره الموحدون

وتوفي عبد الملك بدمشق سنة ست وثمانين عن ثلاث
وسبعين سنة من عمره ومدة خلافته احدى وعشرين سنة منها
ثمان سنين مزاحماً لابن الزبير

السادس من خلفاء بني امية

هو الوليد بن عبد الملك بويع له بالخلافة يوم مات ابوه
كان طويلاً اسمر افطس بوجهه اثر جدري مختالا في مشيته قليل
العلم تربى بالترفه فشب بلا علم كان لحاناً كثير الخطأ في العربية
لكنه من افضل خلفاء بني امية عند اهل الشام كان كريماً
سخياً يعطي الجزيل جعل للمجذومين نفقة وامرهم ان لا يسألوا
الناس ولا يخالطوهم وعين لكل مقعد خادما ولكل اعمى قائدا كان
كثير البر لاهل القرآن وهو اول من بنى الجامع الاموي بدمشق
هدم كنيسة يوحنا وزاد عليها وذلك سنة «٨٨» كان البناؤن
والمرخمون اثني عشر الفاً . ولم يتم بناؤه في زمنه بل اتمه اخوه سليمان
وكان جملة ما انفق عليه اربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية

وعشرون الف دينار

كان فيه ستمائة سلسلة من الذهب للقناديل الى ايام عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه فحملها الى بيت المال وجعل بدلها من نحاس وحديد، وبنى الوليد قبة الصخرة ببيت المقدس وصرف عليها اموالا كثيرة وبنى المسجد النبوي ووسعه وله آثار حسنة وفي ايامه فتحت الاندلس وفي ايامه كان طاعون الجارف مات فيه بمدة قليلة نحو ثلاثمائة الف وفي مدته مات الحجاج بن يوسف بواسط واستراحت الناس من شره

توفي الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين بدير مران وحمل على اعناق الرجال ودفن بدمشق بباب الصغير ومدة خلافته تسع سنين وثمانية اشهر ونصف وله من العمر تسعة واربعون سنة



تبيين

في ايام الوليد سنة اثنين وتسعين غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس في اثني عشر الفاً في مراكب فنزلوا جبل طارق وبه تسمى الى الآن فاغرق طارق في الليل المراكب لقطع امل الجيش بالرجوع ثم سار بالجيش فلقي ملك الاندلس فزحف له طارق بمن معه وكان جيش العدو مائة الف

واتصلت الحرب ثمانية ايام وقتل ملك الاندلس قتله طارق
وانهزم الكفار وسار طارق متبعاً لهم فادرك جماعة من
المنهزمين فقاتلوه وقاتلهم حتى انهزموا ولم يلق المسلمون بعد ذلك
حرباً ، وصار المسلمون يستلمون البلاد بلدا بلدا وحصنا حصنا
وتوغلوا في البلاد ودوخوها حتى استقامت الامور هناك وعلت
كلمة الاسلام . وغنموا منها غنائم من الذهب والفضة والجواهر
والاثاث والخيل ما لا يحصى حصره كانوا يجدون الطنفسة
منسوجة بقضبان الذهب منظومة باللؤلوء والياقوت والزبرجد
لا يستطيعون حملها فيقطعونها نصفين . ومما وجد في الغنائم
مائة وسبعون تاجاً للملوك من ذهب مرصعة بالدر واصناف
الجواهر الثمينة . والف سيف ملوكي مرصعة ايضاً . ومما وجدوه
مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ويقال انها من منهوبات
بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقيل لم تكن لسليمان وانما
اصلها من العجم في ايام ملكهم لأن اهل الثروة منهم كان اذا مات
احدهم اوصى بمال لمعابدهم فاجتمع من ذلك مال كثير فصاغوا
منه تلك المائدة وكانت مصنوعة ومصوغة من الذهب مرصعة
بالدر والياقوت والزمرد لم ير الرأون مثلها في الصنعة كان لها
خمسة وستون رجلا . فحملت الى الوليد مع غيرها من الذهب والفضة

والجواهر ونفائس الامتعة ما لا يقدر . ثم توغلوا في البلاد
ودوخوها حتى وصلوا الى اواسط بلاد اوروبا . وصارت جميع
بلاد الاندلس وبلاد المغرب من افريقية بيد المسلمين ثم اتسع
امر المسلمين واشتدت دولتهم بالاندلس ، فلما تفرقوا استولى
عليها العدو شيئاً فشيئاً الى سنة تسعمائة واربع فاستولى عليها
جميعاً العدو وبقي من المسلمين قليل لا ناصر لهم ، ثم خرجوا منها
وآخر زمن خرجوا فيه كان سنة الف وعشر ولم يبق فيها
موحد . «ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب» .

وفي ايام الوليد سنة «٩٠» فتحت بلاد بخارا وتوغل المسلمون
حتى وصلوا الى اقصى بلاد الصين . وفي سنة «٩٩» فتحت بلاد
كاشغر على يد قتيبة بن مسلم الباهلي

السابع من خلفاء بني امية

هو سليمان بن عبد الملك، بويع له بالخلافة بالرملة بعد موت
اخيه الوليد بثلاثة ايام سنة «٩٦» ثم توجه الى دمشق، كان كبير
الوجه احمر مليحا مقرون الحاجبين ابيض مهيباً به عرج وهو من
خيار ملوك بني امية كان فصيحاً موثرا للعدل محباً للغزو والجهاد ،
ومن محاسنه ان عمر بن عبد العزيز (وهو وزيره ومشيره) كان
يمتثل اوامره وهو الذى كمل عمارة الجامع الاموي بعد اخيه الوليد .

ومن محاسنه انه استخلف عمر بن عبد العزيز مع وجود اولاده ٠ لكنه كان اكولا شرها وكان تنوع له الاطعمة وفي ايامه اصطنعوا له الكنافة ٠ وسبب موته من التخمة ٠ توفي في سنة «٩٨» بمرج دابق من ارض قنسرين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ودفن هناك ، وعمره خمس واربعون سنة ومدة خلافته سنتان وخمسة اشهر وخلف اربعة عشر ولدا

استطراد

كان عبد الملك بن مروان قد جهز ابنه مسلمة الى غزو « اليون » ملك الروم وانتخب له ثمانين الفاً من الابطال فتوجهوا غازين يفتحون البلاد الكبيرة حتى وصلوا الى شاطيء قسطنطينية فاقاموا مدة ثمانية اشهر حتى هيأوا سفنا فركبوا فيها وقاتلهم اهل البلد في البحر ثلاثة ايام حتى قاربوا قسطنطينية فاقاموا هناك وبنوا مدينة من خشب وسكنوا فيها وصارت بلاد الروم كلها بيد مسلمة ما بين الشام الى جزيرة قسطنطينية يجبى اليه خراجها فاقاموا يحاصرونها سبع سنين وسمى المدينة التي بناها مدينة القهر لانه قهرهم عليها وهي المعروفة الآن «غلطة» وغرسوا فيها انواع الشجر والفواكه ٠ فلما اشتد الحصار كتب اليون ملك الروم الى مسلمة يطلب منه الصلح ويعطيه مالاً قرره فلم يرض مسلمة ثم ضايق

الحصار عليهم فهال ذلك الملك اليون فقال لمسلمة ما الذي تريده فقال لا ارجع حتى ادخل المدينة قال له اليون ادخل وحدك ولك الامان فقال مسلمة على ان العسكر يقفون على باب المدينة ولا يغلقون الباب فقال لك ذلك ، ففتح الباب ووقف العسكر داخل عتبة الباب فقال مسلمة لهم اني داخل فانتظروني على الباب فاذا صليتم العصر ولم احضر فاقتحموا بخيلكم واقتلوا من اصبتم والامير بعدي محمد بن عبد الملك فركب مسلمة على فرسه الاشهب وعليه ثياب بيض وعمامة بيضاء متقلدا بسيفين وبيده الرمح فصف له الملك عساكره بالخيل يميناً وشمالا من جهة باب ادرنه الى ايا صوفيا وكلما مرّ بقوم ساروا خلفه وهم يرمقونه بابصارهم متعجبين من شجاعته وجراءته حتى وصل الى باب ايا صوفيا فخرج اليون لاستقباله فدخل الكنيسة وهو راكب فلما دخل نظر الى صليبهم الاعظم وهو موضوع على كرسي من ذهب فأخذه ووضعه على قربوس فرسه فقال له اليون ان الروم لا ترضى بهذا فحلف انه لا يخرج حتى يأخذه فخرج وهو راكب حتى اذا وصل الى معسكره كبرت الجنود تكبيرة كادت الارض تمور بهم . ثم ارسل له اليون المال الذي عهد به ومعه تاج مرصع فباعوا التاج من بعض البطارقة بمائة الف دينار . ثم قال مسلمة للعسكر ان الخليفة عبد الملك

قد توفي وولي ابنه الوليد فمات وولي اخوه سليمان فبايعوا له
ثم توجهوا نحو البلاد الشامية . وفي اثناء الطريق اتاه كتاب
عمر بن عبد العزيز بموت سليمان بن عبد الملك وبخلافته
آمرا له بالقدوم بمن معه جميعاً فقدموا دمشق فى ثلاثين الفاً لان
العسكر توفي منه كثير في طاعون الجارف ، و كانت مدة غيبتهم
نحو ثلاثة عشر سنة

الثامن من خلفاء بني امية

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وأمه ام
عاصم بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمر جده من قبل
امه وهو تابعي جليل ثقة صالح عدل يعد خامس الخلفاء
الراشدين مولده سنة (٦١) بقرية حلوان من اعمال مصر كان والده
اميرا عليها و كان بوجهه شجة ضربته دابة في وجهه وهو غلام
فجعل ابوه يمسح الدم عنه ويقول ان كنت اشج بني امية انك لسعيد
كان رضي الله عنه ابيض مليحا جميلا مهيباً نحيف الجسم حسن
اللحية، نقش خاتمه «عمر يؤمن بالله مخلصاً» . كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول يكون من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الارض
عدلا كما ملئت جورا كان رضي الله عنه من اعظم الناس واكيس
الناس واجملهم في مشيته ولبسه وهيئته فلما استخلف قومت ثيابه

التي عليه فاذا هي تعدل اثني عشر درهما كان عفيفاً عابدا زاهدا
ناسكا موءمناً نقياً صالحاً وهو الذي ازال ما كانت بنو امية تذكر
به علياً بالسوء على المنابر من سنة احدى واربعين فلما ولي عمر بن
عبد العزيز ابطل ذلك وكتب الى نوابه بابطاله ، وان يقرأوا قوله
تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية » وكتب الى عماله
ان لا يقيد مسجون بقيد فانه يمنع من الصلاة . وكتب الى عماله
اذا دعتكم قدرتكم على الناس الى ظلمهم فاذكروا قدرة الله عليكم
ونفاذ ما تأمرون اليهم وبقاء ما يأتي لكم من العذاب بسببهم .
ذكروا انه لما دفن سليمان بن عبد الملك وانصرف الناس عن
قبره سمع ضجة فقال ما هذا قيل له هذه مراكب الخلافة قدمت
اليك يا امير المؤمنين لتركبها فقال مالي ولها نحّوها عني وقربوا لي
دابتي فقربت اليه فركبها وقال انما انا رجل من المسلمين وسار
مختلطاً بالناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه
وقال ايها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبيّ بعد محمد
صلى الله عليه وسلم واني والله لست بقاض ولكني منفذ ولست
بمبتدع ولكني متبع ولست بخير من احدكم ولكني اثقلكم حملا ،
واني ابتليت بهذا الامر من غير رأيي ولا مطلوبي ولا مشورتي
واني قد حللت اعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم غيري فصاح

المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا امير المؤمنين . ثم قال ايها الناس من اطاع الله تعالى وجبت طاعته ومن عصى الله عز وجل فلا طاعة له . اطيعوني ما اطعت الله فان عصيته فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل ودخل دار الخلافة فامر بالستور فهتكت وبالبسط فرفعت وامر ببيع ذلك وادخال ثمنها في بيت المال ولم يسكن في دار الخلافة بل سكن شمالي جامع دمشق بمكان يعرف الآن « بخانقاه الشميصانية » وهو مسكن الصالحين الى الآن . قال يوماً لامرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جواهر كثيرة امر لها ابوها بها : اختاري اما ان تردّي حليك الى بيت المال واما ان تأذني لي بفراقك فاني اكره ان اكون انا وانت وهو في بيت واحد فقالت بل اختارك عليه وعلى اضعافه فأمر به فحمل حتى وضع في بيت المال . فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لها ان شئت رددت اليك حليك قالت لا والله لا اطيب به نفساً في حياته وارجع اليه بعد موته . توفي رضي الله عنه لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة عن تسع وثلاثين سنة من عمره ، ومدة خلافته مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهي سنتان وثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوماً

التاسع من خلفاء بني امية

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ولي الخلافة يوم موت ابن عمه عمر بن عبد العزيز بعهد من اخيه سليمان كان ابيض جسيما مليح الوجه كتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك لما احتضر: سلام عليك اما بعد فاني لا اراني الاّ لمّاً بي فالله الله في امة محمد صلى الله عليه وسلم فانك تدع الدنيا لمن لا يحمدك وتفضي الى من لا يعذرك والسلام ، فلما ولي قال خذوا بسيرة عمر بن عبد العزيز فسار بسيرته مدة فدخل عليه اربعون من اهل الشام وحلفوا له ان ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب في الآخرة فخدعوه بذلك فانخدع لهم ثم لم ينتفع به بعد ذلك في الخلافة ، توفي باربل من ارض البلقاء وقيل بالجولان وحمل على اعناق الرجال الى دمشق ودفن بين الجابية وباب الصغير لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة عن تسع وعشرين سنة ومدة خلافته اربع سنين وشهر

العاشر من خلفاء بني امية

هو هشام بن عبد الملك استخلف بعهد من اخيه يزيد كان بمدينة الرصافة على الفرات فلما بشروه بالخلافة سجد وسجد من معه من اصحابه وسار الى دمشق كان ابيض جميلا سمينا

احول حازما عاقلا ذا رأي ودهاء وعزم وقلة شر ، وفي ايامه حصل
قحط في البادية فقدم عليه العرب فهابوا ان يكلموه وفيهم درواس
ابن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان
فوقعت عين هشام عليه فقال لحاجبه من اراد ان يدخل عليَّ
فليدخل فدخل حتى الصبيـان فوثب درواس حتى وقف بين
يديه مطرقا فقال يا امير المؤمنين ان للكلام طيًا ونشرًا وانه لا يعرف
ما في طيه الا بنشره فان اذن امير المؤمنين ان انشره نشرته
فاعجبه كلامه فقال انشره لله درك قال يا امير المؤمنين انه اصابتنا
سنون ثلاث ، سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم وسنة ادقت
العظم وفي ايديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده
وان كانت لهم فلا تحبسوها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم
فان الله يجزي المتصدقين . فقال هشام ما ترك لنا الغلام في
واحدة من الثلاث عذرًا فامر للبوادي بمائة الف دينار وله بمائة
الف درهم وقال له أ مالك حاجة فقـال ما لي حاجة في نفسي
دون عامة المسلمين . وكان هشام لا يدخل بيت ماله مالاً حتى
يشهد اربعون رجلا انه اخذ من حقه وانه اعطى لكل ذى حق
حقه . وفي ايامه سنة (١٢٢) خرج زيد بن عليّ بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنهم ودعا الناس الى بيعته في الكوفة وتبعه

خلق كثير زهاء اربعين الفا اغروه وحسنوا له الخروج وبايعوه
ونصحه من اقاربه ومن عقلاء الناس كثير ونهوه عن موافقة
اهل الكوفة وما وقع منهم مع جده عليّ والحسين عليهما السلام
فلم يصغ زيد الى نصيحة احد فخرج بمن معه الى جهة القادسية
ثم اجتمع عليه بعض رؤسائهم فقالوا له يرحمك الله ما قولك في
ابي بكر وعمر قال زيد رحمهما الله غفر لهما هما وزيرا جدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما سمعت احداً من اهل بيتي يقول
فيهما الا خيرا قد وليا فعدلا في الناس وعملا بالكتاب والسنة
لكنا اهل البيت كنا نحسب ان هذا الامر حقنا فدفعونا عنه
ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً . ففارقوه ونكثوا بيعته فسماهم زيد
الرافضة وبقي معه جماعة قليلون وكان والي الكوفة من جهة
هشام يوسف بن عمر الثقفي فجمع عسكرا وقاتل زيدا فاصاب
زيدا سهم في جبهته فاسرع السهم فمات رضي الله عنه عن اثنتين
واربعين سنة من عمره وصلب يوسف بن عمر جثته وبعث
برأسه الى هشام فنصب بدمشق ودامت جثته حتى مات هشام
وانهزمت جماعته وهربوا الى اليمن وهم المعروفون بالزيدية . وتوفي
هشام بالرصافة ودفن بها سنة (١٢٥) عن احدى وستين سنة ومدة
خلافته تسع عشرة سنة وتسعة اشهر

الحادي عشر من خلفاء بني امية

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بويع له بالخلافة يوم موت عمه هشام كان في البرية فسار من فوره الى دمشق ، كان قويًّا جيد الشعر فاسقًا شريبًا للخمر سكيرا متهتكا لحرمات الله تعالى دخل يومًا بيته فوجد ابنته جالسة مع مربيتها فبرك عليها وازال بكارتها فقالت له الداية هذا دين المجوس فانشد

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

تفاءل يوما في المصحف الشريف فخرج له « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » فمزق المصحف « مزقه الله كل ممزق » وانشد قبحه الله

أتوعد كل جبار عنيد * فها انا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد

واصطنع بركة من خمر فكان يلقي نفسه ويشرب منها طربا حتى يظهر نقصان في اطرافها . ثم ابتلاه الله تعالى ببلايا كثيرة منها انه كان يبول من سرته وهو لم يتعظ . فلما كثر فسقه مقته الناس وبغضوه وخرجوا عليه قاطبة واجمعوا على قتله وتولية ابن عمه فاستدعوه من البادية فدخل ابن عمه يزيد بن الوليد دمشق واتفق مع الجند فحاصروه في قصره ودخلوا عليه وقتلوه شر

قتلة وصلبوا رأسه على سور قصره ودفن خارج باب الفراديس وذلك سنة ست وعشرين عن تسع وثلاثين سنة ومدة خلافته سنة وشهران

الثاني عشر من خلفاء بني امية

هو ابو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وثب على الخلافة بعد قتل ابن عمه الوليد سنة (١٢٦) القب بالناقص لانه نقص الجند من اعطياتهم ولنقصان كان في رجليه، كان مظهرا للعبادة والنسك وقراءة القرآن واخلاق عمر بن عبد العزيز وكان ذا دين وورع الا انه لم يمتع بالخلافة وادركته المنية من عامه سابع ذي الحجة عن خمس وثلاثين سنة من عمره وكانت مدة خلافته ستة اشهر

الثالث عشر من خلفاء بني امية

هو ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بويع له بالخلافة يوم مات اخوه يزيد الناقص آخر سنة ست وعشرين ومائة ولم يثبت له امر في الخلافة فكان جمعة يسلم عليه بالخلافة وجمعة بالامارة وجمعة لا يسلم عليه لا بالخلافة ولا بالامارة وما زالت الامور مضطربة حتى خرج عليه مروان بن محمد بعسكر فقاتله فهرب ابراهيم وتسلم دار الخلافة مروان بن محمد وعاش ابراهيم الى

سنة اثنين وثلاثين ومائة وقتل مع من قتل من بني امية في وقعة السفاح ٠

الرابع عشر من خلفاء بني امية

هو مروان بن محمد الملقب بالحمار لانه كان يصبر على مكاره الحرب ولا ينثني لشجاعته تقول العرب فلان اصبر من حمار في الحرب٠ كان شجاعاً مهيباً ابيض ربعة القد اشهل ضخما كث اللحية

بويع له بالخلافة بعد ابراهيم ولما استقر الامر له عاد الى حران وارسل ابراهيم يستأمنه فأمنه وقدم عليه، وفي زمنه كثرت الفتن واستحكم الخلاف في البلاد وتمرّد البعض عن الطاعة وفي ايامه سنة (١٢٩) ظهر ابو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني صاحب الدعوة لبني العبـاس وظهر السفاح بالكوفة فبايعوا له بالخلافة وجهز عمه عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العباس لقتال مروان فالتقى الجمعان بقرب الموصل والتحم القتال واشتدت الحرب واخذت دمشق على يد عبد الله بعد حصار وحرب شديد وقتل الوف كثيرة من الامويين وغيرهم وانهزم مروان الى مصر وقتل من عسكره ما لا يحصى وتبعه عبد الله بن عليّ الى ان وصل الى نهر الاردن فلقي جماعة من بني امية وكانوا ثمانين رجلا ونيفاً فقتلهم عن آخرهم وامر عبد

الله بسحبهم فسحبوهم و بسط عليهم البسط فجلسوا عليهم واستدعى بالطعام فاكلوا وهم يسمعون انينهم فقال عبد الله يوم كيوم الحسين (رضي الله عنه) ولا سواه

وانهزم مروان حتى وصل الى بوصير (قرية عند الفيوم) فقال ما اسم هذه القرية قيل بوصير قال الى الله المصير ودخل كنيسة فبلغه ان خادماً له نمّ عليه فامر به فقطع راسه وسل لسانه فجاءت هرة فاكلت اللسان . ثم بعد ايام لحقه عامر بن اسماعيل المزني الذي كان مع السفاح فهجم على الكنيسة وقاتل حتى قتل مروان وقطع راسه في ذلك المكان وسل لسانه والقاه على الارض فجاءت تلك الهرة بعينها فاكلت اللسان فقال عامر لو لم يكن في الدنيا عجب الا هذا لكان كافياً ، وجاس عامر على فرش مروان واكل طعامه الذى كان مروان هيأه . ودعا بابنة مروان فقالت ياعامر ان دهرا انزل مروان عن فرشه واقعدك عليها حتى تعشيت عشاءه ونادمت ابنته لقد ابلغ في موعظتك واجمل في ايقاظك فاستحيى عامر وصرفها وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة وكان عمر مروان ستا وخمسين سنة ومدة خلافته خمس سنين وعشرة اشهر

تكميل

القسم الثانى من خلفاء بنى امية الذين اقاموا بالندلس لما انتقلت الخلافة الى بني العباس

لما استحر القتل تفرق من هرب منهم في الجهات والبلاد فكان من الفار بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان ويلقب بالداخل

بويع له بالخلافة في الاندلس سنة تسع وثلاثين ومائة واقام فيها ثلاثا وثلاثين سنة واربعة اشهر كان نافذ الكلمة مطلق الارادة . توفي سنة (١٧١) وتملك بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين وسبعة اشهر وتوفى سنة «١٨٠» واستخلف بعده ابنه الحكم بن هشام وكانت مدة خلافته ستا وعشرين سنة وتوفى سنة «١٨٦» ثم تولى عبد الرحمن بن الحكم وفى ايامه خرجت المجوس الى بلاد الاندلس من البحر وجرى بينهم و بين المسلمين حروب كثيرة انهزم فيها المجوس وغنم المسلمون منهم اربعة مراكب بما فيها من الغنائم وهرب المجوس الى بلادهم وكانت مدة خلافته احدى وثلاثين سنة وستة اشهر وخلف خمسة واربعين ولدا . ثم تولى بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن كان فقيها فصيحا بليغا كثير الجهاد وهو صاحب وقعة سليط المشهورة التي لم يسمع قبلها بمثلها قتل فيها من الكفار ثلثمائة الف ونيف

توفي محمد بن عبد الرحمن سنة «٢٧٢» عن خمس وستين سنة ومدة ولايته اربع وثلاثون سنة واحد عشر شهرا · ثم تولى بعده ولده المنذر بن محمد ثم عبد الله بن محمد · ثم اخوه عبد الرحمن ابن محمد ، ثم عبد الله بن محمد ، ثم اخوه عبد الرحمن بن محمد · وهو اول من لقب بامير المؤمنين من الامويين بالاندلس وكانوا قبله يسمون الخليفة بني الخلائف ولقب بالناصر وكانت مدة ولايته خمسين سنة ونصفاً وعمره ثلاث وسبعون سنة · ثم تولى بعده ابنه الحكم بن عبد الرحمن لقب بالمنتصر كان فقيها عالما كثير العلم بالتاريخ ومدة خلافته خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وعمره ثلاث وستون سنة · ثم تولى هشام بن الحكم وعمره عشر سنين ولقب المؤيد بالله فلما كبر اشتغل بالغزو فغزا نحو خمسين غزوة · ومدة ولايته سبع وعشرون سنة · ثم خرج عليه ابن عمه محمد ابن هشام وقبض على هشام وحبسه في قرطبة واستولى محمد على الملك واستمر الى ان خرج عليه سليمان بن الحكم فهرب محمد بن هشام واستولى سليمان ، وفي سنة اربعمائة عاد محمد المهدي الى الملك وهرب سليمان ثم اجتمع كبار العساكر وقبضوا على محمد المهدي واخرجوا هشام المؤيد من الحبس واعادوه الى الملك واحضروا محمد المهدي بين يديه فامر بقتله ، واستمر المؤيد في الملك

ثم اتفقت البربر مع سليمان المذكور واخرجوا هشام المؤيد من قصره بقرطبة ولم يتحقق للمؤيد خبر بعد ذلك

ثم بويع سليمان بن الحكم ولقب المستعين بالله وفي سنة «٤٠٧» خرج بالاندلس على سليمان شخص من القواد يقال له جبران المقامرى فاجتمع عليه جماعة كثيرة وسار الى سليمان بقرطبة وجرى بينهم قتال فانهزم سليمان واخذ اسيرا · ثم امر بقتل سليمان وابنه واخيه فقتلوا ودامت قرطبة في يده الى ان قام رجل من بني امية وهو عبد الرحمن بن هشام ولقب بالمستظهر بالله وهو اخو المهدي ثم قتلوه في ذى الحجة من هذه السنة · وبويع محمد بن عبد الرحمن ولقب المستكفي بالله ثم قاموا عليه فهرب وسم ومات في الطريق

ثم اجتمع اهل قرطبة على طاعة يحيي بن حمود العلوي ثم خرجوا عن طاعته وبايعوا رجلا من بنى امية اسمه هشام بن محمد ولقب المقتدر بالله وجرى في ايامه فتن وشرور يطول ذكرها ثم اخرجوه واقام اهل قرطبة بعده شخصاً من ولد عبد الرحمن اسمه امية فلما ارادوا ان يولوه قالوا له نخشى عليك ان تقتل فان السعادة قد ولت عنكم يا بني امية فقال بـايعوني اليوم واقتلوني غدا فلم ينتظم له امر واختفى فلم يظهر خبره بعد ذلك · ثم ان بلاد

الاندلس وتوابعها اقتسمها اصحاب الاطراف والرؤساء وصاروا اشبه بملوك الطوائف فنشأ عن ذلك انقراض الدولة الاموية من الاندلس وغيرها الى ان آل الامر بعد ذلك الى اضمحلال الاسلام في الاندلس وخروج المسلمين منها

الباب الثالث

في خلفاء بني العباس

وهم على قسمين ، قسم منهم المقيمون بالعراق وهم سبعة وثلاثون خليفة ومدة خلافتهم خمسمائة واربع وعشرون سنة . وقسم منهم المقيمون بمصر وهم خمسة عشر خليفة ومدة خلافتهم فيها مائتان وخمس وخمسون سنة ونصف سنة

الاول من الخلفاء العباسيين السفاح

وهو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، بويع له بالكوفة لثلاث ليال خلت من ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة . كان جميلاً ابيض مليحاً حسن الوجه واللحية والهيئة كان من اسخى الناس سريعاً الى سفك الدماء ، فلما بويع صلى بالناس الجمعة

وقال في خطبته : الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا ، وايده بنا ، وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والقوّامين به والذابّين عنه · ثم ذكر قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بآيات من القرآن الى ان قال : فلما قبض الله نبيه قام بالامر اصحابه الى ان وثب بنو حرب ومروان فجاروا واستجاروا فاملى لهم حينا حتى استوفوا فانتقم منهم بايدينا وردّ علينا حقنا ليمنّ به على الذين استضعفوا في الارض وختم بنا كما استفتح بنا وما توفيقنا اهل البيت الا بالله · ثم توطأت له الممالك * وفي سنة (١٣٤) انتقل السفاح الى الانبار وصيرها دار الخلافة ، وتوفي يوم الاحد لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالمدينة التي بناها وسماها الهاشمية وهو ابن اثنين وثلاثين سنة ونصف سنة ومدة خلافته اربع سنين وتسعة اشهر ودفن بالانبار القديمة ·

الثاني من الخلفاء العباسيين

هو ابو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن العباس · بويع له بالخلافة بعد موت اخيه السفاح ، جاءه خبر الخلافة بمكان يعرف بالصافية فقال صفا امرنا ان شاء الله تعالى ، فلما حج بهم ورجع الى الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة ·

كان فحل بني العباس طويلاً اسمر خفيف اللحيـة رحب الوجه
كأن عينيه لسانان ينطقان ذا هيبة وشجاعة وجبروت كان جماعا
للمـال تاركا للهو واللعب كامل العقل ، قتل خلقاً كثيرا حتى
استقام ملكه وكان اول ماعمله ان امر بقتل ابى مسلم الخراساني
صاحب دعوتهم وهو الذي مهد ملكهم، قتله ليستقر له الملك وقال
«لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا» وهو الذي حمل الامام الاعظم
ابا حنيفة على القضاء فلم يقبل وهو الملقب بالدوانيق لمحاسبة العمال
والصناع بالدقة حتى على الدانق والحبة ، وهو ابو الخلفاء العباسيين
كلهم وهو اول خليفة قرّب المنجمين ليعمل باحكام النجوم والقرانات
واول خليفة ترجمت له الكتب السريـانية والاعجمية بالعربية
ككتاب كليلة ودمنة وقليدس . وفي عصره بديء بتدوين
العلم وكتابته من الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج
بمكة ومالك بن انس الموطأ بالمدينة ، والاوزاعي بالشام وابن ابى
عمرويه وحماد بن سلمة بالكوفة ومعمر باليمن وسفيان الثوري
بالكوفة وصنف ابن اسحاق المغازي وصنف ابو حنيفة الفقه ورتّبه
وكثر تدوين كتب العلم وتبويبه ودوّنت كتب العربية من
اللغة والنحو والمعاني والبيان والتاريخ . وكانوا قبلا يتعلمون ويعلمون
ويتكلمون من حفظهم ويروون العلم من كتب غير مرتبة

وفي سنة ثمان واربعين ومائة عظمت هيبة المنصور في النفوس ودانت له البلاد والعباد والاقاليم ولم يبق سوى الاندلس لانه تغلب عليها عبد الرحمن الاموي الداخل كما تقدم ، وفي سنة تسع واربعين ومائة تم بناء بغداد ونقل اليها دار الخلافة

وفي سنة (٥٨) شكى الناس اليه ضيق المسجد الحرام فاشترى المنازل من حوله وادخلها فيه وعمّر مسجد الخيف بمنى ورخم الحجر رحمه الله . وفي سنة خمسين ومائة توفي الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من ابناء فارس من اهل كابل او من اهل نسا او من الانبار او من ترمذ ، والنعمان بن المرزبان هو الذي اهدى لامير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الفالوذج في يوم المهرجان فقال عليّ رضي الله عنه (مهرجونا كل يوم هكذا) . وذهب ثابت الى عليّ رضي الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته . اخذ ابو حنيفة الفقه عن حماد بن ابي سليمان وسمع من عطاء بن ابي رباح وابي اسحق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصراف ومحمد بن المنكدر ونافع مولى عبد الله بن عمر وهاشم بن عروة . وكان في زمن ابي حنيفة اربعة من الصحابة ، وهم انس بن مالك ، وعبدالله بن ابي اوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة ،

وابو الطفيـــل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق احدا منهم ولا اخذ عنهم شيئاً . وآخر من مات من الصحابة ابو الطفيل رضي الله عنه . وروى عن ابي حنيفة عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم .

كان عالماً عاملاً زاهـداً ورعاً متعبداً تقياً خاشعاً دائم التضرع وكان ربعة حسن الوجه حسن الخلق حسن المجالسة والمواساة لاخوانه احسن الناس منطقاً واحلاهم نغمة ، قال الشافعي: الناس عيال على ابي حنيفة في الفقه . قيل لمالك بن انس رأيت ابا حنيفة فقال نعم رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته ، كان اماماً في القياس . توفي ببغداد في رجب من السنة المذكورة ودفن في مقبرة الخيزران وعمره سبعون سنة . قال الامام الاوزاعي رضي الله عنه كنت بالساحل فبعث اليّ امير المؤمنين المنصور فلما وصلت اليه سلمت عليه بالخلافة فرد عليّ السلام واجلسني وقال لي ما الذي ابطأك عنا يا اوزاعي قلت ومـا تريد يا امير المؤمنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس من نوركم قلت اياك يا امير المؤمنين ان تسمع شيئاً ولا تعمل به . فصاح الربيع واومأ يده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس

عقوبة. قال الاوزاعي فقلت يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عقبة بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ايما والٍ بات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة، يا امير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك فكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك، جاء عن ابن عباس في هذه الآية «مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها» ان الكبيرة القهقهة والصغيرة التبسم فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن، يا امير المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب قال لو ماتت شاة على شاطيء الفرات ضيعة لخشيت ان اسئل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك. فاخذ المنصور المنديل ووضعه على وجهه وبكى وانتحب حتى اني رحمته ثم قلت يا امير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم التقوى ومن طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهي نصيحتي لك يا امير المؤمنين والسلام عليك ورحمة الله. ثم نهضت فقال لي الى اين فقلت الى الولد والوطن يا امير المؤمنين باذنك ان شاء الله تعالى فقال اذنت لك وشكرت نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثلها فانك المقبول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله. فأمر له المنصور بمال يستعين به على

خروجه فلم يقبله وقال انا في غنية عنه يا امير المؤمنين وما كنت ابيع نصيحتي بعرض من الدنيا . فعرف المنصور مذهبه وصدق قصده فلم يجد عليه في رده صلته . « رحم الله تلك الارواح الطاهرة » .

توفي الاوزاعي سنة سبع وخمسين ومائة عن تسع وستين سنة من عمره . وهو ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد بضم المثناة التحتية وكسر الميم الاوزاعي ولد ببعلبك سنة ثمان وثمانين ونشأ يتيما في حجر امه وتنقلت به امه من بلد الى اخرى لطلب العلم فسمع من الزهري وعطاء ويحيى بن ابي كثير ورأى مالك بن انس والثوري ورحل الى البصرة فرأى الحسن البصري وابن سيرين وتأدب بنفسه بما لم يكن في الملوك والخلفاء اعقل ولا اعلم ولا اورع ولا افصح ولا اوقر ولا انصح منه . واخذ عنه جماعة منهم عبد الله بن المبارك . ثم نزل دمشق بمحلة اوزاع خارج باب الفراديس وتسمى بالعقيبة واليها ينسب وهو لم يكن منها ، ثم ساد في اهلها وفي سائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغيرها وخرج له اصحاب الكتب الستة . وكان الائمة في زمنه يجلّونه ويوقرونه لعلمه وعمله . ثم انتقل الى بيروت بقصد المرابطة واستوطنها وبها توفي في حمام بيته لليلتين بقيتا من صفر او من ربيع الاول في

السنة المذكورة وقبره خارج بيروت على ثلاثة اميال منها بقرية يقال لها (حنتوس) اصبحت الآن رسما لا اثر لها. كان رحمه الله فوق الربعة خفيف اللحية به سمرة . وقد بقي اهل الشام ومايليها واهل الاندلس يتعبدون على مذهبه نحو مائتين وعشرين سنة

اجتمع المنصور بامام دار الهجرة مالك بن انس «رضي الله عنه» بالمدينة المنورة واخذ عنه الموطأ حين حج وعمر المسجد الحرام ووسعه. وطلب من مالك ان يهدم الكعبة و يبنيها على قواعد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فلم يأذن له وقال لاتجعل البيت أُلعوبة للملوك يا امير المؤمنين ، فامتثل امره .

توفي المنصور رحمه الله تعالى قبل دخوله مكة المكرمة، سقط عن فرسه فمات في سابع ذي الحجة سحرا سنة ثمان وخمسين ومائة ودفن هناك وهو ابن ثلاث وستين سنة ومدة خلافته احدى وعشرون سنة واحد عشر شهرا

الثالث من الخلفاء العباسيين

هو محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور عبد الله بن محمد . بويع له بالخلافة يوم وفاة ابيه المنصور بعهد منه وهو يومئذ ببغداد كان جوادًا ممدوحًا محبيًا الى الرعية حسن الخلق والخلق . وهو اول من امر بتصنيف كتب الجدل للرد على الزنادقة الملحدين

لانهم كثروا كثيرا في جهة بلاد حلب فقاتلهم وافنى منهم خلقاً كثيرا . وفي سنة (١٦٠) حج المهدي وكسا الكعبة وطيبها بالمسك والعنبر من اسفلها الى اعلاها ومن داخلها وخارجها . ولم تكن الكعبة المعظمة وقتئذٍ في وسط المسجد فاشترى دورا كثيرة وزاد في الحرم الجانب الشمالي الشامي واليماني حتى صارت الكعبة المعظمة وسط الحرم . وهو اول من حمل الى مكة الثلج وامر بعمارة واصلاح طريق مكة وحفر البرك والركايا لجمع ماء المطر . وامر بتقصير المنابر وصيرها على مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو اول من جهز الصرة وعينها لاهل الحرمين . كانت وفاته سنة تسع وستين ومائة ولم يوجد له نعش في المحل الذي توفي فيه فحمل على باب ودفن تحت شجرة جوز بقرية من قرى ماسندان ساق وصلى عليه ولده الرشيد وله اثنان واربعون سنة ، ومدة خلافته عشر سنين وشهر . وفي سنة احدى وستين ومائة توفي ابراهيم بن ادهم بن منصور ابن بكر بن وائل الزاهد المشهور بجبلة ، ولد ببلخ ورابط بساحل الشام كان يأكل من عمل يده كالحصاد والعمل في الطين وحفظ البساتين

الرابع من الخلفاء العباسيين

هو الهادى بن محمد المهدي ، بويع له بالخلافة بعد موت

ابيه سنة (١٦٩) وكان مقيما بجرجان يحارب اهل طبرستان
فبويع له بماسندان ثم اخذ له البيعة العامة ببغداد اخوه الرشيد
وقدم بغداد٠ كان طويلا جسيما مليحاً ذا عظمة وجبروت، امه ام
ولد بربرية هي الخيزران وهي ام الخلفاء العباسيين وهو اول من
مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة وكان اكمال عمارة بيت
الحرام في ايامه٠ وفي ايامه سنة (١٦٨) ظهر الحسين بن علي بن الحسن
ابن الحسن بن علي بن ابي طالب بالمدينة في جمع عظيم من اهل بيته
وجرى بينه وبين عامل المدينة من طرف الهادي (وهو عمر بن
عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب) قتال فانهزم عمر
وبايع الناس الحسين ثم خرج الحسين الى مكة ولحق به جماعة من عبيد
مكة وكان قد حج تلك السنة جماعة كثيرة من بني العباس منهم
سليمان بن ابي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان بن عليّ وانضم اليهم
جماعة من شيعتهم ومواليهم فاقتتلوا بوجّ يوم التروية فقتل الحسين
وانهزم اصحابه وقتل من الحسنيين كثير وافلت منهم ادريس بن
عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ رضي الله عنهم فذهب الى
مصر وعلى بريدها واضح الشيعي مولى بني العباس فحمل ادريس
على البريد الى المغرب الى ارض طنجة فبلغ الهادي ذلك فضرب
عنق واضح وبقي ادريس هناك حتى ارسل الرشيد اليه الشماخ

الناعي فاغتاله بالسم ، وكان لادريس حظية حبلى فولدت بعده ابناً سموه ادريس باسم ابيه ثم كبر واستقل بملك تلك البلاد وكثرت ذرية الحسن فيها · توفي الهادي ببغداد سنة سبعين ومائة عن اربع وعشرين سنة من عمره ومدة خلافته سنة وخمسة واربعون يوماً

الخامس من الخلفاء العباسيين

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي · بويع له بالخلافة بعد موت اخيه الهادي سنة (١٧٠) وولد له ولده المأمون (فكانت ليلة مات فيها خليفة وولي خليفة وولد خليفة) وامه الخيزران ام الهادي · نقش خاتمه (العظمة والقدرة لله عزوجل) ·

كان ابيض طويلا جميلا مليحا جسيما قد وخطه الشيب وهو من اجل ملوك الارض، له نظر في العلم والادب ، كان يصلى كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله كل يوم بالف درهم وكان يحب العلم والعلماء، حكي ان ابا معاوية الضرير قال اكلت مع الرشيد يوماً فصب على يديّ رجل لا اعرفه ثم قال الرشيد اتدري من صب على يديك قلت لا قال انا اجلالا للعلم

اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره ، وزراؤه البرامكة وقاضيه ابو يوسف وشاعره مروان بن ابي حفصة ونديمه العباس بن

محمد ابن عم ابيه وزوجته زيدة ومغنيه ابراهيم الموصلي وحاجبه الفضل بن الربيع ابهى الناس واعظمهم ، و بالجملة فقد كانت ايام الرشيد كلها خيرا وعلما وادبا وفقها وصناعة ، اول اصطناع الساعة كان في ايامه . وهو الذي اهدى الساعة الشهيرة الى شارلمان ملك فرنسا وقتئذٍ . اما ما يذكره بعض المؤرخين والقصاصون من انه كان يتعاطى المنكرات والمسكرات وانه كان ينهمك في اللهو واللذات والشهوات وما يذكرونه عن ابي نواس الحسن ابن هاني من الحكايات والخزعبلات مع الرشيد فكله كذب لا اصل له ولا يجوز نقله ولا التكلم به كيف ومقام الخلافة ينزه عن مثل ذلك خصوصاً مقام هارون الرشيد وتمكنه من العلم والدين والقرابة من النبوة، انظر الى كتاب الخراج الذي الفه ابو يوسف القاضي لهارون الرشيد تعرف وتحقق مقام الرشيد في العلم والدين رحمه الله تعالى وعفى عنه .

دخل ابن السماك على هارون الرشيد يوماً فاستسقى الرشيد فأُتي بكوز فلما اخذه قال له ابن السماك على رسلك يا امير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم تشتريها قال بنصف ملكي قال اشرب هنأك الله فلما شرب قال اترى لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها قال بجميع ملكي قال ان ملكاً قيمته شربة

ماء لجدير ان لا يتنافس فيه فبكى الرشيد · ولما ولي الخلافة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له ان هذا الامر قد صار اليك فاغز وحج ووسع على اهل الحرمين · فجهز الجيوش وغزا في اطراف بلاد الروم وظفر وحج بالناس ماشياً وفرّق بالحرمين مالاً كثيرا فعل ذلك كله في عام واحد · ولما ولي الخلافة قلد جعفر ابن يحيى البرمكي الوزارة فبقي في الوزارة سبع عشرة سنة، قال يحيى لابنه جعفر يا بنيّ مادام قلمك يرعد فامطره معروفاً، ثم قويت شوكة البرامكة وسطوتهم وغناهم وقوي عزمهم بسبب غناهم وكرمهم وسخاهم حتى كاد ان يظهر فيهم الزندقة وفساد العقيدة والملك والصحيح انهم استبدوا بالملك دونه فخشي عليه منهم فلذا قتلهم وابادهم وذلك في مستهل صفر سنة (١٨٤)

توفي هارون الرشيد فى الغزو بطوس من بلاد خراسان وبها دفن في ثالث جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة عن خمس واربعين سنة من عمره · قيل انه رأى مناماً انه يموت بطوس فبكى وقال احفروا لى قبرا فحفروا له · ثم حمل وهو مريض في قبة على جمل حتى نظر الى القبر فقال يا ابن آدم تصير الى هذا ثم امر قوماً فنزلوا القبر وقرأوا فيه ختمة من القرآن وهو على شفير القبر وعهد بالخلافة لولده الامين وهو حينئذٍ ببغداد · ومدة

خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهران ونصف

تكميل

في سنة تسع وسبعين ومائة توفي ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن عامر بن عمر بن الحارث الاصبحي المدنى امام دار الهجرة · ولد بالمدينة سنة خمس وتسعين · واخذ العلم عن نافع بن ابي نعيم وعن الزهري وعن نافع مولى ابن عمر بن الخطاب · وروى عنه الاوزاعي ويحيي بن سعيد والشافعي ونودي في المدينة لا يفتي الناس الا مالك بن انس، كان اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة تعظيما لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول لا اركب في مدينة فيها جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفون، ثم لم يزل في علوّ ورفعة مقام الى ان توفي بالمدينة في ربيع الاول من السنة المذكورة عن اربع وثمانين سنة من عمره ودفن ببقيع الغرقد · وفي هذه السنة توفي مسلم بن خالد الزنجي الفقيه المكي شيخ الشافعي قبل مالك اخذ عنه الفقه · كان ابيض مشربا بحمرة · فلذا سمي الزنجي · وفي سنة (١٨٠) توفي سيبويه واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر اعلم المتقدمين والمتأخرين في النحو اخذ النحو عن الخليل بن احمد

توفي بمدينة ساوة وقيل بشيراز وعمره اثنتان وثلاثون سنة · وسيبويه فارسي معناه رائحة التفاح لجمال صورته، وفي سنة (١٨٠) توفي القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم من ولد سعد بن خيثمة الصحابي الانصاري، نشأ ابو يوسف يتيما وطالت على امه صحبته لابي حنيفة واعراضه عن تعلم حرفة يتعيش بها فحضرت عند ابي حنيفة وعاتبته على ذلك فقال لها مُرّي يا رعناء ها هوذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق · فلما كبر واكله عند الرشيد ذكر ذلك له فقال الرشيد ان ابا حنيفة كان ينظر بنور الله

السادس من الخلفاء العباسيين

هو محمد الامين بن هارون الرشيد · بويع له بالخلافة بعد موت ابيه الرشيد سنة (١٩٣) بعهد منه، وامه زبيدة بنت جعفر ابن المنصور ولم يكن في الخلفاء من امه هاشمية سواه وسوى عليّ ابن ابي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم · كان الامين من احسن الناس صورة طويلا ابيض جميلا مليحاً بديع الحسن جدا ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة وفصاحة وادب وفضيلة اشرف الخلفاء ابا واما · لكنه كان سيء التدبير كثير التبذير لا يصغى الى قول مشير عليه يشتغل باللهو والاقبال على اللذات · لما ولي الخلافة فرّق الاموال وانعكف على الشراب ومنادمة الفساق ·

وارسل الى الجهات فجمعوا له المغاني واجرى لهم الرواتب واحتجب
عن الامراء والاعيان فلم يزل يعمل برأيه السقيم وصمم على
ذلك اشد تصميم حتى قام المأمون عليه وجهز لقتاله وحصره
ببغداد . وبلغ الخبر الامين وهو في جنب حوض ماء مع جواريه
يتصيد السمك وكان وضع في انف كل سمكة درة نفيسة شبكها
بقضيب من الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة
لصائدها فرفع الامين رأسه وقال للذي اخبره ويلك دعني فان
الجارية فلانة قد صادت سمكتين وانا ما صدت شيئاً بعد .
فاستمر القتال وفسد الحال وفقدت الاموال وكثرت الفتن
والخراب حتى درست محاسن بغداد ودام حصارها خمسة عشر
شهرا . ولحق اكثر العقلاء واصحاب السياسة واركان الدولة
بالمأمون ولم يبق مع الامين من يقاتل عنه الاّ قليل الى ان استهلت
سنة ثمان وتسعين ومائة دخل طاهر بن الحسين ومن معه من
العسكر بغداد بالسيف قهرا فخرج الامين بامه واهله من القصر
الى مدينة المنصور فدخل عليه قوم من العجم ليلا فقتلوه وذهبوا
برأسه الى طاهر وبعثه طاهر مع البردة والقضيب الى المأمون
فاشتد على المأمون قتل اخيه الامين وكان يحب ان يرسله اليه
حيا ليرى فيه رأيه فحقد المأمون على طاهر بن الحسين واهمله

الى ان مات طريدا بعيدا · وكان قتل الامين في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة عن سبع وعشرين سنة من عمره · دفن ببغداد ومدة خلافته اربع سنين وثمانية اشهر

السابع من الخلفاء العباسيين

هو ابو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد · بويع له بالخلافة في حياة اخيه سنة (١٩٨) · كان ابيض مربوعاً مليح الوجه طويل اللحية ديّنا عارفا بالعلم فيه دهاء وسياسة، قرأ العلم في صغره مع اخيه الامين على ابي حنيفة رحمه الله وسمع الحديث من ابيه · كان عظيم العفو، كان يقول لو يعلم الناس ما اجد في العفو من اللذة لتقربوا اليّ بالذنوب، كان جوادا بالاموال عارفا بعلم النجوم · لم يل الخلافة من بني العباس اعلم منه ، كانت امه ام ولد اسمها مراجل ماتت في نفاسها به · وفي ايامه ظهر القول بخلق القرآن وحمل المأمون الناس على ذلك وكل من لم يقل بخلقه عاقبه اشد العقوبة ، كان امره نافذا في جميع الاقطار الى افريقية حتى اقاصي بلاد خراسان وما وراء النهر الى الهند والسند

غزا بلاد الروم وفتح فتوحات كثيرة , كان يخرج بالليل ويتفقد احوال عسكره وينظر من يحبه ومن يبغضه وكان يحب معرفة احوال الناس ،عين نحو الف وسبعمائة عجوز يدرن في المدينة

يعرّفنه احوال الناس كل يوم · وفي سنة مائتين امر المأمون باحصاء ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين الفاً ما بين ذكر وانثى · وفي سنة (٢٠١) جعل ولي عهده من بعده عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق احد الائمة حمله على ذلك زيادة افراطه في التشيع فاشتد ذلك على بني العباس جدا فخرجوا عليه · وقد شدد القول بخلق القرآن وتفضيل عليّ على ابي بكر وعمر فاشمأزت النفوس منه وكتب بذلك الى عماله ان يمتحنوا الناس ويحملوهم على هذا القول فاجابه طائفة وامتنع اخرون فاحضر احمد بن حنبل وهو ممن امتنعوا فقيل له ما تقول في كلام الله أمخلوق هو قال هو كلام الله لا ازيد على هذا · ثم بلغ المأمون ان الذين اجابوا انما اجابوا مكرهين فأمر باحضارهم وهو بالروم فحملوا اليه فبلغتهم وفاته قبل وصولهم اليه · وكان قد استحضر كتب فلسفة اليونان من قبرص وامر بترجمتها الى العربية فنشأ بعد ذلك عنها الخلاف ·

توفي المأمون في رجب سنة ثمانية عشر ومائتين بقرية دندون من ارض الروم · ونقل الى طرسوس وبها دفن · وقد بلغ من العمر ثمان واربعين سنة · ومدة خلافته عشرون سنة وخمسة اشهر، قال قبل ان يموت : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد

زال ملكه . ولما ورد خبر وفاته الى بغداد قال ابو سعيد المخزومي :

هل رأيت النجوم اغنت عن المأ * مون في ثبت ملكه المأسوس

خلَّفوه بعرصتيْ طرسوسٍ * مثل ما خلفوا اباه بطوس

﴿ تذييل ﴾

في سنة اربعة ومائتين توفي بمصر الامام الشافعي وهو ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وشافع الذي نسب اليه الشافعي لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع وابوه السائب اسلم يوم بدر . فالشافعيّ رحمه الله يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وكانت زوجة هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بنت عمة الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف فولد له منها عبد يزيد جد الشافعي فالشافعي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته لان الشفاء اخت عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وُلد الشافعيّ بغزة سنة خمسين ومائة ، ثم تفقه على مسلم بن خالد الزنجي واذن له بالافتاء وهو ابن خمس عشرة سنة واخذ بالمدينة عن مالك بن انس . ثم قدم بغداد سنة (١٩٥) وكان ابو يوسف قد توفي فاجتمع بمحمد ابن الحسن ، قال الشافعيّ : رأيت عليّ بن ابي طالب رضي الله

عنه في منامي فسلم عليّ وصافحني وجعل خاتمه في اصبعي ففسروها
ان مصافحته امان من العذاب وجعله الخاتم في اصبعي انه سيبلغ
اسمي ما بلغ اسم عليّ في المشرق والمغرب. توفي في رجب من السنة
المرقومة عن اربع وخمسين سنة من عمره ودفن بالقرافة الصغرى
بعد العصر من يوم الجمعة، وله مقام يزار ومسجد جامع. ومن
دعائه اللهمّ يا لطيف اسألك اللطف فيما جرت به المقادير.
ومن حكمه البديعة الرائعة قوله: «اصل كل عداوة الصنيعة الى
الانـذال» «من حسن ظنه بلئيم كان ادنى عقوبته الحرمان»
و«صحبة من لا يخاف العار عار يوم القيامة» و«الانبساط
الى الناس مجلبـة لقرناء السوء والانقباض عنهم مكسبة للعداوة
فكن بين المنقبض والمنبسط» وقال: «انك لا تقدر ان ترضي
الناس كلهم فأصلح ما بينك وبين الله ثم لا تبالِ بالناس».

الثامن من الخلفاء العباسيين

هو المعتصم بالله ابراهيم بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة
يوم موت اخيه المأمون (بسر من راى) كان ابيض مربوعا شجاعا
قوي البدن وكان فيه عنف وظلم يرهب الاعداء كان اشد
الناس بطشاً وكان عرياً من العلم لان الرشيد كان يميل اليه فاتفق
انه مات غلام يقرأ معه في المكتب فقال له الرشيد يا ابراهيم

مات غلامك قال نعم واستراح من الكتاب قال وان الكتاب ليبلغ منك هذا دعوه لا تعلموه · فكان يكتب ويقرأ قراءة خفيفة ، حكي عنه انه كان جالساً في مجلس انسه وفي يده الكاس فبلغه ان امرأة شريفة في الاسر عند علج من علوج الروم في عمورية وانه لطمها على وجهها يوماً فصاحت وامعتصماه فقال لها العلج ما ما يجيء اليك المعتصم الا على الأبلق فلما سمع ذلك اغتم شديدا وختم الكاس وناوله لساقيه وقال والله لا اشربه الا بعد فك هذه الشريفة من الاسر وقتل العلج ، فنادى بالرحيل الى غزو عمورية وامر ان لا يخرج احد من العسكر الا على فرس ابلق فخرجوا في سبعين الف فرس ابلق فنزل بها فحاصرها حتى فتحها عنوة فلما دخل كان يقول لبيكِ لبيكِ ، وطلب العلج فضرب عنقه وفك قيود الشريفة وقال للساقي ايتني بالكاس التي اودعتها فاتاه بها وفك ختمه وشربه وقال الآن طاب الشراب · واحتوى على ما فيها من الاموال وقتل منها ثلاثين الفاً وقيل تسعين الفاً · وكتب اليه ملك الروم كتاباً يتهدده فيه فلما قرأ الكتاب قال للكاتب اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار · فجهز الجيوش وفرقها ففتحوا

وغنموا ورجعوا سالمين ·

كان لما عهد المأمون الى اخيه المعتصم اوصاه ان يحمل الناس على القول بخلق القرآن، واستمر الامام احمد بن حنبل محبوساً الى ان بويع المعتصم فاحضره الى بغداد وعقد له مجلساً للمناظرة فناظروه ثلاثة ايام ولم يزل الى اليوم الرابع فأمر بضربه فضرب الى ان اغمي عليه وهو صائم ولم يزل الامام احمد يتوجع حتى مات سنة احدى واربعين ومائتين، ينتسب الى معد بن عدنان كان مجتهدا ورعاً فقيها، حزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا نحو ثمانمائة الف ومن النساء نحو ستين الفاً، قيل واسلم يوم موته نحو عشرين الفاً ·

توفي المعتصم لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين عن ثمان واربعين سنة من عمره، ومدة خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وهو الثامن من خلفاء بني العباس ووقف ببابه ثمانية ملوك وفتح ثمانية فتوحات وخلف ثمانية بنين وثماني بنات فلهذا يدعى بالثمانيني ·

التاسع من الخلفاء العباسيين

هو الواثق بالله ابو جعفر هارون بن المعتصم، بويع له بالخلافة (بسر من راى) بعد موت ابيه، كان ابيض مليحا يعلوه اصفرار حسن

اللحية عالماً اديباً جيد الشعر شجاعاً مهيباً حازماً فيه جبروت .
وهو اول خليفة استخلف سلطاناً والبسه التاج . كان اعلم الخلفاء
بالغناء وله اصوات والحان عملها نحو مائة صوت وله ألّف
الاصفهاني كتاب الاغاني ، وكان قد تبع اباه في القول بخلق
القرآن ثم رجع عن هذا القول قبل موته ، وذلك انه اتي بشيخ
مكث في السجن بقيوده فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد
لواثق السلام فقال الشيخ يا امير المؤمنين بئس ما ادّبك به
مؤدبك قال الله تعالى : « فاذا حُيّيتم بتحية فحيّوا بأحسنَ
منها او ردوها » فما حييتني باحسن منها ولا بها * فقال الواثق :
وعليك السلام . ثم قال لابن ابي دؤاد سله فقال الشيخ
المسئلة لي مرة فأجبني فقال سل فاقبل الشيخ على ابي دؤاد
وقال اخبرني عن هذا الامر الذي تدعو الناس اليه أشيءٌ دعا
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ، قال دعا اليه ابو
بكر الصديق بعده قال لا ، قال دعا اليه عمر بن الخطاب بعدهما ،
قال لا قال دعا اليه عثمان بعدهم ، قال لا قال دعا اليه عليّ بن
ابي طالب بعدهم قال لا فقال الشيخ شيء لم يدع اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي
الله عنهم تدعو انت اليه الناس فهو لا يخلو من احد امرين

اما ان تقول علموه او جهلوه فان قلت علموه وسكتوا عنه وسعنا وإياك من السكوت ما وسع القوم وان قلت جهلوه وعلمته انت فيا لكع ابن لكع يجهل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده (رضي الله عنهم) شيئاً وتعلمه انت واصحابك، فالزمه الشيخ الزاماً صحيحاً فعند ذلك امر الواثق بفك قيود الشيخ فاخذها الشيخ ووضعها في كمه . فقال الواثق ما تفعل به قال اوصي لمن بعدي اذا مت ان يضع القيد بيني وبين كفني حتى اخاصم هذا الظالم يوم القيامة فاقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع اهلي وولدي واخواني بلا حق وجب علي فبكى الحاضرون . ثم سأله الواثق ان يجعله في حل فقال الشيخ جعلتك في حل اكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كنت من اهل بيته . فرجع الواثق عن هذا القول واطلق الشيخ واكرمه واحسن اليه . والشيخ المذكور هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الازدي شيخ ابي دؤاد والكسائي .

توفي الواثق في رجب سنة اثنين وثلاثين ومائتين عن ست وثلاثين سنة . ومدة خلافته خمس سنين وتسعة اشهر ولما احتضر جعل يقول :

الموت فيه جميع الناس مشترك * لا سوقة منهم يبقى ولا ملك

ما ضر اهل قليل في تفاقرهم * فليس يغنى عن الاملاك ماملكوا

ثم الصق خده بالارض وجعل يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه · ثم قبض رحمه الله

العاشر من الخلفاء العباسيين

هو المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد · بويع له بالخلافة (بسرمن راى) بعد موت اخيه الواثق بعهد منه سنة (٢٣٢) · كان اسمر رقيقاً مليح العينين خفيف اللحية معتدلا، وهو الذي احيى السنة وامات بدعة القول بخلق القرآن وكتب الى الافاق برفع المحنة واظهار السنة واعز علمائها وخمدت المعتزلة وكانوا قبله في قوة لكنه كان يبغض عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه ويكثر الوقيعة فيه · وقد امر بهدم قبر الحسين عليه السلام ومنع الناس من زيارته فاشمأزت منه المسلمون وتألموا من ذلك وهجاه الشعراء فمما قيل فيه (واجاد القائل)

تالله ان كانت امية قد اتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثله * هذا لعمرك قبره مهدوما
اسفوا على ان لايكونوا شاركوا * في قتله فتتبعوه رميما

ولابن الوردي بيتان

وكم قد محي خير بشرٍ كما انمحت * ببغض عليٍ سيرة المتوكل

تعمق في عدل ولما جنى على * جناب علي حطه السيل من عل

ومن الاعاجيب التي وقعت في ايامه انه هبت ريح شديدة سموم بالعراق فاحرقت زرع الكوفة و بغداد وقد ظلت عاصفة خمسة وخمسين يوماً فاتصلت بهمدان والموصل وسنجار فاحرقت زرعاً وخلقاً كثيرا وجاءت زلزلة هائلة بدمشق سقطت منها دور وهلك خلق كثير. وفي سنة «٢٣٨» فاجأت الروم دمياط بغتة فنهبوها وولوا مسرعين في البحر · وفي سنة «٢٤٢» زلزلت الارض زلزلة عظيمة بتونس والري وخراسان ونيسابور وطبرستان واصبهان و تقطعت جبال وتشققت الارض بقدر ما يدخل الرجل ورجمت قرية السويدا بناحية مصر بحجارة كل حجرة بمقدار خمسة عشر رطلا وغار جبل باليمن عليه مزارع وقرى · وفي سنة «٢٤٣» قدم المتوكل دمشق فاعجبه سكناها فبني له قصر بداريا ، ثم رجع بعد شهرين · وفي سنة «٢٤٥» خسفت ثلاث عشرة قرية بالمغرب وفيها عمت الزلازل جميع الارض وفيها غارت عيون بمكة فارسل المتوكل مائة الف دينار لاجراء الماء من عرفات

ثم اتفق الجند مع ولد المتوكل على قتل ابيه فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه وقتلوا وزيره

الفتح بن خاقان · ومن العجب انه قدم الى المتوكل سيف لا يكون
مثله فقال هذا لايصلح الا لساعد باغر فاعطاه اياه فقتله به وذلك
في شوال سنة سبع واربعين ومائتين عن اربعين سنة من عمره،
ومدة خلافته اربع عشرة سنة ·

الحادي عشر من الخلفاء العباسيين

هو المنتصر بالله ابو عبد الله محمد بن المتوكل، بويع له
بالخلافة في الليلة التى قتل فيها ابوه، كان مربوعاً سميناً مليحاً مهيباً
كامل العقل قليل الظلم · امر بزيارة قبر الحسين عليه السلام
لكن من العجب انه لما جلس على سرير الملك رأى في بعض
البسط دائرة فيها فارس عليه تاج وحوله كتابة بالفارسية فطلب
من يترجمها له بالعربية فاذا فيها اناشيرويه بن كسرى بن هرمز
قتلت ابي فلم امتع بالملك ستة اشهر · فتغير وجه المنتصر وامر برفع
البساط فحصل له حمى، قيل دسوا الى طبيبه ابن طيفور بدنانير
ففصده بريشة مسمومة فمات عن ست وعشرين سنة من عمره ومدة
خلافته ستة اشهر ·

الثاني عشر من الخلفاء العباسيين

هو المستعين بالله احمد بن المعتصم، بويع له بالخلافة سنة
ثمان واربعين ومائتين، كان مربوعا مليح الوجه ابيض بوجهه اثر

جدري الثغ يجعل السين ثاء ، وهو اول من احدث توسيع الاكمام وصغر القلانس وكانت طوالا . ثم غدروا به فقتلوه في شهر رمضان سنة (٢٥٢) بعد فتن كثيرة عن احدى وثلاثين من عمره ومدة خلافته سنتان وتسعة اشهر .

الثالث عشر من الخلفاء العباسيين

هو المعتز بالله ابو عبد الله محمد بن المتوكل ، بويع له بالخلافة سنة « ٢٥١ » وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين عن سبع واربعين سنة من عمره ومدة خلافته اربع سنين وستة اشهر .

الرابع عشر من الخلفاء العباسيين

هو المهتدي بالله ابو عبد الله جعفر بن الواثق بن المعتصم بويع له بالخلافة حين خرجوا على ابن عمه المعتز سنة « ٢٥٥ » كان اسمر رقيقاً مليح الوجه ورعاً متعبداً عادلاً قوياً في امر الله شجاعاً بطلاً لكنه لم يجد ناصراً يساعده ولا معيناً يعينه . لما ولي الخلافة اخرج الملاهي ومنع سماع الغنا والشراب وامر بنفي المغنيات وترك المنكرات والزم نفسه الجلوس للناس وازالة المظالم وكان يقول اني لأستحيي من الله عز وجل ان لا يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني امية .

توفي سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنين واربعين سنة

ومدة خلافته سنة الا خمسة عشر يوماً ودفن في (سرمن راى)

وفي سنة « ٢٥٦ » توفي الامام الحافظ سلطان المحدثين ابو عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن بردذبة البخاري الجعفي صاحب الصحيح المتفق على الاخذ منه والعمل به بقرية من قرى سمرقند يقال لها (خرتنك) ليلة عيد الفطر منها ٠

الخامس عشر من الخلفاء العباسيين

هو المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل ، بويع له بالخلافة بعد ابن عمه المهتدي سنة «٢٥٦» كان اسمر ربعة رقيقاً مدور الوجه مليحاً في لحيته شيب منهمكاً على اللذات ٠ ومن الحوادث التي حصلت في ايامه ان الزنج دخلوا البصرة واعمالها وخربوا وقتلوا واحرقوا وسلبوا اموالا كثيرة ٠ فاستمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد الى سنة سبعين ومائتين ٠ ثم قتل رئيس الزنج «لعنه الله» واسمه بهوذ كان يدعي انه نبيٌ وانه يطلع على المغيبات وقتل من المسلمين في هذه المدة ما ينيف على الف الف وخمسمائة الف كان له منبر يصعد عليه و يسبُّ عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة ولما قتل هذا الخبيث وادخلوا رأسه بغداد على رمح زينت بغداد ٠

وفي سنة ست وستين ومائتين دخلت عساكر الروم ديار

بكر وهرب اهل الجزيرة والموصل وفيها وثب الاعراب على كسوة الكعبة المعظمة فانتهبوها وغار نيل مصر فغلت الاسعار . وفي سنة «٢٦١» توفي ابو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب الصحيح،لازم البخاري واخذ عنه قال له يوماً دعني اقبل رجليك يا استاذ الاستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث

وفي سنة «٢٧٠» توفي داود بن عليّ الاصفهاني امام اهل الظاهر، كان اماماً مجتهداً ورعاً اخذ هو واصحابه بظاهر الآثار والاخبار واعرضوا عن التأويل والقياس في الشريعة.

خالف الائمة الاربعة في امور، منها قوله: «الشرب خاصة في آنية الذهب والفضة حرام ويجوز الأكل والانتفاع بهما» لقوله صلى الله عليه وسلم: «الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم». وفي ايام المعتمد كان اول ظهور القرامطة من الملاحدة.

توفي المعتمد فجأة سنة تسع وسبعين ومائتين عن خمسين سنة من عمره ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة

تبيين

القرامطة ويقال لهم الباطنية قوم من الملاحدة ينتسبون الى رجل يقال له حمدان قرميته تخفف فقيل قرمط اصله من قرية من

قرى واسط . وهم «اي القرامطة» طائفة اصلهم من المجوس . لما
رأوا قوة المسلمين والاسلام واستيلائهم على البلاد اجتمعوا وتذاكروا
ما كان عليه اسلافهم من قوة الملك والاكاسرة فتفاوضوا وقالوا
لا سبيل لنا ولا قوة الى دفع المسلمين بالسيف والمحاربة لقوة
سيطرتهم وغلبتهم على الملك والبلاد ولا وسيلة الا ان نتخذ
الحيلة عليهم بوقوع التشكيك في دينهم وتأويل شريعتهم الى ما
يعود على قواعد المجوسية فنصطاد بذلك ضعفاء المسلمين وجهالهم
وذلك يوجب فيهم وقوع الخلل والاختلاف والتفرق واضطراب
الكلمة وتشتت الأهواء . وكان رؤساءهم في ذلك حمدان قرمط
وعبد الله بن ميمون القداح و بابك الخرمي فتظاهروا اولا بالصلاح
والتقوى والزهد والورع فاجتمع عليهم بعض الجهلة الذين لا
عقل لهم ولا دين فصاروا يلقون عليهم مسائل من الشريعة يخفى
على الجهلة فهم معناها كقولهم : مامعنى الحروف المقطعة في اوائل
السور ، وما معنى قضاء صوم الحائض دون قضاء صلاتها . وما
معنى وجوب الغسل من نزول المنيّ دون البول . وما معنى عدد
الركعات اربعا وثلاثا وثنتين الى غير ذلك . ويؤخرون عنهم
الجواب ويعدونهم و يقولون لهم الآن لا تطيقون الجواب لتتعلق
قلوب الجهلة بمراجعتهم لفهم ذلك وغايتهم ادخال التشكيك

والتزيغ عن الحق فاذاما تمكنوا منهم القوا عليهم ما يوافق قواعدهم التي اسسوها بتعطيل الاحكام وترك العبادات ثم شرعوا يقولون لهم ان الامر الحقيقي من الفاظ الوضوء وعدد الصلاة والركعات ونحو ذلك انما هو محبة رؤساء هذه الطائفة وصاروا يؤولون لهم آيات القرآن بما يوافق ضلالاتهم فاباحوا الخمر والمحرمات وحرموا النبيذ واباحوا الفسوق ونكاح المحارم واثبتوا الحلول والتناسخ وكثر جمعهم وفسادهم فاستولوا على بعض البلاد كهجر والحسا وبلاد البحرين وتلك النواحي وفتكوا بالمسلمين وكثرت اتباعهم وجيوشهم . «والجهل والجهلاء كثيرون وطبائعهم ميالة الى ترك العبادات والتكاليف» .

ثم حصلت محاربات كثيرة في ايام الخليفة المقتدر فانهزمت عساكر الخليفة لكثرة القرامطة . وانقطع الحج سنين خوفاً من شرهم وخرج اهل مكة منها . وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة جهز المقتدر جيشاً للحجاج مع منصور الديلمي فوصلوا مكة . ثم وافاهم يوم التروية عدو الله ابو طاهر القرمطي بجيش عظيم فدخل مكة وقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلا ذريعاً وطرح القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس كان بيده . ثم اقتلعه واخذه معه ورجع بعد ان اقام بمكة احد وعشرين يوماً وبقي الحجر

الاسود عندهم نحو عشرين سنة حتى ارجعه الخليفة المطيع مع ابي طاهر القرمطي ثم انصرف الى بلده، وفي سنة (٣٦٠) توجهوا الى دمشق فاخذوها وقتلوا اميرها . ثم توجهوا الى يافا والرملة وتوابعهما وساروا الى مصر وحصل بينهم وبين عساكر جوهر محاربات وقتال فآل الامر الى انهزام القرامطة من مصر فرجعوا الى البلاد الشامية وانتشر شرهم في تلك الجهات. ثم خرجوا من دمشق بعد ثلاث سنين ورجعوا الى بلادهم هجر التي كانوا يسمونها دار الخلافة ثم تفرقوا ووقعت الفتن بينهم الى ان دمر الله تعالى هذه الطائفة الطاغية الفاجرة ومزقهم كل ممزق

وكان قد ابتلي ابو طاهر بداء الأكلة حتى صار يتناثر لحمه بالدود ومات اشقى واسوأ ميتة وعذبه الله بانواع البلاء في الدنيا «والعذاب الآخرة اشد وابقى» .

ثم تتبعتهم عساكر الخليفة حتى افنوهم وتفرقوا وانهزمت طائفة منهم وتحصنوا بروس الجبال من جهة اللاذقية وادنه ومن بقاياهم الاسماعيلية وهم غير النصيرية . وهربت شرذمة منهم الى مصر وبوقتها كان الحاكم بامر الله منصور من دولة العبيديين وكان فاسد العقل والعقيدة . ثم بعد ان قتل الحاكم بامر الله حضر جماعة من بقاياهم الى جهة الاراضي الشامية فنزلوا بوادي

التيم من جهة حاصبيا · وفيهم ممن كان عند الحاكم بامر الله رجال من الاعاجم وهم حمزة ومحمد بن اسماعيل ودروز وهم الذين افسدوا الحاكم بامر الله لانهم كانوا يعتقدون بالحلول والتناسخ وقالوا للحاكم بامر الله ان الاله حل فيه « تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا » فاجتمع عليهم كثيرون من الجهلاء الاغبياء سخيفي العقول فبثوا فيهم هذه العقائد وكتبوا كتابا سموه رسالة الحاكم بامر الله فتبعوهم على هذه العقيدة وهم طائفة الدروز الموجودون بحاصبيا وجبل لبنان وحوران نسبة الى دروز الذي كان من جملة من حضر الى وادي التيم ·

السادس عشر من الخلفاء العباسيين

هو المعتضد بالله ابو العباس احمد بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد · بويع له بالخلافة يوم موت عمه المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين · كان اسمر مهيبا معتدل القامة والشكل ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة من افراد خلفاء بني العباس كان يقدم على الاسد لشجاعته وكانت ايامه طيبة كثيرة الامن والرخاء اسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم · كان يسمى السفاح الثاني لانه جدد ملك بني العباس · وفي سنة (٢٨٥) هدم المعتضد بالله دار الندوة في الحرم وصيرها مسجدا · توفي

المعتضد سنة تسعين ومائتين عن ست واربعين سنة من عمره ·
ومدة خلافته تسع سنين وتسعة اشهر ·

السابع عشر من الخلفاء العباسيين

هو المكتفي بالله ابو محمد عليّ بن المعتضد · بويع له بالخلافة يوم موت ابيه · كان وسيما جميلا بديع الحسن دريّ اللون معتدلاً حسن العقيدة كارها لسفك الدماء ليس في الخلفاء مَن اسمه عليّ الا هو وعليّ بن ابي طالب كرم الله وجهه · وفي ايامه مات الراوندي الزنديق وهو احمد بن يحيى بن اسحق (له في الكفر والالحاد ومناقضة الشريعة مصنفات كثيرة) وقد اضربت عن ذكر هذيانه وزندقته والعجب من العوام انهم يذكرونه ويضحكون لأقواله ويغفلون عن كونه كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم في مصنفاته في عدة مواضع · مات «لعنه الله ولعن محبيه» سنة (٢٩٣) عن ست وثلاثين سنة من عمره ·

توفي المكتفي وهو شاب ببغداد سنة خمس وتسعين ومائتين عن اربع وثلاثين سنة · ومدة خلافته ست سنين وستة اشهر

الثامن عشر من الخلفاء العباسيين

هو المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن المعتضد · بويع له

بالخلافة يوم موت اخيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، كان جيد العقل صحيح الرأي لكنه كان موثرا للشهوات والشراب مبذرا متلفاً للمال اعطى الجواهر النفيسة التي في الخزينة لنسائه ومحاظيه واعطى محظية الدرة اليتيمة كان وزنها ثلاثة مثاقيل . واعطى اخرى سبحة جوهر لم يرَ مثلها وكان في داره احد عشر الف غلام خصيّ وقد اختلّ نظام الملك في ايامه لصغر سنه حتى غلب امر المهدي بالمغرب فبايعه اهل المغرب و بسط للناس العدل والاحسان وخرجت بلاد المغرب عن بني العباس من وقته .

ثم استصباه الوزير ووافقه جماعة فاجتمعوا ودخلوا عليه وهو يلعب بالاكرة فهرب وارسلوا الى عبدالله بن المعتز فبايعوه بالخلافة ولقبوه المرتضى بالله لكن لم يتم له امر وانهزم وعاد المقتدر على ما كان عليه ولم يمكث المرتضى في الخلافة سوى يوم وليلة . ولذا لم يعدوه من الخلفاء . كان فاضلا شاعرا اديبا اخذ عن المبرّد وثعلب ومن بليغ كلامه (انفاس الحيّ خطاه الى اجله) . لم يوأهل نفسه للخلافة لكن حمله على الخلافة الذين خذلوه بعد بيعته . رثاه علي بن بسام فقال :

لله درك من ملك بمضيعة ناهيك في العلم والاداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت فينقصه وانما ادركته حرفة الادب

ثم ظهر المقتدر فقتله حتفا · ومن الحوادث التي ظهرت في ايام المقتدر سنة (٣٠٠) انه ساخ جبل بالدينور في الارض وفيها ولدت بغلة فلوًا · وفي سنة (٣٠٩) قتل الحسين بن منصور الحلاج بافتاء العلماء والفقهاء بانه حلال الدم · وله مقالات وشطحات فكانت تظهر على يديه خوارق العادات واخباره واحواله يطول ذكرها وفيه الخلاف قيل انه وليٌّ وقيل انه زنديق متكهن مشعبذ والله اعلم

وفي سنة عشرين وثلاثمائة ركب مؤنس على الخليفة ومعه جند من البربر فقتل المقتدر · وقد بلغ من العمر سبعا وثلاثين سنة ، ومدة خلافته خمس وعشرون سنة ·

تبيين

المهدي الذي بايعه اهل المغرب ايام المقتدر ، هو اول دولة العبيديين الذين تسموا بالفاطميين كان ابتداء دولتهم سنة (٢٩٧) وآخرها سنة (٥٦٧) وكانت مدة ملكهم مائتين وسبعين سنة · وعددهم اربعة عشر نفساً ، منهم ثلاثة بالمغرب ، واحد عشر بمصر والشام ، كانوا يدعون انهم اشراف علويون فاطميون · لكن اختلف المؤرخون والنسابون في حقيقة نسبهم فمنهم من يثبتهم ومنهم من ينفيهم والله اعلم ·

اولهم: ابو محمد عبيد الله المهدي بن الحسن بن محمد بن عليّ الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب كرم الله وجهه «على زعم من يثبت نسبهم» . قام المهدي بالامر في المغرب يدعي الخلافة ستاً وعشرين سنة وشهورا . ثم قام بالامر بعده :

ثانيهم: ابو القاسم القائم بامر الله محمد نزار بن المهدي تولى سنة (٣٢٠) وتوفي بالمهدية سنة اربع وثلاثين وثلثمائة . ومدته اثنتا عشرة سنة ، وعمره خمسون سنة ونيف . وقام بالامر بعده :

ثالثهم: ابو الظاهر المنصور بالله اسماعيل بن نزار بنى مدينة سماها المنصورة واستوطنها ، توفي سنة احدى واربعين وثلثمائة ومدة ملكه سبع سنين وثمانية اشهر . وقام بالامر بعده :

رابعهم: ولده ابو تميم المعز لدين الله معد بن اسماعيل وهو اول من اقيمت له الدعوة بمصر . كان شهما شجاعا مهيبا اتسعت مملكته وكثرت عساكره .

ولما اختل امر الديار المصرية بعد موت كافور الاخشيدي ومواليه لاشتغال بنى العباس بالديلم عن مصر قصد المعز اخذ مصر فجهز قائداً من قواده يسمى جوهرا الصقلي قائد القواد ومعه مائة الف الى الديار المصرية وامره انه اذا ملكها ان يبني بلدا

بالقرب منها لتكون سكنا للمعز . فلما وصل جوهر الى مصر تسلمها من غير قتال ، ثم اختط سور القاهرة واختط القصر في وسط المدينة وعمّر الجامع الازهر وسمى هذه المدينة بالمنصورة . ثم ارسل فعرف المعز فحضر بعساكره من بلاد المغرب الى ان دخل القاهرة من غير ضرر وجلس على سرير الملك من غير منـازع ، وذلك في ذى القعدة سنة اثنين وستين وثلثمائة . فاقام المعز بالقـاهرة سنتين ونصفا الى ان توفي سنة خمس وستين وثلثمائة وكانت مدة ملكه بالمغرب ومصر ثلاثا وعشرين سنة ونصفا فقام بالامر بعده ولده :

خامسهم : ابو المنصور العزيز بالله نزار بن معد ، كان كريماً شجاعاً حسن العفو عند القدرة قريباً من الناس مغرماً بالصيد اديباً ذكياً فاضلا . توفي سنة ست وثمانين وثلثمائة ومدة ملكه احدى وعشرون سنة فقام بالامر بعده ولده :

سادسهم : ابو عليّ الحاكم بامر الله منصور بن نزار ، كان شيطانا مريدا سيىء الاعتقاد سفاكا للدماء قتل كثيرا من غير ذنب وادعى الالوهية وامر بسب الصحـابة وادعى علم الغيب فرفعت له رقعة فيها :

بالجور والظلم قد رضينا * وليس بالكفر والحماقة

ان كنت اوتيت علم غيب * بيّن لنا كاتب البطاقة

فسكت عن القول في المغيبات . كانت له امور متضادة كتب بسب الصحابة على ابواب المساجد والشوارع ثم محاها ومنع صلاة التراويح عشر سنين ثم اباحها وهدم قمامة النصارى ببيت المقدس ثم اعادها وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم قتلهم وهدمها وكانت افعاله كلها من هذا القبيل . كان يعمل الحسبة بنفسه في الاسواق على حمار له فمن وجده غش امر عبدا اسود معه يقال له مسعود ان يفعل به الفاحشة «وهذا امر لم يسبق اليه» وصنف له بعض الباطنية كتاباً ذكر فيه ان روح آدم انتقلت الى عليّ وان روح عليّ انتقلت الى الحاكم فلما رأى الناس هذا الكتاب قصدوا قتل من صنفه فسيره الحاكم الى جبال الشام فنزل بوادي التيم فاستمال قلوب الجهلة واضل خلقاً كثيرا كما سبق . قتل في شوال سنة احدى عشرة واربعمائة وعمره ست وثلاثون سنة ، ومدته عشرون سنة فقام بالامر بعده ولده:

سابعهم: ابو الحسن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن منصور وكان عمره سبع سنين فضعفت دولة العبيديين في ايامه واقام خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفي سنة سبع وعشرين واربعمائة فقام بالامر بعده ولده :

ثامنهم: ابو تميم المستنصر بالله معد بن علي، تولى وهو ابن ثمان سنين وجرت في ايامه فتن وخربت مصر وتغلب اكثر ولاة الاطراف وحصل الغلاء الذي ما عهد بمثله حتى اكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف بخمسين دينارا، وخرجت امرأة ومعها مدٌّ من جوهر فقالت من يأخذ هذا بمد من برٍّ فلم تجد احدا واقام المستنصر ستين سنة الى ان مات لاثنتي عشرة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وثمانين واربعمائة. فقام بالامر بعده ولده:

تاسعهم: ابو العباس المستعلي بالله احمد بن معد. وفي زمانه اختلت دولتهم وضعف امرهم وانقطع من اكثر الناس حكمهم وتغلب الافرنج على اكثر بلاد الشام الى ان مات سنة خمس وتسعين واربعمائة ومدة ولايته سبع سنين وشهر. ثم قام بالامر بعده ولده:

عاشرهم: ابو علي الآمر باحكام الله منصور بن احمد وهو ابن خمس سنين نشأ ظالما جاهلا طماعا كثير الفسق متظاهرا بالفواحش رديء الطبع وثب عليه الباطنية فضربوه بالسكاكين الى ان مات وفرح الناس بقتله. ثم ان جماعة من اتباعه وثبوا على الباطنية فقتلوهم وكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وثمانية اشهر وقام بالامر بعده ابن عمه:

حادي عشرهم: الحافظ لدين الله عبد المجيد بن ابي القاسم محمد بن المستنصر وعمره ثمان وخمسون سنة . ولم يكن له الاّ الاسم وكان الامر بيد وزيره الأفضل وكان الحافظ يتظاهر بمذهب الامامية ثم قتل وزيره الافضل وتصرف في مملكته فاحسن تدبير نفسه الى ان مات سنة اربع واربعين وخمسمائة ومدته تسع عشرة سنة ثم قام بالامر بعده ولده ابو الفداء الظافر باعداء الله:

ثاني عشرهم: اسماعيل بن عبد المجيد . كان عارفاً عاقلاً ديناً عمر جامع الظافري بالشوايين ثم قتله وزيره سنة تسع واربعين وخمسمائة ومدته اربع سنين وثمانية اشهر وقام بالامر بعده:

ثالث عشرهم: ابو القاسم الفائز بنصر الله عيسى بن اسماعيل وعمره خمس سنين ، نشأ خيرا دينا عارفا عمّر جامع الصالح خارج باب زويله والمشهد الحسيني وكان حسن الرأي والتدبير سار في الناس سيرة حسنة الى ان ادركته الوفاة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وقام بالامر بعده:

رابع عشرهم: ابو محمد العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف ابن الحافظ وعمره احدى عشرة سنة . كان شديد التشيع مبالغاً بسب الصحابة اذا رأى سنيا استحل دمه . كان وزيره طلائع بن رزيك فقتل وتولى الوزارة ولده رزيك لقب بالعادل فقتل ثم

تولى الوزارة شاور وهو الذي خرّب مصر لان الافرنج ضيقوا الحصار على القاهرة فخاف على مصر فاحرق مدينة باب النور «وكانت مدينـة عظيمة فيها اربعمائة حمام» وهي الكيمان التي بالقرافة خارج السور وذلك خوفاً من ان يملكها الافرنج فطلب الافرنج من العاضد الف الف دينار فسمح لهم ووعدهم . وارسل العاضد الى نور الدين الشهيد صاحب الشام يستنصر به وكان نور الدين بحلب فجهز له اسد الدين شيركوه ومعه ابن اخيه يوسف بن ايوب في جيش مقداره عشرة الاف فارس وخمسون الف ماش فلما سمع الافرنج بقدومه رحلوا عنه ودخل اسد الدين بالعسكر الى القاهرة فاكرمه العاضد بمنصب الوزارة فمسك اسد الدين شاور وزير العاضد فقتله . واستمر اسد الدين في وزارة العاضد شهرين وعشرة ايام ثم مات . وتولى مكانه في وزارة العاضد صلاح الدين يوسف بن ايوب . ثم قبض على العاضد وجعله في قصر تحت الحفظ الى ان مات في المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وهو آخر الفاطميين بمصر «والله الباقي مالك الملك رب العالمين» .

استطراد

صلاح الدين هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاري بن مروان الحميدي من الاكراد الروادية كان

ابوه ايوب في خدمة زنكى ثم تولى بعلبك · كان من امر صلاح
الدين انه لما تولى الوزارة للعاضد العبيدي بمصر امره نور الدين
الشهيد بقطع الخطبة للعبيديين ، وان يقيم الخطبة للعباسيين
فاقيمت الخطبة باسم المستضيء بالله العباسي وكانت قد قطعت
من مصر من نحو مائتين وعشرين سنة · ثم توفي العاضد العبيدي
وتسلم القصر السلطان صلاح الدين بما فيه من نفائس الاموال
وارسل امير المؤمنين المستضيء بنور الله العباسي رسوله بهديتين
نفيستين احداهما للسلطان نور الدين الشهيد والاخرى للسلطان صلاح
الدين * وصلاح الدين هو من عمال نور الدين الشهيد ووالده وعمه
شيركوه كانا من امرائه وعنده نشأوا وتربوا · فلما توفي نور الدين
وولده الملك الصالح اسماعيل استقل صلاح الدين بالسلطنة وقاتل
الافرنج وفتح الفتوح واخذ منهم نيفاً وسبعين مدينة وحصناً وكان
حكمه من اقصى اليمن الى الموصل ومن طرابلس الغرب الى النوبة ·
كان رحمه الله ملكا شجاعا كريم الاخلاق حليما متواضعا · عمر المساجد
والمدارس والخوانق وعمر قلعة الجبل وسور القاهرة وقبة الشافعي
وخلص القدس من الافرنج · كان شافعي المذهب اشعري الاعتقاد
كانت ولادته بتكريت سنة « ٥٣٢ » وتوفي بقلعة دمشق نهار
الاربعاء سابع عشر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ودفن بالقلعة

ثم نقل رحمه الله من القلعة الى التربة المستجدة بالمدرسة العزيزية شمالي الجامع الملاصقة للكلاسة ولم يوجد في خزينته الخاصة الاسبعة واربعون درهما ودينار واحد ولم يخلف ملكا ولا عقارا، اقام بالسلطنة اربعا وعشرين سنة وعمره سبع وخمسون سنة . ثم تولى السلطنة من بعده اولاده واحد بعد واحد الى ان تولى الملك الاشرف موسى بن الملك الناصر صلاح الدين وهو آخر ملك من ملوك بني ايوب وكان مدة ملكهم ثمانين سنة

التاسع عشر من الخلفاء العباسيين

هو القاهر بالله ابو منصور محمد بن المعتضد ، بويع له بالخلافة سنة عشرين وثلثمائة . كان طائشا سفاكا للدماء قبيح السيرة كثير التلون مدمن الخمر وكان من وزرائه ابن مقلة الذي جوّد الخط العربي وعربه من الخط الكوفي ولم يترك فيه شيئا يشابه الخط الكوفي ومدة خلافته سنة ونصف وثمانية ايام .

العشرون من الخلفاء العباسيين

هو الراضي بالله ابو العباس محمد بن المقتدر بالله . بويع له بالخلافة سنة اثنين وعشرين وثلثمائة . كان قصيرا اسمر نحيفا سمحا جوادا واسع الصدر اديبا شاعرا وفي ايامه اختل امر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجي تغلب عليها او عامل يأكل الاموال

وصاروا اشبه بملوك الطوائف وكل من حصل في يده بلد ملكها·
فالبصرة وواسط والاهواز في يد عبد الله البريدي واخوته،
وفارس في يد عماد الدولة بن بويه والموصل وديار بكر وديار
ربيعة وديار مضر بيد بني حمدان· ومصر والشام في يد الاخشيد بن
طفج · والمغرب وافريقية في يد المهدي · والاندلس في يد بني
امية · وخراسان وما والاها في يد نصر بن احمد الساماني · واليمامة
وهجر والبحرين في يد ابي طاهر القرمطي · وطبرستان وجرجان
في يد الديلم · فلم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد فعم الخراب
بسبب ذلك ووهت اركان الدولة العباسية ·

توفي الراضي سنة تسع وعشرين وثلثمائة عن اثنين وثلاثين
سنة من عمره ودفن بالرصافة

الحادى والعشرون من الخلفاء العباسيين

المتقي بالله ابو اسحاق ابراهيم بن المقتدر · بويع له بالخلافة
بعد اخيه الراضي · كان ذا دين وورع كثير الصوم والتهجد
والتلاوة ولم يشرب مسكرا مدة حياته ·

وفي ايامه سنة «٣٣١» وصلت الروم الى ارزن وميافارقين
ونصيبين فقتلوا وسبوا ثم طلبوا منديلا في كنيسة الرها
يزعمون ان المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورة وجهه فيه

فارسلوه اليهم واطلقوا الاسارى . توفي المتقي عن ست واربعين سنة من عمره

الثاني والعشرون من الخلفاء العباسيين

هو المستكفي بالله ابو القاسم عبد الله بن المكتفي ، لم تطل مدته، توفي سنة «٣٤٣» ومدته سنة واربعة اشهر وهو ابن ست واربعين سنة

الثالث والعشرون من الخلفاء العباسيين

المطيع لله ابو الفضل القاسم بن المقتدر . بويع له بالخلافة سنة «٣٤٣» وفي ايامه سنة «٣٤٤» زلزلت مصر زلزلة عظيمة دامت ثلاث ساعات . وفي سنة «٣٤٦» نقص البحر ثمانين ذراعا فظهر فيه جبال وجزائر واشياء لم تعهد .

توفي بدير العاقول سنة اربع وستين وثلثمائة عن ثلاث وستين سنة ومدته تسع وعشرون سنة

الرابع والعشرون من الخلفاء العباسيين

الطائع لله ابو بكر عبد الكريم بن المطيع . بويع له بالخلافة سنة اربع وستين وثلثمائة . كان مربوعا اشقر كبير الانف في خلقه حدة شديدة، شديد القوة كريما شجاعا بطلاً جواداً الا انه كانت يده قصيرة مع ملوك بني بويه

توفي الطائع سنة (٣٩٣) عن ثلاث وسبعين سنة ومدة خلافته سبع عشرة سنة ٠

الخامس والعشرون من الخلفاء العباسيين

القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق بن المقتدر ٠ بويع له بالخلافة سنة (٣٨١) ٠ كان ابيض كبير اللحية دائم التهجد كثير الصدقات له دين متين لكن ليس له من الخلافة الا اسمها ٠ توفي سنة اثنين وعشرين واربعمائة عن ست وثمانين سنة ومدة خلافته احدى واربعون سنة

السادس والعشرون من الخلفاء العباسيين

القائم بامر الله ابو جعفر عبد الله بن القادر بالله ٠ بويع له بالخلافة يوم موت ابيه ٠ كان ولي عهده في حياته ، كان جميلا مليح الوجه دينا ورعا زاهدا عالما قوي الدين واليقين بالله كثير الصدقات موثرا للعدل وقضاء الحوائج من خير الخلفاء لكن الوقت لم يعاونه وفي ايامه كان ابتداء الدولة السلجوقية وانقراض بني بويه ٠ وفي سنة (٤٦١) احترق الجامع الاموي بدمشق وزالت محاسنه وسقوفه المذهبة وفي سنة سبع وستين واربعمائة مات الخليفة القائم ومدة خلافته خمس واربعون سنة وله من العمر «٧٧» سنة

السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين

المقتدي بامر الله ابو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم . بويع له بالخلافة يوم وفاة جده . كان دينا قوي النفس علي الهمة نجيبا، نفى المغنيات والمومسات من بغداد وخرب ابراج الحمام صيانة لحرم الناس وتوفي فجأة عن ثلاث وثلاثين سنة ومدة خلافته ست عشرة سنة

الثامن والعشرون من الخلفاء العباسيين

المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدي ، بويع له بالخلافة يوم وفاة ابيه وعمره ست عشرة سنة، كان لين الجانب كريم الاخلاق سمحا جوادا محبا للعلماء . في ايامه سنة (٤٩٢) اخذت الافرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف وقتلوا به اكثر من سبعين الفا وهدموا المشاهد وجمعوا اليهود في كنيستهم واحرقوها عليهم وتمكنت الافرنج من الشام وفي سنة (٥١٨) نقل المصحف العثماني من مدينة طبرية الى جامع دمشق خوفا عليه من الكفار فخرج الناس لتلقيه فوضعوه في الخزانة الشرقية بمقصورة الجامع الاموي وهو بخط حسن في رق من جلد الابل فاما عثمان رضى الله عنه فلم يعرف انه كتب بخطه مصحفا من هذه المصاحف بل كتبت بامره فنسبت اليه ، وفي سنة اثني

عشرة وخمسمائة توفي الخليفة المستظهر عن احدى وخمسين سنة، ومدة خلافته خمس وعشرون سنة

التاسع والعشرون من الخلفاء العباسيين

المسترشد بالله ابو منصور الفضل بن المستظهر، بويع له بالخلافة يوم موت والده بعهد منه . كان اشقر شجاعاً بطلاً ذا همة عالية وشهامة زائدة . ضبط امور الخلافة ورتبها واحيا رسومها ونشر اعلامها، كان يباشر الحروب بنفسه لكن الزمن لم يساعده، توفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة عن اربع واربعين سنة ومدة خلافته سبع عشرة سنة .

الثلاثون من الخلفاء العباسيين

الراشد بالله ابو جعفر منصور بن المسترشد، بويع له بالخلافة بعهد من ابيه، كان شاباً ابيض مليحاً تام الشكل شجاعاً شديد البطش حسن السيرة كريماً جواداً فصيحاً، توفي سنة ثلاثين وخمسمائة عن ثلاثين سنة ومدة خلافته سنة الا اياما

الواحد والثلاثون من الخلفاء العباسيين

المقتفي لامر الله ابو عبدالله محمد بن المستظهر، بويع له بالخلافة يوم وفاة ابن اخيه، كان آدم اللون بوجهه اثر جدري مليح الشيبة عظيم الهيبة سيدا عالما دينا فاضلا حليما شجاعا فصيحا بيده ازمة

الامور لا يجري امر الا بتوقيعه · في ايـامه سنة (٥٤٣) حاصر الافرنج دمشق فوصل اليها نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب حلب يومئذ واخوه غازي صـاحب الموصل فنصر الله المسلمين بهما وانهزم الافرنج عنهما

وفي ايامه كان ببلاد الشام زلازل عظيمة هدمت بها بلاد وبيوت كثيرة · وفي ايامه عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق منازع وقبله كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة الا اسم الخلافة فمن سلاطينه ايام دولته السلطان سنجر صاحب خراسان والسلطان نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام ومصر

توفي المقتفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة عن ست وستين سنة ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة

الثاني والثلاثون من الخلفاء العباسيين

المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي ، بويع له بالخلافة بعد موت ابيه ، قيل رأى المستنجد في منامه في حيـاة والده ان ملكا نزل من السماء فكتب له في كفه اربع خاءات فطلب معبرا فقال تلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك · كان موصوفا بالفهم الثاقب والرأي الصائب والذكاء الغالب ·

له شعر منه قوله :

عيرتني بالشيب وهو وقار * ليتها عيرت بما هو عار

ان يكن شابت الذوائب مني * فالليالي تزينها الاقمار

كان موصوفاً بالعدل والرفق وكان شديدا على المفسدين.
توفي سنة ست وستين وخمسمائة عن ثمان واربعين سنة وكانت مدة خلافته احدى عشرة سنة

الثالث والثلاثون من الخلفاء العباسيين

المستضيء بامر الله ابو محمد حسن بن المستنجد، بويع له بالخلافة يوم مات ابوه، كان جوادا كريماً موثرا للخير كثير الصدقات. في ايامه انقرضت دولة العبيديين من مصر وعادت الخطبة فيها لبني العباس وفي سنة (٥٧٤) بنى صلاح الدين تربة الامام الشافعي رحمه الله. توفي المستضيء سنة خمس وسبعين وخمسمائة عن تسع وعشرين سنة وكانت مدة خلافته تسع سنين ونصف سنة

الرابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين

الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضيء، بويع له بالخلافة يوم وفاة ابيه، كان ابيض حسن الوجه اقنى الانف خفيف العارضين اشقر اللحية رقيق المحاسن فيه شهامة واقدام وله عقل ودهاء وفطنة بسط العدل في ايامه وامر باراقة الخمور

وترك الملاهي وازالة المكوس فقويت البلاد وكثرت الارزاق وقصدت الناس بغداد للتجارة حتى صاروا يتبركون به ، كان يدور في الليل بالطرقات يتفقد البلد وهو اطول بني العباس خلافة . كان له عيون وارصاد عند كل سلطان يأتونه بالاخبار وكان في خلافته في عز وجلالة . كانت الملوك والاكابر بمصر والشام اذا ذكر خفضوا اصواتهم هيبة واجلالاً له ، كان يميل الى مذهب الامامية حتى ان ابن الجوزي سئل بحضرته من افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افضلهم بعده من كانت ابنته تحته فلم يصرح بتفضيل ابي بكر

في ايامه فتح صلاح الدين بيت المقدس وافتتح كثيرا من البلاد الشامية . وفي سنة (٥٩٧) حصلت زلزلة عظيمة بمصر والشام والجزيرة وانحسر البحر نحو فراسخ ثم رجع فخربت بلاد واماكن كثيرة وخسفت قرية من قرى بصرى

وفي ايامه سنة « ٥٩٩ » ظهر جنكيز خان من التاتار كان لا يتدين بدين فافسد البلاد واهلك العباد ودخل بخارى فخرب فيها ونهب الاموال وقتل اناساً كثيرة وقصد بلاد خراسان . ومات سنة « ٦٢٤ » . فقام ولده « تولي خان » وبعده ولده « هلاكو » وبعده ولده « تكدار » فاسلم وتسمى باحمد وكان

انقراض دولتهم سنة « ٧٢٧ » .

كان الناصر يؤتى له بالماء الذي يشربه من محل بعيد عن بغداد سبعة فراسخ ويغلى له سبع مرات ثم يوضع في الاوعية سبعة ايام ثم يشرب منه . وبعد ذلك ما مات حتى شق ذكره واخرج الحصى منه فمات بهذا الداء يوم الاحد سلخ رمضان سنة اثنين وعشرين وستمائة عن سبعين سنة من عمره ومدة خلافته سبع واربعون سنة

الخامس والثلاثون من الخلفاء العباسيين

الظاهر بامر الله ابو نصر محمد بن الناصر ، بويع له بالخلافة بعد وفاة ابيه ، كان جميلا حسن الهيئة محسنا للرعية ابطل المكوس والمظالم واظهر العدل واعاد سنة العمرين وما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله امر بجباية الخراج والاموال على الرسم القديم في العراق وارسل الى القاضي عشرة الاف دينار ليوفيها عن المعسر وفرق على العلماء والصلحاء ليلة عيد النحر مائة الف دينار . توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة . وكانت خلافته تسعة اشهر

السادس والثلاثون من الخلفاء العباسيين

المستنصر بالله ابو جعفر منصور بن الظاهر ، بويع له بالخلافة

يوم وفاة ابيه ، كان اشقر ضخما قصيرا قد وخطه الشيب ازج الحواجب ادعج العينين سهل الخدين اقنى الانف قد نشر العدل في الرعايا وقرب اهل العلم والدين وبنى المساجد والرباطات وحفظ الثغور وفتح الحصون فاجتمعت القلوب على محبته والالسن على مدحه ذا همة عالية وشجاعة واقدام استخدم عساكر كثيرة وقصدت التاتار البلاد فلقيهم وهزمهم هزيمة عظيمة

توفي رحمه الله سنة اربعين وستمائة عن اثنين وخمسين سنة من عمره ومدة خلافته سبع عشرة سنة

السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين

المستعصم بالله ابو احمد عبد الله بن المنتصر ، بويع له بالخلافة يوم موت ابيه وهو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق ، كان كريما حليما سليم الباطن قليل الرأي مبغضاً للبدعة متمسكاً بالسنة ، لما ولي الخلافة ركن الى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي من سوء تدبيره واشتغاله بلعب الحمام وبما لا يليق ، فكان الوزير يلعب بالخليفة كيفما شاء وشايع التتار في الباطن واطمعهم في مجيئهم الى العراق واخذ بغداد ليستأصل شافة الدولة العباسية ويقيم خليفة من آل علي فكان اذا جاءه اخبار من التتار كتمها عن الخليفة لكنه كان يطالع التتار باخبار الخليفة والخليفة تائه في لذاته

لا رأي له ولا تدبير

فاشار الوزير على الخليفة بقطع ارزاق اكثر الجنود وان لا لزوم لكثرتها وحسن له ان مصانعة التتار واكرامهم يحصل به المقصود ، كل ذلك من الوزير خدعة وتسهيل للتتار فطمعوا في البلاد وبغداد فكان ذلك من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى ما لم تصب المسلمون بمثله

التتار بلادهم من اقصى بلاد المشرق يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئاً ، يأكلون جميع الدواب حتى بني آدم ولا يعرفون نكاحاً ولا زوجة مخصوصة لرجل

في سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد ومقدمهم هلاكو وهم قوم لا يحصون ، وقد جاءوها وزحفوا عليها بقوة عظيمة وخيل وبقر وغنم ومؤنة فخرج اليهم عسكر الخليفة فهزموهم ودخلوا بغداد يوم عاشوراء فاشار الوزير خذله الله على الخليفة بمصالحتهم وقال اخرج اليهم وانا اصلح بينك وبينهم وملك التتار قد رغب في ان يزوج ابنته بابنك الامير ابي بكر ويبقيك في منصب الخلافة كما كان اجدادك مع السلاطين السلجوقية وينصرف عنك بجيوشه فليجب مولانا الى هذا فان فيه حقن دماء المسلمين ويمكن بعد ذلك ان نفعل ما نريد والرأي

عندي ان تخرج اليهم

فتعمم وتزين واخذ بردة النبي صلى الله عليه وسلم على كتفيه والقضيب بيده وخرج في جمع من العلماء والاعيان فلما اجتمع بكبير التتار انزله في خيمة وحده . ثم خرج الوزير واستدعى العلماء والفقهاء ليحضروا العقد فكلما حضرت جماعة ضربت اعناقهم حتى قتل جميع من كان مع الخليفة ، ثم مد الجسر وبذل السيف في بغداد واستمر القتل فيها نحو اربعين يوماً فبلغت القتلى اكثر من الفي الف وثلاثمائة الف نسمة ولم يسلم الا من اختفى في بئر او قناة . وامر ان يجوع الخليفة حتى بلغ منه الجوع مبلغاً عظيماً فسأله ان يطعم شيئاً فارسل هلاكو له طبقاً فيه ذهب وطبقاً فيه فضة وطبقاً فيه جواهر وقيل له كل هذا فقال هذا لا يؤكل فقال له ان كنت تعلم انه لا يؤكل فلم ادخرته فلو صانعتنا ببعضه واستخدمت به جيشاً لكنت لقيتنا به ثم امر فاخذ البردة والقضيب منه فوضعهما في طبق نحاس واحرقهما وذرّ رمادهما في دجلة وقتل الخليفة وولده بعد ان عذبهما اشد العذاب وذلك نهار الاربعاء رابع عشر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة وعفي قبرهما ، وكان عمر الخليفة خمسين سنة ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر . ثم قتل بقية اولاده واسرت بناته فكان ذلك خاتمة الدولة

العباسية بالعراق فكانت كل مدتهم خمسمائة سنة واربعة وعشرون سنة والله الباقي :

خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى المات سلام

ثم ان الوزير الملعون لم يتم له ما اراد في خداعه للخليفة فانه ذاق من التتار غاية الذل والهوان فان هلاكو استدعاه بين يديه وعنفه وكدره واهانه على سوء ما فعله مع استاذه ثم قتله شر قتلة . ثم انتشرت فتنة التتار فاخذوا بلاد الروم ورتبوا على ملكهم كل سنة اربعمائة الف دينار

القسم الثاني من الخلفاء العباسيين

هم المقيمون بمصر بعد قتل المستعصم وعددهم خمسة عشر ومدة خلافتهم مائتا سنة وخمس وخمسون سنة ونصف

اولهم : المستنصر ابو القاسم احمد بن الظاهر بامر الله كان غائباً عند الفتنة وقتل المستعصم فسلم وقدم مصر واثبت نسبه . ثم بويع له بالخلافة سنة ست وخمسين وستمائة واول من بايعه السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ثم قاضي القضاة ابن بنت الاعز ثم العلماء على مراتبهم . كان بطلا شجاعا مهيباً اسود اللون لان امه حبشية ولما خطب باسمه على المنابر فرحت الناس واستبشرت . ثم رتب له السلطان بيبرس

اتابكا وحاجبا وكاتبا وعين له جميع ما يحتاج اليه واقام بالقلعة ، ثم توجه نحو العراق فلما قرب منه بعساكره استقبله جماعة من التتار فاقتتلوا وقتل من المسلمين جماعة وتشتت الباقون وفقد الخليفة فلم يعلم له خبر ولا اثر وذلك في المحرم سنة ستين وستمائة

ثانيهم : الحاكم بامر الله ابو العباس احمد بن علي كان اختفى وقت فتنة التتار . قدم حلب فبايعه خلق كثير ولما قصد المستنصر بغداد ووقعت الواقعة كاتب الحاكم الملك بيبرس فيه فطلبه الى القاهرة فحضر ومعه ولده وجماعة فاكرمه الملك الظاهر بيبرس وبايعه بالخلافة وطالت مدته وفي سنة تسع وتسعين وستمائة قصد غازان بن ارغون بن ابقا بن هلاكو كبير التتار دمشق بجيش عظيم فخرج له السلطان وكان المصاف بوادي الخزندار على ثلاثة فراسخ من حمص جرت فيها ملحمة عظيمة قتل بها اكثر من عشرة الاف من التتار ولاحت امارات النصر ثم انكسرت ميمنة المسلمين فدخل التتار دمشق وشرعوا في العسف فنهبوا الصالحية واحرقوا جامع العقيبة وعدة اماكن وحاصروا القلعة فاحرق اهل القلعة دار السعادة ودار الحديث والعادلية وما بينهما من الدور الى النورية وبات الناس في ليلة ليلاء . ثم شرع التتار بالنهب والسبي لكنهم عجزوا عن اخذ القلعة

توفي الحاكم بامر الله سنة احدى وسبعمائة ودفن عند السيدة نفيسة في قبة بنيت له وكانت خلافته نيفاً واربعين سنة · وهو اول خليفة دفن بمصر من العباسيين

ثالثهم : المستكفي بامر الله ابو الربيع سليمان بن الحاكم بامر الله · بويع له بالخلافة بعهد من ابيه سنة احدى وسبعين وعمره سبع عشرة سنة · كان فاضلا جوادا حسن الخط شجاعا وكان يجالس العلماء والادباء خطب له على المنابر المصرية والشامية

توفي بقوص سنة اربعين وسبعمائة عن بضع وخمسين سنة ومدته نيف وثلاثون سنة

رابعهم: الواثق بالله ابراهيم بن المستمسك بالله · لما مات المستكفي بقوص عهد الى ابنه احمد بالخلافة فلم يلتفت السلطان الى ذلك وبايع ابراهيم واستمر في الخلافة الى ان حضرت الوفاة السلطان فندم على ما صدر منه وعزل ابراهيم هذا وبايع احمد الآتي ذكره لان ابراهيم تهتك وعاشر السفلة والارذال وتمادى بلعب الحمام وكباش النطاع والديوك واشباهها من الامور المسقطة للمروءة وكانت مدة استيلائه سنة وبضع ايام

خامسهم : الحاكم بامر الله ابو العباس احمد بن المستكفي ، لما استولى احيا رسوم الخلافة وسلك مسالك آبائه وسار على

آثارهم وكانت طمست يجدد معالمها واستمر في الخلافة الى ان توفي سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

سادسهم : المعتضد بالله ابو بكر بن المستكفي · بويع له بالخلافة بعد موت اخيه بعهد منه · كان عارفا واسع الفكر متواضعا خيرًا محبا لاهل العلم

توفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة ومدة خلافته عشر سنين

سابعهم : المتوكل على الله ابو عبد الله محمد بن المعتضد · بويع له بالخلافة بعد موت ابيه بعهد منه وامتدت ايامه واعقب نحو مائة ولد · وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة حدثت العلامة الخضراء على عمائم الاشراف ليتميزوا بها وذلك بامر السلطان الملك الاشرف منصور بن محمد بن قلاوون فقال فى ذلك ابو عبد الله بن جابر الاعمى (واجاد)

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وفي هذه السنة كان ابتداء خروج الطاغية تيمورلنك الذي خرب البلاد واباد العباد وكان تاريخ خروجه عذاب : (٧٧٣) ·

توفي المتوكل سنة ثمان وثمانمائة بالقاهرة ومدة خلافته خمس واربعون سنة

ثامنهم : المستعين بالله ابو الفضل العباس بن المتوكل · بويع له بالخلافة يوم موت ابيه بعهد منه، كان الملك يومئذ الناصر فرج فحصل في زمنه فتن الى ان مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ومدة خلافته ست عشرة سنة

تاسعهم : المعتضد بالله ابو الفتح داود بن المتوكل · بويع له بالخلافة بعد تنزل اخيه · كان جوادًا سمحًا نبيلاً ذكيًا فطنًا يجالس العلماء والفضلاء · توفي سنة خمس واربعين وثمانمائة

عاشرهم : المستكفي بالله ابو الربيع سليمان بن المتوكل · بويع له بالخلافة بعد موت اخيه بعهد منه ، كان من صلحاء الخلفاء عابدا دينًا حسن السيرة ، توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة عن ثلاث وستين سنة ودفن بالمشهد النفيسي عند ابائه ومدة خلافته عشر سنين

حادي عشرهم : القائم بامر الله ابو البقاء حمزة بن المتوكل، بويع له بالخلافة بعد اخيه ، كان شهما صارما اقام ابهة الخلافة ثم وقع بينه وبين الملك الاشرف قيل وقال واختلاف احوال · فذهب الى الاسكندرية وبها مات سنة ثلاث وستين وثمانمائة عن سبعين سنة ومدة خلافته اثنان واربعون يوما

ثاني عشرهم : المستنجد بالله ابو المحاسن يوسف بن المتوكل ·

بويع له بالخلافة بعد اخيه ، كان عارفاً دينا ، توفي سنة اربع وثمانين وثمانمائة بعد مرضه نحو عامين بالفالج ودفن بجوار المشهد النفيسي عن تسعين سنة من عمره . ومدة خلافته تسع وثلاثون سنة .

ثالث عشرهم : المتوكل على الله ابو العز عبد العزيز بن يعقوب . بويع له بالخلافة بعد موت عمه المستنجد سنة اربع وثمانين وثمانمائة . كان محبيا للخاصة والعامة بخصاله الجميلة ومناقبه الحميدة ، توفي سلخ المحرم سنة ثلاث وتسعمائة ومدة خلافته تسع عشرة سنة

رابع عشرهم : المستمسك بالله ابو الصبر يعقوب بن عبد العزيز . بويع له بالخلافة بعد موت ابيه . كان من خير نجباء بنى العباس الموجودين دينا وصلاحا . توفي بمصر سنة سبع وعشرين وتسعمائة .

خامس عشرهم : المتوكل على الله محمد بن يعقوب المستمسك . بويع له بالخلافة بعد موت ابيه وهو آخر الخلفاء العباسيين وبه انقرضت خلافة بنى العباس

لما استولى المرحوم السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان على الديار الشامية والمصرية سنة اثنين وعشرين وتسعمائة

قبض على الخليفة المتوكل «كما سيأتي» وهو آخر الخلفاء العباسية اخذه معه الى قسطنطينية ، وفي آخر حياته اذن له وعين له ما يكفيه فرجع المتوكل الى مدينة مصر وبها توفي سنة خمس واربعين وتسعمائة ·

استطراد

كان ظهور الخبيث تيمورلنك الذي افسد البلاد واهلك العباد في حدود ستين وسبعمائة واصله من قرية من قرى كش من مدن ما وراء النهر بعيدة عن سمرقند نحو ثلاثة عشر شهرا · كان ابوه فقيرا اسكافا فنشأ ذلك الشقي وشب وتقوى وكان ذا قامة شاهقة عظيم الجبهة والرأس طويلا شديد القوة جهير الصوت مهيباً كأنه من بقايا العمالقة وكان اعرج اليمين والشمال

كان ابتداء امره انه انضم اليه جماعات من شكله في القوة والصفة فجعلوا يقطعون الطرقات ويتعيشون حتى كثر جمعه وعساكره وآل امره الى ان تملك بلاد ما وراء النهر وخضعت له ملوك تلك الاصقاع وتخوفوا من سطوته · ثم صاهر المغل وصافاهم وتزوج بنت ملكهم فتقوى وقوي امره واتسع ملكه وكثرت عساكره ثم توجه الى خراسان وسجستان فخرب تلك البلاد وقتل

فيها الرجال واهلك العباد وتملك جميع بلاد العجم ودانت لـه
الملوك ٠ بلغه ان ملك الهند قد مات فتوجه اليها بعساكره وافتتحها
وتملكها كلها وقتل امرائها واعيانها ورؤسائها واقام في الهند نائبا
عنه وقصد بغداد والعراق فخربها واكثر فيها القتل والسلب
وقصد بلاد الروم سيواس وانقره وتلك الجهات من بلاد اسيا
الصغرى ٠ فلما بلغ السلطان السعيد بايزيد خان العثماني مجيء
ذلك العنيد خرج لمقاتلته ولم يعلم السلطان كثرة عساكره فاجتمع
العسكران على نحو ميل من مدينة انقرة واشتعلت الحرب بين
الفريقين الى ان كانت الغلبة لتيمورلنك بحسب القدر وكان من امره
ما كان ٠ ولما اجتمع السلطان بايزيد رحمه الله بتيمورلنك قال له
اليك ثلاث نصائح هن من خير الدنيا والاخرة اولاهن لا تقتل
رجال الروم فانهم ردأ الاسلام وانت اولى بنصرة الدين لانك
تزعم انك من المسلمين ٠ ثانيهن ان لا تترك التتار بهذه الديار
ولا تذر على ارض الروم منهم دياراً فانك ان تذرهم يملاؤها من
قبائلهم نارا وهم على المسلمين اضر من النصارى ، ثالثهن ان لا تمد
يدك لتخريب بلاد وقلاع وحصون المسلمين فانها معاقل الدين
وملجأ الغزاة المجاهدين وهذه امانة حملتكها وولاية قلدتكها
فقبلها منه باحسن قبول وحمل هذه الامانة ذلك الجهول

ثم توجه وقصد البلاد الشامية بعساكره الجرارة كالجراد المنتشر فقتل وسلب وخرب تلك البلاد وقتل العباد وشنع بتلك الجهات ثم بعد ذلك كله رجع الى بلاده وقد بلغ من دنياه وشقاوته متمناه · ثم تفرقت عساكره وذهبت دولته وضعفت قوته فوصل الى نزار وجعل يتناول من عرق الخمر حتى تفتت كبده فصار يتقايا الدم وابى الله ان يخرج تلك الروح الخبيثة النجسة الا على صفات ما اخترعه من الظلم واسسه فانتقل الى لعنة الله متحسرا متندما ولا ينفعه الندم · وذلك يوم الاربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة عن نحو ثمانين سنة من عمره بنواحي مدينة نزار ثم نقلوا عظامه الى سمرقند ومدة تملكه وتغلبه ست وثلاثون سنة

تكميل

الملوك والسلاطين الذين تولوا السلطنة بالديار المصرية والشامية ايام الخلافة العباسية في مصر (ولم يكن للخلافة وقتئذ الا الاسم والخطبة) منهم الملك الظاهر بيبرس ركن الدين ابو الفتح الصالحي البندقداري · كان مملوكا لأيدكين البند قداري الصالحي استقر في السلطنة سنة (٦٥٨) · كان ملكا جليلا معتبرا شجاعا ابطل المظالم وفتح الفتوحات وهو الذي اقر الخلفاء العباسيين

بالديار المصرية سنة (٦٥٩) كما تقدم وفتح قيسارية وارسوف وصفد ويافا وانطاكية وحصن الاكراد وحصن عكار وتسلمها من الافرنج . ثم توجه لاداء الحج وزار المدينة المنورة والقدس الشريف وعمّر مقام سيدنا موسى الكليم عليه السلام . وعمّر الخان خارج القدس المعروف بخان الظاهر وجدد القضاة الثلاث بالمملكة بعد ان لم يكن الا القاضي الشافعي فقط . واهتم بعمارة المسجد النبوي حين احترق ووضع الدرابزين حول الحجرة الشريفة وعمل قبة المنبر وسقفه بالذهب واهتم بكسوة الكعبة المعظمة وجدد قبر سيدنا خليل الرحمن وجدد بالقدس الشريف اشياء حسنة منها قبة السلسلة ، ورمم شعث الصخرة وبنى على قبر ابي عبيدة عامر بن الجراح مشهدا ووقف له اوقافا للزائرين

توفي رحمه الله تعالى بدمشق يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ست وسبعين وستمائة وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وشهرين

ومنهم الملك المنصور سيف الدين قلاوون الالفي وهو قبجاقي الاصل استقر في السلطنة سنة ثمان وسبعين وستمائة . كان ملكا مهيباً حليماً قليل الشر كثير الخير قليل سفك الدماء شجاعاً اقام منار العدل وفتح حصن المرقب وصهيون وطرابلس من الافرنج

وتسلمها وعمر سقف المسجد الأقصى الغربي والرباط المنصوري بباب الناظر والبيمارستان بالخليل

توفي رحمه الله سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ومدة ملكه نحو احد عشرة سنة وثلاثة اشهر .

ومنهم ولده السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن المنصور فتح عكا بالسيف وقتل من فيها من الافرنج وخربها ودكها دكا وفتح عدة حصون ومدن واخلى الافرنج من صيدا وبيروت وصور وعتليت وانطرسوس وتسلمها وذلك سنة (٦٩٠) واتفق له من السعادة ما لم يتفق لغيره بفتح هذه البلاد الحصينة من غير قتال ولا تعب وامر بهدمها فخربت عن آخرها وتكاملت الفتوحات الساحلية الاسلامية وتطهرت بلاد الشام والسواحل من الافرنج وكان انقطاع الافرنج الصليبين وزوال دولتهم من بلاد الاسلام . وكان ابتداء تغلبهم على بلاد الشام من سنة تسعين واربعمائة واستمروا الى سنة تسعين وستمائة فكانت مدتهم مائتي سنة كاملة . ثم ان مماليك والده (اي الملك المنصور) كانوا اشقياء فقاموا عليه وترقبوا الفرصة فاغتالوه وقتلوه بظاهر القاهرة سنة ثلاث وتسعين وستمائة ثم حمل الى القاهرة ودفن بها في تربته وقد انتقم الله من قاتليه فامسكوا وقتلوا

واحرقت جثثهم وبعضهم حبس وقطعت ايديهم وارجلهم وصلبوا وطيف بهم وايديهم معلقة في اعناقهم جزاء بما كسبوا فسبحان العادل

ومنهم الملك السلطان الظاهر برقوق ابو سعيد بن انس الجهاركسي اول دولة الجهاركسية من مماليك بلبغا العمري الناصري استقر في السلطنة سنة(٧٨٤)٠ وقف قرية براسطيا من اعمال نابلس على سماط سيدنا الخليل عليه السلام وله حسنات كثيرة، توفي بقلعة الجبل سنة احدى وثمانمائة

ومنهم السلطان الملك الناصر فرج زين الدين ابو السعادات بن الملك الظاهر برقوق استقر في السلطنة وعمره اثنا عشرة سنة سنة (٨٠١)٠ في ايامه كانت فتنة تيمورلنك المشهورة وتوفي سنة (٨١٥)٠

ومنهم الملك الظاهر ططر له خيرات كثيرة وكانت مدته وجيزة

ومنهم الملك الاشرف برسباي ابو النصر استقر في السلطنة سنة (٨٢٥) كان ملكا حاكما معتبرا عمر الاوقاف ونماها ووقف لها قرى ومزارع ووقف المصحف الكبير بجامع الاقصى٠ توفي

سنة (٨٤١) ٠

ومنهم ابو سعيد جقمق العلائى الظاهري نسبة الى الملك الظاهر برقوق استقر على السلطنة سنة (٨٤٢) ٠ كان على قدم من العفة والديانة والشجاعة والصيانة ومحبة العلماء ٠ في ايامه احترق جانب من الصخرة من سقفها القبلي قيل بسبب صاعقة فعمره جقمق وجدده احسن مما كان ٠ توفي سنة (٨٥٧) وفي ايامه سنة (٨٥١) كان اختراع طبع الكتب

ومنهم الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغورى آخر ملوك الجراكسة استقر على السلطنة سنة (٩٠٦) يوم عيد الفطر ٠ كان بطينا سمينا مربوعا كثير الدهاء ذا رأي وفطنة وتيقظ ٠ الا انه كان شديد الطمع بجمع المال كثير الظلم والعسف كثرت في ايامه العوانية ٠ ومن ظلمه انه اذا كان رجل ذا ثروة وسعة في دنيـاه يرسل اليه الاعوان يطلبونه بالقرض فلا يزالون يأخذون امواله حتى يفتقر ذلك الغني وكان اذا مات احد ياخذ ماله ويترك اولاده وعياله فقراء ٠ وله مثل ذلك كثير حتى استجـاب الله فيه دعاء المظلومين ورحم الله العباد والبلاد والامة الاسلامية في البلاد المصرية والشامية بتشريف اقدام الملك الاعظم والسلطان المعظم السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد العثماني بعساكره

المظفرة من قسطنطينية العظمى فخرج قانصوه الغورى لمقابلته ومحاربته بثلاثين الفاً والتقى الجمعان خارج حلب عندمرج دابق والتحم القتال واظلم الافق من دويـ المكاحل والمدافع ووقع قانصوه الغوري عن فرسه تحت ارجل الخيل فمات ولم يعلم به احد فتفرقت عساكره شذر مذر واستولى السلطان سليم خان العثماني على امواله وعلى البلاد المصرية والشاميـة وذلك سنة (٩٢٢) كما سيأتي

الباب الرابع

وهو المقصود الاعظم في تأليف هذا المختصر

في ذكر دولة بني عثمان ابقاهم الله وايدهم الى اخر الدوران

وهي دولة مؤسسة على التقوى معززة بالقوة الالهية وملوكها اعظم ملوك الدنيا ابهةً وجلالةً وآثاراً ، واشدهم قوة وانصاراً ، نظموا البلاد ، واراحوا العباد ، جزاهم الله عن الأمة خيرا

تمهيد

اعلم ان السطوة الاسلامية والقوة الدينية في الصدر الاول من زمن النبوة والخلفاء الراشدين ائمة الملة والدين كانت خالصة

لاعلاء كلمة الله على قلب واحد ولسان واحد في كلمة الايمان فكانت
حركاتهم وسكناتهم وافعالهم خالصة لوجه الله تعالى لا
تخرج عن حد العدل والانصاف في جميع امورهم فلذا يسر الله تعالى
لهم في زمن قليل ما لا يدخل تحت حد التخمين من فتوحات
الممالك والبلاد المعمورة حتى اتسعت الممالك الاسلامية مزدهية
بالحق والعدالة . نعم وقع اختلاف في زمن عثمان بن عفان
وعليّ بن ابي طالب رضي الله عنهما بقدر الله لكنه لحكمة يعلمها
الله . ثم تحولت الخلافة للملك والسلطنة فظهرت دولة الامويين
وقد بقيت فيهم قوة الاسلام بالغزو والجهاد فافتتحوا بلاداً كثيرة
منها افريقيا واندلس وبلاد بخارى حتى توصلوا لنواحي بلاد الصين
ثم بتقادم الايام والسنين صار الامويون يتهاونون باحكام الدين
ويهتكون حرمة الشرع الشريف ويتجاهرون بالفسق والظلم والمعاصي
حتى نفر منهم المسلمون فسطت عليهم الغيرة الربانية فشتتت شملهم
(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) ونشأ عن
ذلك ان قام ابو مسلم الخراساني بالدعوة لبني العباس فخرج على
الامويين وتغلب على بلاد ايران والعجم وبايع الامام السفاح
العباسي فظهرت الدولة العباسية كما سبق ثم ان الخلفاء العباسيين
اخذوا اخيرا في الانهماك على الشهوات واللذات والاسراف فاهملوا

امر المملكة ومصالح العباد فضعفت شوكتهم وزلزلت سلطنتهم وتحول
نفوذ الكلمة وادارة الامور والبلاد الى بعض الملوك المتغلبين عليهم
فاصبحت الخلافة جسما بلا روح وامرًا لا وجود له فتركوا الجهاد
وفتوح البلاد والدعوة الى الحق فضعفت شوكة الجند وزالت
الصولة العسكرية والقوة الملكية وظهرت شوكة المتغلبين كدولة
الاصفار بخراسان وطبرستان ونيسابور ومرو وظهرت دولة بني
سامان في تلك الجهات وظهر احمد بن طولون بمصر والشام وآل
حمدان في جهة بلاد الموصل وآل بويه في سواحل بحر الخزر
واستولوا على عدة ايالات مثل كرمان وعراق وظهرت ملوك الطوائف
في سائر الجهات وحوالي بغداد ولم يبق للخليفة سوى بغداد ولم
تكن كلمة الخلفاء العباسيين نافذة في جهة من الجهات · ثم بظهور
دولة الفاطميين العبيديين في افريقيا واستيلائهم على مصر والديار
الشامية سنة (٣٥٨) وتأسيسهم دولة شيعية ضعفت مكانة الدولة
العباسية بالكلية · ثم ظهرت دولة السلجوقيين فجمعت جموعاً كثيرة
من طوائف الاتراك من اصحاب القوة والنجدة وشمرت عن ساعد
الجد واسباب الحرب والعرب المستعربة وقتئذ مشتغلون بعلوم
الآداب والفنون فاهتم السلجوقيون للمحاربة والجهاد واصلاح
البلاد فقويت شوكتهم وساروا الى بلاد اناطولي وحاربوا ملك

الروم حاكم قسطنطينية يومئذ فغلبوه وظفروا به واسروه
وقد كان الخطباء بمكة المكرمة يخطبون باسم الخليفة الفاطمي
فصاروا يخطبون باسم الخليفة العباسي ويذكرون معه الامير
السلجوقي (الب ارسلان) ثم بعد الب ارسلان قام ابنه جلال
الدين ملكشاه وكان متصفا بجميع الصفات الحسنة وكان وزيره
نظام الملك كامل العقل سديد الرأي فكان الامير والوزير
يحسنان التدبير والسياسة في مصالح المملكة والعباد حتى صار
اسم الامير يذكر على المنابر بمكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس
الشريف وبغداد وبخارى وسمرقند وكاشغر واناطولي الى حد
خليج استانبول . وعاصمة الملك كانت مدينة اصفهان وكانت
مملكته ممتدة من الهند وسمرقند الى بوغاز استانبول فلم يبق
للخلافة العباسية ببغداد حكم ولا امر بل كانت اسما بلا جسم
يتبركون بالخليفة كالتبرك بالاولياء والمشايخ فعلى هذا كان ملكشاه
اكبر ملك وحاكم في ذلك العصر فتجددت قوة الشوكة الاسلامية
وظهرت علائم النصر بواسطة الاتراك . وفي الحديث المرفوع
(خير امتي اولها وآخرها وفي وسطها الكدر) فتخوفت ملوك
اوروبا وتجمعوا واقتحموا بجموعهم الصليبيين على ممالك الاسلام
من البلاد الشامية حتى دخلوا بلاد اناطولي فظهرت اثناء ذلك

الدولة الاتابكية في الجزيرة وحارب عماد الدين زنكي اهل الصليب حروباً عظيمة فكان يظهر ويظفر بهم فاستولى على حلب وغيرها.

ثم استولى ولده نور الدين الشهيد من بعده واستولى على دمشق وكان صاحب عزم وحزم ودين وعفة وعدل. فكان يتابع الغزو والجهاد فقويت شوكة الاتابكة. وكانت دولة الفاطميين وقتئذٍ مختلة النظام فزحف اهل الصليب على القاهرة فاستمد الخليفة الفاطمي العاضد من الامير نور الدين واستنصره فارسل اليه جيشاً كثيفاً الى مصر برياسة اسد الدين شيركوه الكردى احد الامراء وكان ابن اخيه الامير يوسف صلاح الدين بن ايوب احد امراء الجيش فانقذوا مصر من يد الافرنج فاستقل اسد الدين في مصر بلقب (سر عسكر). ولما توفي خلفه صلاح الدين يوسف فقبض على زمام الحكومة والعاضد مريض وكان صلاح الدين ديناً سنيا شافعي المذهب اشعري العقيدة فاظهر شعائر اهل السنة ونصب قضاة شافعية واظهر الخطبة باسم الخليفة المستضيء بامر الله العباسي وتوفي العاضد الفاطمي وانقرضت دولتهم واستقل صلاح الدين بالسلطنة في مصر

ثم توفي نور الدين رحمه الله فاستقل الملك بعلا صلاح الدين وانقرضت دولة الاتابكة من الشام. ومع هذا كله طرأ على اهل

الاسلام حوادث عظيمة وطغيان ودواهي جسيمة من اعتداء وتسلط المغل والتاتار وجنكيزخان فانه لم يكن مسلما فشنع في الاسلام وخرب البلاد · وفي اثناء ذلك الكرب الشديد سنة (٦٢١) هاجر سليمان شاه احد ملوك تركستان جد آل عثمان الى ديار الروم مع عشائر نحو خمسين الف عائلة وفي سنة (٦٥٦) استولى هلاكو على بغداد والعراق وقتل الخليفة المستعصم وشن الغارات على حلب وحماه

وحاصل القول ان دولة العرب قد انقرضت في الشرق والغرب لظهور ملوك الطوائف المستعدة المتغلبة فاختلفت احوال الممالك الاسلامية واستولى التاتار على الاقطار الشرقية وفي اثناء ذلك خرجت بلاد الاندلس من يد المسلمين ففقدت الوحدة وتشتتت كلمتها واختل النظام حتى صارت الحال بحالة تستوجب الاسف وكان اعظم حكومة للاسلام اثناء ذلك حكومة آل سلجوق في مدينة قونية غير انها كانت تعاني اثقالاً كثيرة وغارات متعددة من التاتار شرقاً ومن ملوك الطوائف من مصر غرباً فكانت مقدمات ذلك الزمن مخيفة واحوالها وخيمة وفي الحديث (اشتدي ازمة تنفرجي) لكن كانت النتيجة ولله الحمد والمنة حسنة باشراق كوكب سعد الدولة العلية العثمانية من برج المهابة والاجلال

على الاقطار والبلاد الاسلامية

تكميل

هذه الدولة السعيدة القوية وان كانت في اول نشأتها على هيئة حكومة صغيرة فانها كانت جامعة للديانة والشجاعة العربية والاخلاق المرضية متصفة بالثبات الذي هو اخلاق الترك فكانت جمعية جميلة مباركة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تشير بسيرها بان تكون ملجأ للملة الاسلامية · فقد فتحت الفتوحات ووسعت البلاد والمسالك واسست سلطنة عظيمة وسطوة جسيمة وملكا قويا فجمعت من الآداب والاخلاق احسنها والفت لغة من لغات كثيرة ورتبت للملك هيئة جديدة ذات محاسن عديدة · فبظهورها قوي عنصر الاسلام وعظمت شوكته وتجددت سطوته ، وزال الضعف والهوان ، وتبدل الخوف بالامان

ثم ان سليمان شاه المشار اليه لما هاجر من بلاده ما هان وهي قريب من بلخ ايام فتنة جنكيز خان ودخل بلاد الروم وقصد جهة حلب من ناحية البستان من طريق اذربيجان اراد الرجوع الى وطنه بعد مدة فعند مروره من نهر الفرات ولم يكن يعرف المخاضة من النهر غرق وتوفي رحمه الله تعالى · ودفن في جوار قلعة جعبر و يعرف قبره الآن « بترك مزارى » يزار ويتبرك به · فرجع

اثنان من اولاده سنقور و كون طوغدى مع كثير من عشيرته الى وطنهم القديم وبقي ولده الثالث ارطغرل واخوه الصغير دندار وبعض اناس من عشيرتهم فتوجهوا الى جهة اناطولي وفي اثناء الطريق صادفوا عسكر السلطان علاء الدين السلجوقي صاحب قونية يقاتل التاتار فانضموا اليه وقاتلوا التاتار معه فهزموهم وفرح السلطان علاء الدين بهم واكرمهم واحسن قراهم واعطاهم ناحية تسمى سكوت ليسكنوا فيها وهي بين تخوم مملكة السلجوقيين وبلاد الروم فكان ارطغرل شاه من امراء الحدود القائمين بالجهاد والغزو لا يألو في ذلك جهدا الى ان توفي رحمه الله تعالى سنة «٦٨٠»

فخلفه ولده الامير عثمان وسار على منهج ابيه وما زال يجاهد في الروم ويهاجم بلادهم حتى اخذ من ايديهم بلاداً كثيرة فعند ذلك ارسل اليه السلطان السلجوقي منشوراً ولواء ابيض وآلات الطبل السلطاني إعلاماً بامارته وولايته وقد لقبه بهذه العبارة في منشوره (عثمان غازى حضرتلرى مرزبان عاليجاه عثمان شاه) ثم لما رأى حضرة الغازي عثمان شاه ان الدولة السلجوقية قاربت الزوال لموت علاء الدين شاه وان حكومة القيصر في قسطنطينية قد اختلت احوالها واهملت السياسة بها اهمالاً تاماً لما حدث

وقتئذٍ من الخلاف في امر الدين بين المسيحيين اخذ في تمهيد اسباب الملك واستعمال الوسائل مع حسن النية والتدبير مستعيناً بالله تعالى على نيل مآربه بما اتصف به من سعة العقل وعلوّ الهمة بتأسيس دولة الاسلام لتكون عظيمة قوية

ففي سنة «٦٩٩» انقرضت الدولة السلجوقية وقام امراؤها وولاتها ونادوا باستقلالهم في بلادهم فيسر الله حينئذٍ لحضرة الغازى عثمان شاه بان يؤلف قلوبهم عليه فانقادوا اليه طائعين وخطب باسمه في يكيشهر التابعة لبروسه وبايعوه

وحاصل القول انا نقول قد اطلعنا على بعض التواريخ واخبار الدول الاسلامية فما رأينا ولا سمعنا بعد دولة الخلفاء الراشدين مثل دولة بني عثمان ولا احسن نظاماً منها لا سيما اطاعتها للشرع الشريف وتوقيرها لاهل العلم وحملة القرآن الكريم واهل البيت النبوي واسداء الخيرات للفقراء ولسكان الحرمين الشريفين على ما سيأتي بيانه ايد الله ملكهم وابد دولتهم آمين

السلطان عثمان خان الغازي بن الامير ارطغرل
اصل هذه الشجرة الطيبة العثمانية

بويع له سنة (٦٩٩) . كان قد تفرس في الغزو في سبيل الله منذ نشأ مولده سنة « ٦٥٦ » واستقر على تخت السلطنة وعمره

ثلاثة واربعون سنة

كان محباً للعلماء والصلحاء وكان كثير التردد الى الشيخ العارف اده بالى القرماني وربما كان يبيت عنده في زاويته . فرأى ليلة في منامه ان قمراً اخرج من حضن الشيخ ودخل في حضنه فنبتت من سرته شجرة عظيمة سدت اغصانها الافاق وتحتها جبال راسيات ذات انهار وعيون والناس ينتفعون من تلك المياه . فلما استيقظ السلطان عثمان وقص عليه رؤياه قال له الشيخ لك البشارة بمنصب السلطنة وسيعلو امرك وينتفع الناس بك وبأولادك واني زوجتك ابنتى هذه فقبل وتزوجها فولد له منها اولاد من جملتهم السلطان اورخان

ثم لما استقرّ على سرير السلطنة شرع في الغزو والجهاد في سبيل الله فتح قلعة بيله جك وكول وبكى شهر . وفي سنة «٧٠٠» توفي السلطان علاء الدين السلجوقي وتولى مكانه ولده فكثر الهرج والمرج في بلاده فلحق غالب عساكره بالسلطان الغازي عثمان خان واستقل بالسلطنة في تلك البلاد ثم فتح ناحيـة مرمره واستقر في بكى شهر واسكن فيها الجند وفي هذه السنة فتح حصن كته وحصن لفكه وحصن آق حصار وحصن قوج حصار وحصوناً كثيرة .

وفي سنة « ٧٢٢ » حاصر مدينة بروسه مدة وضيق على اهلها وامر ببناء قلعتين في طرفي مدينة بروسه واسكن فيها العسكر ثم امر ولده اورخان بقيادة جيش لفتح بورسه وكان السلطان عثمان مريضاً من علة النقرس قيل فتحت في حياته وقيل فتحت بعد وفاته . ولما حضرته الوفاة رحمه الله تعالى اوصى ولده اورخان الغازي بوصايا ثلاث فقال له اولاً تمسك في كل امورك بالشريعة الغراء وشاور في المهمات اهل الرأي والدهاء ، ثانياً اعط كل ذى حق حقة من التكريم والانعام من الخواص والعوام لا سيما العلماء الاعلام الذين هم دعائم دين الاسلام لتكون مظهرا لما قيل « خير الناس من ينفع الناس » . ثالثاً حيث انك خليفتي من بعدي فتنبه لما هو اعظم ركن من اركان هذا المقام وهو التعظيم لاوامر الله والشفقة على خلق الله . واطلب النتائج الخيرية من اعلاء كلمة الله والغزو لوجه الله انتهى

فعمل حضرة السلطان اورخان الغازي بهذه الوصية وسلك بنوه العظام فيها على منهجه القويم وازالوا عن البلاد والعباد غشاوة الظلم وما كان في بعض الممالك الاسلامية من التعصب المخالف للسنة النبوية وسلكوا كلهم جادة العدل والدين متمسكين بالشرع المبين من غير افراط وتفريط وعدلوا بين الرعية حتى رفع الله

منارهم وقوى اركان سلطنتهم في برهة يسيرة وايام قليلة · توفي
السلطان عثمان خان الغازي الى رحمة الله تعالى في قرية سوبجك
وقبره هناك يزار ويتبرك به · وذلك سنة ست وعشرين وسبعمائة،
كان رحمه الله ملكا عادلا شجاعا بطلا مرابطا مجاهدا يحسن للأيتام
والارامل ولم يترك من المال شيئا الاّ بعضاً من الخيل والغنم، والغنم
التي ترعى في نواحي بروسه من تلك الاغنام · وله من العمر تسع
وستون سنة ومدة ملكه ست وعشرون سنة

«٢» السلطان المجاهد اورخان خان ابن السلطان عثمان
خان الغازي

جلس على سرير الملك سنة (٧٢٧) وعمره ثمان واربعون
سنة ومولده سنة (٦٧٨) كمل فتح مدينة بروسه بعد جهد جهيد
واستولى على القلعة واسكنها المسلمين وجعلها دار الاسلام
بعد ان كانت معقلا لاهل الاوثان والازلام وجعلها دار
السلطنة وبنى فيها جامعاً ومدرسة وتكية يطبخ فيها طعام
للفقراء والغرباء · وهذه المدينة (من الاقليم الخامس) من اعظم
المدن الاسلامية كثيرة الثمار والعيون وفيها مياه سخنة وحمامات
طبيعية · ثم فتح حصون افيون حصار وازلكميد ومدينة ازنيق
وهي من معظم المدائن وقتئذٍ ومجمع عظائم الكفار · غنموا منها

غنيمة لم يعهد مثلها وفتح حصونا كثيرة .

فى سنة «٧٥٨» امر السلطان اورخان خان ولده سليمان بك ان يجتاز البحر الابيض الى طرف روم ايلى للجهاد ولم يكن لهم سفن فعملوا الواحا شبه السفن وركبوا عليها بالليل من موضع يقال له كر فجازوا البحر الى البر فصادفوا حصنا يسمى چمنى فاستولوا عليه بما فيه ثم هجموا على قلاع كثيرة فاستولوا عليها قهرا وكان الامير سليمان على جانب عظيم من الشهامة والشجاعة والعدالة فلما راى الكفار حسن سيرته وعدله وضبط جنده اطاعوه ورضوا به فصار امر المسلمين يسمو وينمو فخرج لقتالهم تكور صاحب مدينة كليبولي في عسكر كثير والمسلمون في نفر قليل فتوكلوا على الله تعالى واستمدوا بروحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا قتالا شديدا فانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون منها مدينة كليبولى وهي مدينة جليلة على شاطىء البحر بينها وبين قسطنطينية ستة وثمانون ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قره جك وقلعة خير پولي وهي بلاد متسعة ومنها قلعة دوگوردد وكور طاغي وغيرها

وفي سنة «٧٦٠» خرج الامير سليمان للصيد فكبابه الفرس وتوفي رحمه الله . وفي هذه السنة عبر الامير مراد خان الغازى ابن السلطان اورخان الى طرف روم ايلى من خليج كليبولي ففتح

مدينة چورلي ولم يزل يجاهد حتى فتح ديمتوقه وهي من البلاد الكبرى ٠

وفي سنة احدى وستين وسبعمائة توفي السلطان اورخان الغازي عن ثلاث وثمانين سنة ودفن بمدينة بروسه وكانت مدة ملكه خمساً وثلاثين سنة

كان رحمه الله ملكاً جليلاً ذا صورة حسنة وسيرة مرضية وكرم وافر وعدل متكاثر، بنى بأزنيق جامعاً ومدرسة وهي اول مدرسة بنيت في الدولة العثمانية ٠

«٣» السلطان مجاهد الدين مراد خان الاول ابن السلطان اورخان الغازي

استقرّ على سرير الملك بمدينة بروسه وعمره اربع وثلاثون سنة مولده سنة «٧٢٧» وكان جلوسه سنة «٧٦١» فلما استقرّ على سرير الملك باشر بالجهاد بنفسه وحاصر مدينة انقره ففتحها عنوة وهي من امنع الحصون فلما سمع ابن قرمان صاحب مدينة لارنده جمع جموعاً كثيفة من القبائل والعشائر من التاتار والتركمان فجرى بينهما قتال وحروب شديدة حتى انجلى الامر عن هزيمة ابن قرمان وانتصار السلطان مراد خان

وفي سنة «٧٦١» ارسل السلطان مراد خان شاهين لالا

الانابك الى فتح مدينة ادرنه في جيش كثيف فاقتتلوا قتالاً شديدا، ثم سار السلطان بنفسه مع جيش عظيم فاجتاز البحر فلما سمع الكفار بقدومه تزلزلت اركانهم فهرب ملكهم وهجم المسلمون على المدينة فافتتحوها ودخلوا اليها و بشروا السلطان بالفتح فحمد الله تعالى واثنى عليه وحضر فدخل المدينة وهي من اعظم مدن الدنيا كثيرة البساتين والانهار وهي من الاقليم الخامس بينها وبين قسطنطينية خمسة وتسعون ميلا

ثم امر السلطان لالا شاهين بعد ان نصبه امير الامراء بروم ايلي ان يتوجه للجهاد ففتح مدينة فلبه وهي مدينة لطيفة. ثم فتح زغرة ثم عاد الى مدينة بروسه

وفي سنة « ٧٦٣ » اشار قره خليل باشا على حضرة السلطان ان يأخذ خمس الاسارى وكانت كثيرة فاجتمع من الاسارى طائفة كثيرة فامر السلطان بهم ان يتعلموا الفنون العسكرية فتعلموا ثم ارسلهم الى خدمة الشيخ العارف حاج بكتاش ليعلمهم بعلامة ويسميهم ويدعو لهم بالخير والظفر. فلما حضروا عند الشيخ قطع كم قبائه وكان من لبدة فالبسه على رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة والظفر وسماهم يكي چرى ومعناه العسكر الجديد

وفي سنة « ٧٨٣ » اشترى السلطان خمس قلاع : «بلواج»

و«يكي شهر» و«آق شهر» و«قره اغاج» و«سبدى شهر» .

وفي سنة «٧٩١» خرج السلطان الى قتال ابن لاز رئيس الكفار فاجتمع الجمعان بمحل يقال له (قوس اوا) ببلاد روم ايلى فالتحم القتال بين الفريقين وانتصرت عساكر السلطان وانقلب الاعداء على اعقابهم صاغرين . فلما انهزموا اقبل اميز من امرائهم يقال له «ويلوش» مع خيله مظهرا للطاعة فلما همّ لتقبيل يد السلطان ضربه بخنجر كان في كمه فتوفي رحمه الله ودفنوا امعائه هناك وحملوا جسده الشريف ودفنوه بمدينة بروسه وقبره يزار ويتبرك به

كان رحمه الله ملكا جليلا عادلا عارفا شجاعا مهيبا صبورا، عمر حياته بالجهاد في سبيل الله . توفي وعمره خمس وستون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة

«٤» السلطان السعيد يلديرم بايزيد خان الاول ابن السلطان مراد خان الاول

جلس على سرير الملك والسلطنة في رمضان سنة اثنين وتسعين وسبعمائة . ثم باشر بالجهاد ففتح «قره طوه» وهي معدن الفضة وفتح بلاد «اسكوب» وقلعة «ودين» وبلاد «قره سي» «وصاروخان» و«قسطموني» . ولما نقض العهد علاء الدين

صاحب بلاد قرامان واغار على بعض بلاد اناطولي توجه السلطان بايزيد بنفسه فانهزم علاء الدين ولحقوه فمسكوه اسيرا وتسلم السلطان قونيه كرسي مملكته ثم حاصر قلعتها وكان وقت الغلال فامر السلطان ان لايتعرض احد لشيء من الغلال وان لايظلموا احدا واذن لاهل القلعة ان يخرجوا ويشتغلوا ويبيعوا غلالهم فخرج اهل القلعة واصلحوا شأن غلاتهم وباعوها من العسكر كما ارادوا فلما شاهدوا هذه العدالة رجعوا الى انفسهم فقالوا ان ملكا بلغ منا هذا المبلغ في العدالة لاينبغي ان نعصيه فحضروا جميعهم طائعين ولحكم الملك السعيد راضين وسلموه القلعة فلما رأى اهل تلك البلاد والقلاع مافعل اهل قونيه رغبوا في متابعتهم فجاءوا بمفاتيح قلاعهم: « آق سراي » و« ينكده » و« قيصريه » و« دولى قره حصار » وسلموها طائعين

ثم رجع السلطان الى مقر مملكته بروسه بعد ما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه ببروسه الى ان اطلقهما الخارجي تيمورلنك حين قدم بلاد الروم

وفي سنة (٧٩٥) استولى السلطان على سيواس وامـاسيه وتوقات وينكشار وجانيك وصامسون ثم عاد الى بروسه وكتب الى تكور صاحب قسطنطينية اما ان تخرج من البـلاد وتسلمها

واما ان اسير اليك . نخاف منه والتزم له كل سنة عشرة الاف دينار ذهب وان يبني للمسلمين داخل المدينة محلة يسكنونها ويكون فيها جامع وقاض يفصل الخصومات فرضي بذلك ولم يتعرض له السلطان واستمرت الى زمان وقعة الخبيث تيمورلنك فعند ذلك نقض العهد وخرب الجامع واخرج المسلمين من البلد وكان بين السلطان بايزيد خان وبين الملك الظاهر برقوق مكاتبات واهداه هدايا كثيرة حتى لم يبق احد من ملوك الارض حتى كاتبه وهاداه

وفي سنة (٨٠٢) سار ملوك الطوائف ببلاد الروم مثل ابن كرميان وابن ايدين وابن اسفنديار الى تيمورلنك يشكون اليه من السلطان بايزيد ويرغبونه في بلاد الروم ويستنجدونه عليه في رد ممالكهم فاجابهم تيمورلنك الى ذلك

ثم بعد ان رجع من البلاد الشامية وبغداد دخل في حدود بلاد الروم اواخر سنة (٨٠٤) وارسل تيمورلنك الى الملك السعيد بايزيد في الصلح على عادته من المكر والدهاء وقال انك رجل مجاهد في سبيل الله وانا لا احب قتالك فانظر اي البلاد كانت معك من ابيك وجدك فاقنع بها وسلم الي البلاد التي كانت لاهلها . وكان السلطان يلديرم بايزيد عليه الرحمة

والرضوان عنده حدة وعجلة وشجاعة · كان اذا تكلم وهو في صدر المجلس لا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان · فلما وقف على كتابه قال ما معناه: ايخوفني بهذه الخزعبلات او يحسب انني مثل ملوك الاعاجم او تاتار الدشت الاغنام او ما يعلم ان اخباره عندي وان اول امره حرامي سفاك الدماء هتاك الحرم نقاض العهود والذمم تولى وكفر واين للتاتار الطغام الضرب بالحسام وما لهم سلاح سوى الرشق بالسهام واما نحن فالحرب دأْبنا والجهاد صنعتنا ورجالنا باعوا انفسهم واموالهم من الله بان لهم الجنة ·

ثم انهى خطابه ورد على هذه الطريقة جوابه · فلما وقف على هذا الجواب استعظم ذلك · وفي اثناء ذلك كان السلطان بايزيد على مدينة استانبول محاصرًا لها فتركها وتوجه لقتاله واستعد لاستقباله وخاف من هجومه على بلاده فتدانت الجيوش من الجيوش ولم يكن السلطان عنده علم بكثرة جنود تيمور فانها ملأَت الصحاري والقفار فلما التحم القتال وهجمت العساكر بكثرة النبال نفرت عساكر السلطان بايزيد ولم يبق معه الا المشاة« وقليل ما هم» فصبر لحادثة الدهر ولم ينهزم فاحاطت به اساورة الجنود · فلما اجتمع بتيمور نصحه واوصاه بوصايا كما سبق في قصة تيمور · ثم مضى

لسبيله بعد ما خان وافسد البلاد واهلك العباد، وكم لهذا الشقي الخارجي من شرور وفساد فلم يسلم من شره احد الى ان مات اسوأ الموتات

ثم توجه السلطان بايزيد حتى وصل الى حدود تبريز فمرض هناك وتوفي رحمه الله في مدينة آق شهر يوم الخميس رابع شعبان سنة خمس وثمانمائة من علة الخناق وضيق النفس ودفن في المدينة المذكورة

ولما سمع تيمور بوفاته تأسف كثيرا وحزن وبكى عليه لما يعهده من شجاعته وكانت هذه الواقعة والمحاربة على نحو ميل من مدينة انقره سابع عشر ذي الحجة سنة «٨٠٤»

كان السلطان السعيد يلدرم بايزيد من خيار ملوك الارض مجاهدا مرابطا قوي النفس شديد البطش عالي الهمة وكانت مدة ملكه اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر وعمره ثمان وخمسون سنة وله من الاولاد عيسى وموسى وسليمان وقاسم ومحمد. احتدم بينهم النزاع والخلاف نحو اثنتى عشرة سنة الى ان رحم الله العباد فاستقل بالملك:

«٥» السلطان محمد الاول ابن السلطان بايزيد خان الاول

جلس على سرير المملكة بمدينة بروسه سنة (٨١٦) وعمره تسع وثلاثون سنة، ومولده سنة (٧٧٧). كان دأبه الجهاد والحرب وكانت مدة حكمه كلها حروباً داخلية لوقوع الفوضى التي اعقبت موت السلطان بايزيد فحافظ على ارجاع الامور كما كانت وكان من جملة من خرج عليه وحاربه قره دولتشاه من التاتار ونواحي اماسيه فسار اليه وحاربه وهزمه وبدد شمله ثم قصد اسفندبار بك صاحب سينوب وجرى القتال بينهما فانتصر السلطان محمد خان وانهزم اسفندبار اقبح هزيمة واستولى السلطان على جميع ما يملكه من البلاد والقلاع ثم بعد ذلك صفا له الدهر وانتظم له الامر ولم يبق من ينازعه

ثم بلغه ان ابن قرمان نقض العهد وتعرض لبعض البلاد السلطانية فسار اليه بجيش كثير فقاتله وهزمه حتى اسره واسر ولديه محمد ومصطفى فاحضره بين يديه وعاتبه على سوء صنيعه ثم عفا عنه وعن ولديه واخذ عليهما العهد والميثاق بان لا يخوناه بعد ذلك واستولى على عدة قلاع لابن قرمان منها قلعه سوري حصار وقلعة قبرشهري وقلعة بنكده وقلعة آق شهر وقلعة سيدى شهر

وقلعة اوغارى وقلعة يكى چرى وقلعة سعيد ايلى

ثم سار واستولى على صامسون وغالب هذه البلاد التي كان قد فتحها السلطان بايزيد. وظهر في ايامه رجل يسمى بدر الدين ينسب الى العلم وكان معينا بوظيفة قاضي عسكر فهرب من مدينة ازنيك بعد ان كان محجورا عليه فيها وابتدأ بنشر مذهبه المؤسس على المساواة في الاموال والامتعة (اشبه بمذهب اشتراكي هذا العصر) فتبعه خلق كثير من المسلمين والمسيحيين وغيرهم وكان يعتبر جميع الاديان على السواء ولا يفرق بينها وعنده جميع الناس اخوة وان اختلفت اديانهم ومذاهبهم فكثر عدد تابعيه حتى خيف على المملكة من امتداد مذهبه فارسل اليه السلطان محمد قائدا فقتله وفرّق جمعه

وفي سنة (٨٢٤) مرض السلطان محمد خان الغازي بالاسهال بمدينة ادرنه فما زال يثقل مرضه حتى توفي رحمه الله. وكان قد عهد لولده مراد خان وامر ببناء جامع ومدرسة بمدينة بروسه وكان ولده مراد خان يوم وفاة ابيه في اقصى بلاد روم ايلى في الغزو فاخفى الوزراء موته مدة احدى واربعين يوماً حتى حضر السلطان مراد خان فاستقر على التخت ثم اظهروا موته وشيعوه الى مدينة بروسه فدفن قبالة جامعه الذي انشاه بها

كان رحمه الله ملكا جليلا مهيباً محباً للعلماء والصلحاء وهو اول من عين الصرة لاهل الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان وعمره ثمان واربعون سنة ومدة ملكه ثمانية اعوام وعشرة اشهر

«٦» الملك العادل السلطان مراد خان الثاني ابن السلطان محمد خان الاول

جلس على سرير السلطنة بعهد من ابيه اواخر سنة (٨٢٤) وعمره ثمان عشرة سنة . وفي سنة «٨٢٥» ظهر رجل يدعى مصطفى في نواحي سلانيك يقول انه الامير مصطفى بن يلديرم السلطان بايزيد الذي فقد في قصة تيمور فاجتمع عليه خلق كثير واستفحل امره وكثر جمعه فاستولى على ادرنه ثم اجتاز البحر الى اناطولي وكان السلطان مراد قد بعث لقتاله وزيره بايزيد باشا بعساكر كثيرة فقاتلوه بقرب ادرنه فانتصر الخارج وانهزمت عساكر الوزير واسر ثم قتله الخارج فاندهش لذلك السلطان نقام وتضرع الى الله تعالى والتجأ الى قطب العارفين بوقته مولانا السيد محمد البخاري واستمد منه فوعده بالنصر والظفر وطمنه وقلده السيف بيده وقال سر باذن الله وحفظه فانك منصور . وذلك ببشرة رآها في منامه الشيخ العارف فسار بعساكره ونزل نهر اولوبا (وهو نهر كبير من عجائب الدنيا) وجاء الخارج بعساكره

فنزل في شط النهر من الجانب الآخر واستمر العسكران مدة من غير قتال ثم ان الله جلت قدرته (ينصر من يشاء من عباده) سلط على الخارج الرعاف فاستمر ثلاثة ايام فجعل يخلط في كلامه واختل عقله فتحقق اركان دولته وعسكره بخذلانه فداخلهم الخوف وتفرقوا شذر مذر وهرب الخارج مع ضعفه الى طرف روم ايلي فتبعهم عساكر المسلمين فقتلوا من عساكر الخارج كثيرا وغنموا اموالهم ودوابهم وتبعوا الخارج بقرب ادرنه فقتلوه

وفي سنة « ٨٤٩ » تنزل السلطان مراد خان عن السلطنة لولده السلطان محمد خان واختار مدينة مغنيسا فاعتزل بها يعبدالله فشاع هذا الخبر وقال ملوك اوروبا لبعضهم ان ملك المسلمين صار شيخا كبيرا اعتزل عن الملك وجعل ولده وهو صبي فاتفقوا كلهم على قتال المسلمين فلما بلغ ذلك اركان الدولة استصوبوا ان يدعوا السلطان مراد خان من مغنيسا ليكون معهم لانه شاع ذكره وشجاعته فارسلوا يطلبونه فامتنع اولا وقال سلطانكم دونكم فلم يزالوا به حتى رضي فسار هو وولده محمد خان الى جهة العدو فلما التقى الجمعان وتكاثر العدو والتحم القتال اتفق انهزام المسلمين ولم يبق الا السلطان مراد خان فلما شاهد هذه الحالة رفع يديه وسأل الله النصر والعون للمسلمين واستعان بروحانية سيد الوجود (صلى الله

عليه وسلم) فلم تمض ساعة حتى اغتر وتكبر ملك انكروس وهو كبيرهم فبرز من بين عساكره وطلب السلطان مراد خان لمبارزته فاتفق ان تقطّر به فرسه فتسارع المسلمون فجزوا رأسه ورفعوه على رمح يصيحون هذا رأس الملك انكروس فلما رأى العدو ذلك انهزموا عن آخرهم وتبعهم المسلمون قتلاً واسراً « والعاقبة للمتقين » وغنموا غنائم لا تحصى واسرى لا تحصر

ثم ان السلطان لما عاد من الغزو امضى سلطنة ابنه السلطان محمد خان على ما كان عليه وسار الى مغنيسا واستمر الحال على ذلك الى ان تحركت طائفة اليكيجرية فعاثوا في الارض بالفساد وفاجأوا بيوت بعض الوزراء والامراء ونهبوها وذلك سنة (٨٥٠) فرأى الوزراء وسائر اركان الدولة ان يعيدوا السلطان مراد خان الى الملك فطلبوه فحضر وجلس على سرير الملك وعاد ابنه محمد خان الى مكان ابيه واستمر السلطان مراد خان يغزو ويجاهد نحو بلاد ارنؤد فاستولى على معظم تلك البلاد

وفي سابع المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة توفي السلطان مراد خان الثاني وله من العمر تسع واربعون سنة ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة

كان ملكا عالما عادلا عاقلا شجاعا ديناً . كان يرسل لاهل

الحرمين الشريفين وبيت المقدس من خزينته الخاصة في كل عام
ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار وكان يعتني بشأن العلم والعلماء
والصلحاء . مهد الممالك وامن المسالك واقام الشرع الشريف
والدين المبين واذل اهل الضلال والملحدين رحمه الله

«٧» السلطان الملك المجاهد ابو المعالي السلطان الغازي
محمد خان الثاني الفاتح ابن السلطان مراد
خان الثاني

جلس على سرير الملك بعد وفاة ابيه بعهد منه اليه وعمره
تسع عشرة سنة وخمسة اشهر ومولده سنة (٨٣٣) وجلوسه سنة
(٨٥٥) وهو السلطان الجليل وظل الله الظليل والملك النبيل اعظم
الملوك جهادا واقواهم اقداما واجتهادا واكثرهم توكلاً على الله تعالى
واعتماداً وهو الذي اسس ملك هذه الدوله العلية المؤسسة على
التقوى والقوة الالهية وشيد لها قواعد العدالة ودعائم الاستعمار
حتى اصبحت راسخة كالجبال السامقة لا تزعزعها اعاصير الاعصار
وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية في صفحات
الليالي والايام ومآثر لا يمحوها تعاقب السنين والاعوام
لما تسلطن خرج الى قتال صاحب قرمان فخاف منه وصالحه
وعاد الى مقر سلطنته ولم يكن باسيا الصغرى ما هو خارج عن

دائرة سلطانه الاجزأ قليلا من بلاد قرمان ومدينة سينوب ومملكة طرابزون الرومية فاصبحت مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها وكان اقليم « موره » مجزأ بين البنادقة وامارات صغيرة يحكمها بعض اعيان الروم والافرنج الذين تخلفوا عن حرب الصليبيين وكانت بلاد البشناق وهي بوسنه مستقلة والصرب تابعة للدولة العلية وما بقي من جزيرة البلقان داخلا تحت سلطنة الدولة العلية

ثم اخذ السلطان محمد يستعد لتتميم ما بقي ولم يكن له هم الا فتح المدينة العظمى قسطنطينية تنفيذا لاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم فشرع في مهماتها ومقدماتها . وهي من اعظم البلدان وامنعها احاط بها البحر من كل صوب الا الطرف الغربي وهو محصن بثلاثة اسوار فاظهر السلطان اولا المسالمة مع الملك صاحب قسطنطينية وذلك سنة « ٨٥٦ » فطلب من طرف بلاده ارضا مقدار جلد ثور فاستقله وقال ما يفعل به اعطوه ما طلب فارسل السلطان جماعة من البنائين فاختاروا الخليج الداخل من بحر نيطش وهو البحر الاسود . فقدوا جلد الثور قدا رقيقا و بسطوه على وجه الارض على اضيق محل من فم الخليج فبنوا سورا منيعا شامخا وركب فيه المدافع وكان اسمها

اوربان كانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطارا الى مسافة ميل وبنى في مقابلة ذلك الحصن حصناً اخر مثله في براناطولي وشحنهما بالآلات النارية حتى ضبط فم الخليج فلم يقدر ان يسلكه بعده مركب من مراكب البحر الاسود الى قسطنطينية والى بحر الروم ٠ ثم ثنى عزمه الى مدينة ادرنه فانشأ دار السعادة وامر بسبك المدافع الكبار والمكاحل ثم لما تكاملت الاسباب والاحتياجات البرية والبحرية نهض بهمة وحزم وعزم في اوائل شهر جمادى الاولى سنة «٨٥٧» بعسكر كثيف وجيش كبير خبير واستعد متوكلاً على الله تعالى متوسلا بروحانية سيد البرية صلى الله تعالى عليه وسلم فخيم على قسطنطينية ونازلهـا من طرف الشمال وكان عنده اربعمائة مركب قد انشأها هو وابوه رحمه الله فأرساها عند الحصن الذي انشأه المعروف بيغزكشن وامر بالمراكب فسحبت الى البر وقد جعلت تحتها دواليب تجري كالعجلة في البر والبحر وشحنها بالرجال وساروا في البر مع موافقة ريح شديدة حتى انصبوا الى الخليج الواقع شمالي البلد من طرف غلطه فامتلأ الخليج من الاغربة وقربوا بعضها من بعض وربطوها بالسلاسل فصارت جسرا ممدودا ومعبرا للمسلمين واهل البلد آمنون من هذه الجهة فلم يحصنوها وانما كان خوفهم

من جهة البر فحصنوها وغفلوا عن هذه الجهة لامر اراده الله
فشرع المسلمون في الحصار من البر والبحر مدة احد وخمسين يوماً
حتى اعيى المسلمين امرها وكان اهل قسطنطينية استمدوا من
الافرنج فامدوهم بجيش عظيم ، وكان السلطان محمد خان قد
ارسل وزيره احمد باشا ابن ولي الدين باشا قبلا الى العارف بالله
الشيخ آق شمس الدين والى الشيخ آق بيق يدعوهما للجهاد
والحضور معه لفتح قسطنطينية فحضرا وقد بشر الشيخ شمس الدين
الوزير بالنصر والفتح ان شاء الله على يد المسلمين في العام نفسه
وانهم يدخلونها من الموضع الفلاني وانت تكون حينئذ واقفاً
عند السلطان فبشر الوزير السلطان بذلك فلما صار الوقت المعين
ولم تفتح القلعة خاف الوزير من السلطان فذهب الى الشيخ فمنعوه
عن الدخول اليه فرفع الوزير اطناب الخيمة فاذا الشيخ ساجد
على التراب يتضرع ويبكي فما رفع الوزير رأسه الا وقد قام الشيخ
على رجليه فكبر وحمد الله الذي منّ على المسلمين بفتح هذه المدينة
قال الوزير فنظرت الى جانب المدينة فاذا المسلمون قد دخلوا
باجمعهم فلما دخل السلطان محمد خان المدينة نظر فاذا بجانبه وزيره
ابن وليّ الدين واقف عنده فقال هذا ما اخبر به الشيخ وقال ما
فرحت بهذا الفتح وانما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زماني .

كان هذا العارف مستجاب الدعوة ومن مناقبه انه كان طبيباً يداوي الابدان كما يداوي الارواح

وكان فتح قسطنطينية نهار الاربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكانت محاصرتها احد وخمسين يوماً فغنم المسلمون منها غنائم لم يسمع بمثلها ولما دخل السلطان المدينة عند الظهر وجد الجنود مشتغلين بالسلب والنهب فاصدر امره بمنع كل اعتداء يسبب فساد الامن وقضى بان تكون الغنائم كلها للعساكر وقال يكفيني فتح المدينة وبعد تمام الفتح اعلن في كافة الجهات بانه لا يعارض في اقامة شعائر ديانة المسيحيين مع حفظ املاكهم فرجع من كان هاجر من المسيحيين واعطاهم نصف الكنائس وجعل النصف جوامع للمسلمين ثم جمع ائمة دينهم لينتخبوا بطريقا لهم فاختاروا رجلا يقال له جورج سكولاريوس فاعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيساً لطائفة الروم ومنحه حق الحكم في القضاء بينهم بالمدنية والجنائية واعطى هـذا الحق في الولايات للمطارنة وفي مقابلة هذا المنح فرض عليهم دفع الخراج واستثنى من ذلك ائمة الدين فقط · فلما شاع خبر هذا الفتح في الآفاق هابه ملوك الارض وارسل له صاحب مصر والشام وصاحب العجم وصاحب المغرب مراسلات يهنئونه بهذا الفتح · لا شك ولا

ريب في ان هذا الفتح من اعظم الفتوحات الاسلامية وقد حاوله غير واحد من الخلفاء والسلاطين وصرفوا هممهم وجهدهم وعساكرهم فلم ينالوه . وقد حاصر قسطنطينية معاوية بن ابي سفيان في خلافة عليّ رضي الله عنه وفي زمن يزيد بن معاوية ، وحاصرها سفيان ابن اوس في خلافة معاوية وحاصرها مسلمة بن عبد الملك في زمن عمر بن عبد العزيز ، وحوصرت ايضاً في زمن هشام بن عبد الملك ، وحاصرها ايضاً احد قواد الخليفة هارون الرشيد وخص هذا الفتح لهذا السلطان الجليل لكونه من اعلم الملوك واعدلهم واحسنهم سيرة واخلصهم نية وطوية . وقد ظهرت به معجزة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله مؤكداً : « لتفتحنّ القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » رواه احمد بن حنبل والحاكم بسند صحيح . وضمن بعضهم ذلك بقوله :

رام امر الفتح قوم أوّلون * حازه بالنصر قوم آخرون

وقع لفظة آخرون تاريخ فتح قسطنطينية وقيل في ذلك (بلدة طيبة) «٨٥٧» . لما دخل السلطان رحمه المدينة اسرع بالتوجه الى كنيستها العظمى (اياصوفية) فدخلها وطهرها وامر المؤذن فاذن لصلاة الظهر وصلى فيها ودعا وحمد الله تعالى واثنى عليه وجعلها مسجدا جامعا للمسلمين الى ما شاء الله . وعين له اوقافا

ورتب له رواتب وسميت المدينة (اسلامبول).

ثم ان السلطان طلب من الشيخ شمس الدين ان يريه موضع قبر ابي ايوب الانصاري الصحابي فقال الشيخ اني شاهدت في موضع نوراً لعل قبره هناك فجاء وتوجه ثم قال قد اجتمعت مع روحه فهنأني بهذا الفتح وقال: (يشكر الله سعيكم خلصتموني من ظلمة الكفر) فاخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه وقال اطلب يا مولانا ان تريني علامة اراها بعيني ليطمئن قلبي فقال الشيخ احفروا هنا من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبراني فحفروا وظهر رخام عليه خط عبراني فقرأه من يعرفه فاذا فيه ما ترجمته «قبر ابى ايوب الانصاري» فعجب السلطان وغلب عليه الحال، ثم امر ببناء قبة وجامع والتمس من الشيخ آق شمس الدين ان يجلس في ذلك المكان مع اتباعه فامتنع واستأذن بالرجوع الى وطنه قصبة قونيك فاذن له تطييباً لقلبه.

ولما فتح المسلمون المدينة ارسل صاحب غلطة مفاتيح قلعتها ففتحت ودخلها المسلمون وتسارعوا الى مسجدها القديم الذي كان بناه مسلمة بن عبد الملك يوم حاصرها وقد صيروه كنيسة، ثم تسلم قلاع تلك الجهات كلها ادام الله العز والاقبال فيها الى آخر الدوران

في سنة «٨٦٠» غزا السلطان بلاد انكروس وفتح عدة

بلاد . وفي سنة « ٨٦١ » غزا بلاد موره وفتحها واسكن فيها طائفة من العرب فتغلب عليهم الروم فتنصر جماعة ورحل آخرون ثم عاد السلطان لما بلغه ذلك فافتتح نحو ستين قلعة لم يكن دخلها مسلم قبل ذلك

ثم سار الى جهة سينوب وهي مدينة حصينة على البحر الاسود من اناطولي فاستولى على قسطموني وسينوب وطرابزون . ثم توجه الى بلاد الكرج فتوغل عسكره فيها وغنموا كثيرا .

وفي سنة « ٨٦٨ » غزا السلطان بلاد بوسنه فاستولى على عامة بلادهم . ثم صوب رأيه وعزمه الى فتح بلاد ارنؤد وهم صنف من النصارى يصبرون على المحن والشدائد والاعمال الشاقة قيل اصلهم من عرب بني غسان ارتحلوا من بلاد الشام بعد ماجاء الاسلام فتوطنوا هناك و كثروا وقيل هم طائفة من اعراب البربر عبروا البحر الى هذا المكان مع يعقوب بن منصور الموحدى فبقوا فيها فغلب عليهم الجهل وتنصر اكثرهم . فلما غزاهم السلطان استولى على اكثر قلاع بلاد ارنؤد وبنى قلعة حصينة هناك وشحنها بالرجال وسماها آق حصار

وفي سنة «٨٧٩» سار السلطان الى قتال اهل بغدان فخاف منه اميرهم استفان النصراني وهرب فدخل السلطان بغدان

وتوغل فيها وغنم وسبى اموالا واولادا لا تحصى حتى اذعن اميرها استفان بالطاعة والجزية ٠ وفي سنة «٨٨٣» امر السلطان بانشاء دار السعادة الجديد في محلها الآن ورتبه ترتيباً حسناً

وفي سنة «٨٨٦» بدا للسلطان محمد خان ان يسافر الى بلاد اناطولي فخيم بعساكره ظاهر اسكدار فاتفق ان مرض السلطان واوصى بالملك الى ولده بايزيد : فتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الاول سنة (٨٨٦) فحمل الى اسلامبول وصلي عليه في الجامع الذى انشاه وعمره احدى وخمسون سنة ومدة ملكه احدى وثلاثون سنة

حيث انه قد اوصى لولده بايزيد وقد كان عازما على التوجه الى الحج فقيل له قد اوصى السلطان اليك بالملك فقال والله ما اثني عن سفري هذا ابدا وان ولدي قورقود ينوب عني في السلطنة الى ان اعود فاستقر قورقود على التخت العثماني نيابة عن ابيه واحسن الى الجند وضاعف عطاياهم فاحبوه محبة عظيمة وكان سنه اثنتى عشرة سنة وغاب السلطان بايزيد خان تسعة اشهر فلما عاد من الحج ووصل الى ازنيق استقبله ولده قورقود مع اركان الدولة والوزراء والعساكر وسلمه الملك والسلطنة فدعا له والده ٠ رحم الله تلك الارواح الطاهرة

« ٨ » السلطان الغازي ضياء الدين بايزيد خان الثاني
ابن السلطان محمد خان الفاتح

جلس على سرير السلطنة ثامن عشر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعمره ثلاثون سنة وهو من اعيان السلاطين العظماء تفرع من شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تزينت باسمه رؤس المنابر وتوشحت بذكره صدور المنابر

في سنة « ٨٨٨ » بنى بمدينة ادرنه على شاطيء النهر جامعا ومدرسة ثم سار الى بلاد بغدان ففتح قلعة « كلى » وقلعة « آق كرمان » وقلعة « ملوان » وقلعة « طرسوس » وقلعة « نفشه » وقلعة « كولك » ٠

وفي سنة (٨٩٣) امر ببناء الجامع بقرب دار السعادة العثمانية بمدينة قسطنطينية ٠ وفي سنة «٨٩٥» سار بعساكره فاستولى على قلعة « اينه بختي » وقلعة « متون » وقلعة « ترون » ٠ وفي سنة (٩١٨) تنزل السلطان بايزيد خان عن السلطنة الى ولده السلطان سليم خان لكبر سنه وشيخوخته ومرضه بعلة النقرس وامر بالتجهيز للسفر ليقيم بمدينة «ديمه توقه» فتضرع اليه ولده السلطان سليم في الاقامة معه فقال له السيفان لا يجتمعان في غمد واحد ٠ فلما كان ببعض الطريق زاد مرضه فقال ردوني فردوه وتوفي رحمه

الله قبل ان يصل الى قسطنطينية ودفن امام مدرسته التي انشاها وذلك سنة (٩١٨) .

كان رحمه الله ملكا جليلا جميلا كبيرا عالما ورعا مجـاهدا مرابطا بنى المساجد والمدارس والجسور وفتح الفتوحات . عاش سعيدا ومات شهيدا ، حكي عنه انه كان يجمع في كل محل نزل فيه من غزواته ما على بدنه وثيابه من الغبار ويحفظه فلما دنا اجله المحتوم والقدوم على الحيّ القيوم امر بذلك الغبـار فضرب لبنة صغيرة واوصى بان توضع معه تحت خده في القبر لقوله صلى الله عليه وسلم : « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار » رواه البخاري . وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة الا اياما وعمره اثنان وستون سنة

«٩» السلطان سليم خان الاول ابن السلطان بايزيد خان الثاني

جلس على سرير الملك والسلطنة ثامن صفر الخير سنة (٩١٨) ولد سنة « ٨٧٢ » وكان عمره ستا واربعين سنة

لما استقر على تخت السلطنة شرع في الاستيلاء على الممالك والاقاليم والمسالك وقهر الملوك الطاغية ففي سنة « ٩٢٠ » توجه بعساكر كثيرة نحو بلاد المشرق لقتال اسماعيل بن حيدر الصفوي

فالتقى الجمعان والفريقان والتحم الحرب والقتال فانهزمت عساكر الاعجام شر هزيمة وانتصرت عساكر السلطان واستولى على خزائنه وامواله وخيمه ودخل السلطان مدينة تبريز كرسي مملكته وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه . ثم رجع لحلول الشتاء فشتى بمدينة اماسيه فلما دخل الربيع رجع الى بلاد المشرق وفتح قلعة «كماخ» من امنع الحصون وفتح مدينة «يابيورد» وبعث وزيره فرهاد باشا بعسكر ففتحوا بلاد مرعش والبستان

وفي هذه السنة احب اهل «آمد» ان يدخلوا في طاعة السلطان سليم خان فاخرجوا واليهم الذي كان من قبل سلطان العجم وارسلوا يطلبون اميراً من امراء السلطان سليم خان ليكون والياً عليهم فعين لهم محمد بك الآمدي ونصبه امير الامراء فوصل اليها وتسلمها ثم حاصر محمد بك مدينة «ماردين» اربعين يوماً حتى فتحها وفتح بلاد «الموصل» و«عانه» و «حديثه» و «هيت» و «سنجار» و «حصن كيفا» و «جمكزك» وقلعة «العمادية» وحصن «سوراق» وسائر بلاد «كردستان» وعامة جزيرة «بنى عمرو» .

وفي سنة «٩٢٢» قصد السلطان سليم خان قتال قانصوه الغوري ملك مصر والشام وحلب واليمن فخرج من قسطنطينية

بعسكر كثيف عظيم وسار حتى وصل الى قرب مدينة حلب والتقى مع الغوري في مرج دابق بقرب حلب فالتحم القتال وانهزم الجراكسة شر هزيمة وقتل الغوري بين الخيل في المعركة وفقد منها «كما سبق» . فخرج اهل حلب بعلمائهم وصلحائهم حاملين المصاحف الشريفة على رؤسهم يستقبلون السلطان ويهنئونه بالنصر ويسترحمون منه الرفق والصفح فقابلهم السلطان بكل جميل ودخل مدينة حلب وخطب له فيها بلقب سلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين فسجد لله شكرا

ثم قصد بلاد الشام فاستقبله اهلها بالاعزاز والاحترام واسترحموا منه اللطف والاحسان فعاملهم بكل جميل وصلى الجمعة بجامع بني امية وخطب باسمه ومكث بدمشق مدة ثلاثة اشهر ونصف وامر بعمارة قبة على قبر العارف بالله الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره وبنى مأكل للطعام

ثم قصد بلاد مصر ففتح في طريقه بيت المقدس الشريف وزار المشاهد واحسن الى اهلها ثم فتح «غزة» و«طبرية» و«صفد» و«اللجون» و«رمله» و«لد» حتى وصل الى مصر ثالث عشري المحرم سنة «٩٢٣» والتقى مع الاشرف طومان باى الدادار بالربدانية ومعه اربعون الف جركسي فاشتد الحرب بينهم والتحم

القتال فانهزم طومان باى الى بلاد ابن بقر فطلبه منه السلطان فارسله اليه فلما وصل قربه وادناه وسأله عن عوائد المملكة المصرية واحوالها ثم بعد عشرة ايام صلبه في باب زويله وامر بالقبض على كل جركسي فضربت اعناقهم ودخل المدينة وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه

ثم توجه الى الاسكندرية فمهد امورها وقتل بها من كان من امراء الجراكسة ثم رجع الى القاهرة وفوض الامر فيها الى خير باى وجعله اميرا على مصر والقاهرة ثم قصد الرجوع الى مقر السلطنة قسطنطينية واخذ بصحبته الخليفة المتوكل على الله آخر خلفاء بني العباس بمصر فاقام بقسطنطينية الى ان كبر سنه وشاخ فاستأذن فاطلقه السلطان واذن له بالرجوع الى مصر وعين له ما يكفيه الى ان توفي بها سنة «٩٤٥».

وكان قد استلم السلطان سليم خان الآثار النبوية الشريفة من الخليفة المتوكل على الله وهي: «اللواء والسيف والبردة الشريفة» وتسلم مفاتيح الحرمين الشريفين ومن ذلك الوقت صار السلطان سليم خان صاحب الخلافة العظمى والتخت الاسمى

وبينما السلطان في اثناء الطريق قدم عليه شريف مكة وواليها الشريف بركات الحسني ومعه ولده الشريف ابو نمي محمد

ابن بركات فاجتمعا بحضرة السلطان واخبراه انه خطب له بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة فشكر لهما

ثم توجه الخليفة السلطان سليم خان قاصدا دار الخلافة «قسطنطينية» فقدم دمشق وعين لبلاد الشام الامير جان بردي الغزالي لانه كان مواليا له حين كان اميرا بحلب ايام دولة الجراكسة ثم استولى على مدينة ملطية ودارنده وبهسني وكركره وكاخته والبيره وعينتاب وانطاكية وقلعة الروم. واطاعته قبائل الاعراب من العرب المجاورين للشام ومصر

ثم ان الخليفة الاعظم السلطان سليم خان لما قدم مقر الخلافة قسطنطينية قصدان يشتي بمدينة ادرنه على حسب عوائد آبائه فلما كان في اثناء الطريق ظهر في جنبه دمل فلم يزل يتزايد هذا الدمل حتى اعياه ولم يقدر على الحركة فاقام في ذلك المحل نحو اربعين يوما

فلما كان تاسع شوال سنة «٩٢٦» ليلة السبت توفي رحمه الله تعالى فاخفي موته وارسلوا يعلمون ولده السلطان سليمان خان ويدعونه سريعا فلما وصل سليمان خان الى قسطنطينية اشاعوا موت السلطان سليم خان واستقبلوه ورجعوا مع ولده السلطان سليمان خان يشيعون السلطان سليم خان مع العلماء والاعيان وصلوا عليه

في جامع السلطان محمد خان الفاتح ودفن في محل قبره رحمه الله وجزاه الله خيرا · وامر السلطان سليمان خان ببناء جامع عظيم وتكية لطعام الفقراء عند تربته توفي وله من العمر اربع وخمسون سنة ومدة ملكه وخلافته تسعة اعوام وثمانية اشهر

كان رحمه الله ملكا فاضلا ذكيا عالما حسن الطبع بعيد الغور صاحب رأي وتدبير وحزم ، كان يعرف الالسنة الثلاثة العربية والتركية والفارسية وكان ينظم نظماً حسناً · ولما كان بمصر كتب على رخام في حائط القصر الذي سكن فيه بخطه هذين البيتين :

الملك لله من يظفر بنيل مني * يردده قهرا ويضمن بعده الدركا
لو كان لي او لغيري قدر انملة * فوق التراب لكان الامر مشتركا

«١٠» السلطان الاعظم والخليفة الافخم والخاقان المفخم سليمان خان الاول ابن السلطان سليم خان الاول

جلس على سرير الخلافة العظمى والتخت السلطاني الاسمى سنة (٩٢٦) وعمره ست وعشرون سنة ومولده سنة (٩٠٠) فاول امر اصدره ابلاغ توليته على عرش الخلافة العظمى الى كافة الولاة والى اشراف مكة المكرمة والمدينة المنورة واعيانهما بخطابات بليغة ونصائح ثمينة مزينة بآيات قرانية مبينة لفضل العدل في الاحكام وبيان عاقبة الظلم والعدوان وكان يستفتح خطاباته بالاية

الشريفة (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) ولما بلغ
جان بردي الغزالي وفاة السلطان سليم خان خرج عن الطاعة ورام
ان يتسلطن بدمشق وتوابعها ولم يدر ان دولة الجراكسة عنهم تداولت
وان السعادة قد ادبرت فجمع جموعا من الجنود وسار الى حلب
فحاصرها مدة فلما رأى الغزالي انه لم يجد الى دخول حلب سبيلا
عاد راجعا الى دمشق فشرع في تحصين القلعة فلما بلغ السلطان
امر وزيره فرهاد باشا بان يرسل عساكر من اليكيچرية لقتال الغزالي
وعين معه امير الامراء بروم ايلي واناطولي اياس باشا فلما سمع
الغزالي بقدوم العساكر خرج من دمشق لارض القابون فالتقى
العسكران بمكان يقال له المصطبة بارض القابون فهلك الخارج
بمن معه تحت ارجل الخيل ولم يعلم له ولا لجنوده اثر ودخل الوزير
فرهاد باشا دمشق ومهدها وفوض نيابة الشام الى امير الامراء
بأناطولي اياس باشا والقدس وغزة ونواحيها الى عبيد السلطان
واخبر السلطان سليمان خان بالنصر والفتح
وفي هذه السنة قصد السلطان قتال قرال انكروس لاوش
لانه تكبر وتجبر واظهر العصيان فجهز عمارة كبيرة في البحر الابيض
لحفظ البلاد من الافرنج وامر بانشاء خمسين زورقا للمجاهدين
واربعمائة سفينة للدواب وارسلهم من بحر نيطش الاسود ليدخلوا

في نهر الطونه وهو نهر كبير واسع ليرسوا بقرب «بلغراد» وتوجه السلطان بنفسه من البر في قوة عظيمة ورتب العساكر المجاهدين وارسلهم ليحاصروا قلعة «بلغراد» فاجتمعت العساكر بموضع يقال له « زمون » فاشتد القتال وقامت الحرب على ساق حتى فتح الله على المسلمين وفازوا بغنائم لا تحصى فلما شاهد العدو هذا الفتح انقادت زعماؤه خاضعين وجاءوا بمفاتيح القلاع المنيعة وهي ثمان . ثم امر السلطان بعمارة ما تهدم من قلعة « بلغراد» وعين لها اميرا وقاضيا . وعاد محفوفا بالنصر والظفر الى مقر الخلافة لان الشتاء كان اقبل .

ثم ان السلطان لما بلغه ما يحصل للمسلمين والسابلة من حجاج وتجار في انحاء رودس عزم على قتال من فيها من القرصان فعين وزيره فرهاد باشا بان يسير الى طرف سيواس لحفظ البلاد وامر وزيره الثاني مصطفى باشا بان يسير بالعمارة في البحر لقتال اهل رودس وخرج السلطان بنفسه في عساكر كثيرة في رجب سنة «٩٢٨» وسار من البر حتى نزل بقرب (يكي شهر) من بلاد (ايدين) وعساكر مصطفى باشا ساروا في نحو سبعمائة غراب حتى رسوا في في مرسى رودس بمكان يقال له « انف الثور » وقلعة رودس من امنع القلاع كان بانيها ماهرا في الهندسة بنى سور القلعة تحت

الارض وحفر فيها خندقا عريضاً عميقاً وكانت مشحونة بالمدافع
وللبلد سوران مملوآن من التراب والحجارة ومن جانب البحر مينا
عظيمة مدورة كالحوض ولها باب مخصوص عليه سلسلة من حديد
وفي رابع شهر رمضان اجتاز السلطان مع العسكر في البحر لجهة
رودس فنزل بمحل رفيع مشرف على القلعة فحصروها مدة تزيد
على ثلاثين يوماً فلم يغن شيئا حتى نقبوا الاسوار من جهة الارض
وملؤا الثقوب بالبارود واضرموها بالنار فانفتح عدة محلات من
السور يمكن العبور منها الى القلعة فلما شاهدوا ذلك استأمنوا على
انفسهم واولادهم فأمنهم السلطان ثم رجعوا واستأنفوا الكرة على
المسلمين لانه كان اتاهم مدد من الافرنج في عدة مراكب في
الليل فحاربهم المسلمون ثانياً حتى اضطروا ونادوا يا اهل الايمان
الامان الامان وارسل امير القلعة نفرا من كبارهم بالرسالة فقبل
السلطان سؤاله وامرهم ان يطلقوا اسارى المسلمين فاطلقوا منهم
كثيرين كانوا مأسورين من مدة طويلة فدخل المسلمون البلد
واخرجوا اهلها منها فعمروا قلعة «ملطية» وسكنوا بها
ثم افسدوا طريق الحجاج وغيرهم من المسلمين . ثم توجه
السلطان عليه الرحمة والرضوان الى مقر دار الخلافة

في سنة «٩٣٢» حضر سفير من دولة فرنسا الى الباب

العالي ارسلته الملكة لويز زوجة فرنسيس الاول (وهو مأسور في بلاد اسبانيا) ومعه كتاب من ملك فرنسا الى جلالة السلطان الاعظم يطلب منه بكل تواضع ان يهاجم ملك المجر احد خلفاء «شارلكان» حتى يمنعه من مساعدته فيمكن فرانسا بذلك ان تنتصر على شارلكان وتسترد ما سلبه منها من الشرف في واقعة فقابل السفير حضرة السلطان سليمان خان وبعد ان عرض على جلالته مطالب الملك وعده السلطان بمحاربة المجر . ثم كتب للملك ما صورته :

الله العليّ المعطي المغني المعين

بعناية حضرة عزة الله جلت قدرته، وعلت كلمته وبمعجزات سيد زمرة الانبياء ، وقدوة فرقة الاصفياء ، محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثيرة البركات، وبموازرة قدس ارواح حماية الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اولياء الله . انا سلطان السلاطين ، وبرهان الخواقين . متوج الملوك ، ظل الله في الارضين سلطان البحر الابيض والبحر الاسود والاناطولي والروملي وقرمان الروم وولاية ذى القدرية وديار بكر وكردستان واذربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة

ايضاً التي فتحها آبائي الكرام واجدادى العظام بقوتهم القاهرة
انار الله براهينهم، و بلاد اخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتي بسيف
الظفر . انا السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن
السلطان بايزيد خان ، الى فرنسيس ملك ولاية فرانسا ، وصل
الى اعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي ارسلتموه مع تابعكم
«فرانقيان» النشيط مع بعض الاخبار التى اوصيتموه بها شفاهيا .
واعلمنا ان عدوكم استولى على بلادكم وانكم الآن محبوسون
وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم وكل ما
قلتموه عرض على اعتاب سرير سدتنا الملوكانية واحاط به علمي الشريف
على وجه التفصيل فصار بتمامه معلوماً فلا عجب من حبس الملوك
وضيقهم فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر فان آبائي
الكرام واجدادي العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من
الحرب لاجل فتح البلاد وردّ العدو ونحن ايضاً سالكون على
طريقتهم وفي كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة
وخيولنا ليلا ونهارا مسروجة وسيوفنا مسلولة فالحق سبحانه وتعالى
ييسر الخير بارادته ومشيئته واما باقي الاحوال والاخبار تفهمونها
من تابعكم المذكور فليكن معلومكم هذا . تحريراً في اوائل شهر

آخر الربيعين سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة

بمقام دار السلطنة العلية

القسطنطينية المحروسة المحمية

ثم عزم على محاربة المجر فسافر من القسطنطينية بجيش مؤلف من نحو مائة الف جندي وثلاثمائة مدفع وثمانمائة سفينة في نهر الطونة لنقل الجيوش فسار الجيش تحت قيادة جلالة السلطان ووزرائه الثلاثة من طريق الصرب مارين بقلعة بلغراد ففتحوا في طريقهم من نهر الطونة عدة قلاع ذات اهمية ووصلت العساكر العثمانية باجمعها الى وادي (موهاكس) واصطفت العساكر والتقى الجمعان وقامت الحرب والتحم القتال وتواصلت المدافع العثمانية بسرعة قوية فوقع الرعب في قلوب المجر فانهزموا وتبعتهم العساكر المظفرة حتى قتل اغلب الفرسان من المجر وقتل ملكهم ولم يعرف له جثة فكانت هذه الواقعة سبباً لضياع استقلال المجر في بلادهم

وفي سنة « ٩٤١ » قصد السلطان بلاد المشرق والعراق فوصل الى مدينة بغداد وكان النائب بها من قبل سلطان العجم « بكلو محمد خان » فهرب الى بلاد العجم ودخل السلطان والعساكر بغداد ونصبوا الرايات العثمانية وقصد زيارة الامام

الاعظم ابي حنيفة النعمان رحمه الله وكان شاه اسماعيل لما ملك
بغداد امر بنقض تربته الشريفة فجدد له السلطان سليمان مشهدا
عظيما وبنى فيه تكة لطعام الفقراء وبنى عليه قبة حصينة وزار
سيد بني هاشم موسى الكاظم وزار قبر سيدنا عبد القادر
الكيلاني . ثم قصد زيارة المشهدين المعظمين امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب وولده الحسين عليهما السلام واستمد من روحانيتهم
ثم توجه السلطان الى «مراغة» و «تبريز» فصلى الجمعة وخطب
الخطيب خطبة بليغة باسمه

ثم نهض بالعساكر الكثيرة قاصدا قتال «شاه طهماسب»
فتوغل في بلاده حتى وصل الى مدينة «دركزين» وفيها وصل
وافد «شاه طهماسب» بكتاب الصلح من غير قتال راجياً من
كرم السلطان ان يرحم الرعايا وان يعفو عنهم وعنه وعاهده ان
لا يخونه وتكون له البلاد التي اخذها منه فقبل السلطان منه
ذلك وامر العسكر بالعود ، فعاد حتى وصل الى مقر الخلافة
والسلطنة قسطنطينية فاستبشروا بقدومه .

وفي سنة «٩٥٥» توجه السلطان ايضاً قاصدا بلاد العجم
فاستولى على «شروان» و «تبريز» وعلى «وان» وتلك الجهات
وفي سنة «٩٦٤» صدر امره الشريف بعمارة الجامع والتكة

بمدينة دمشق بمكان يعرف بالقصر الابلق « بالمرجه » . وفي سنة « ٩٧٤ » نهض السلطان عليه الرحمة والرضوان قاصدا فتح « سكدوار » من مدن المجر والسلطان به علة النقرس فسار بعساكر كثير وبعث وزيره پرتو باشا الى فتح قلعة « كوله » ففتحها .

واما قلعة « سكدوار » فكانت متينة منيعة* وقد اشتد مرض السلطان فرفع يديه متضرعاً وقال يا رب العالمين افتح على عبادك المسلمين وانصرهم . ثم اوصى بالسلطنة لولده السلطان سليم خان وكتب اليه كتابا يوصيه بالرعية والاستعجال بالمسير اليه لئلا يضيع عساكر المسلمين في بلاد الكفار، ثم انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى . واخفى الوزير الاعظم محمد باشا وفاته ودعا رئيس الاطباء فشق بطنه وملأه بالاجزاء ودفن امعائه هناك ثم لم يزالوا يجدون حتى فتحوا البلاد وقت الضحى سابع صفر سنة « ٩٧٤ » بعد وفاة المرحوم ساكن الجنان السلطان سليمان خان بثلاثة ايام ثم لم يزل العسكر في ترميم القلعة واصلاحها

ثم بعث الوزير الاعظم محمد باشا الى السلطان سليم خان يدعوه الى سكدوار فنهض السلطان سليم خان وكان على امارة « كوتاهية » فدخل قسطنطينية على حين غفلة من اهلها وجلس

على سرير الملك والخلافة يوم الاثنين تاسع ربيع الاول سنة (٩٧٤) فدخل العلماء والصدور وعزوه بابيه وهنأوه بالسلطنة. ثم خرج في اليوم الثالث الى سكدوار فلحق بالعسكر وصلى على ابيه ثم ارسله محفوفا بالرحمة والرضوان في العجله صحبة الوزير احمد باشا الى مقر الخلافة قسطنطينية فاستقبله وجوه العلماء والمشايخ بالتوحيد والتهليل ودفنوه بجامعه الذي بناه

كان رحمه الله ملكا جليلا مهيبا عالي الهمة عالما شجاعا الى الغاية طويل القامة حسن الصورة اشتهر في الآفاق بالعدل والخيرات بنى المدارس الاربعة بمكة المكرمة وبنى الرواق في الحرم الشريف على عواميد من رخام واجرى عين عرفة. كان عدد الجيوش عند وفاته ثلاثمائة الف وقد تقدمت الفتوحات في ايامه تقدما عظيما لم تصل اليه قبله ولا بعده وبلغت الدولة العلية اوج سعادتها. وله مناقب كثيرة مفردة في التاليف رحمه الله رحمة واسعة عاش سعيدا ومات شهيدا وله من العمر اربع وسبعون سنة ومدة خلافته ثمانية واربعون سنة خرج للجهاد فيها اكثر من نصف مدته

«١١» السلطان الغازي والخليفة المعظم سليم خان الثاني ابن السلطان سليمان خان

جلس على سرير السلطنة والخلافة سنة (٩٧٤) بعهد من ابيه، ولد سنة (٩٣٠) ثم بلغه بعد ان رجع من سكدوار بالعساكر الى مقر الخلافة عصيان بني عليان من سكان الجزيرة وخروجهم عن الطاعة فجهز اليهم عساكر بقيادة امير الامراء بالبصرة وبغداد فساروا وحاربوهم مدة حتى انجلى الامر بهزيمتهم واستولت العساكر السلطانية على معظم قلاعهم ثم ساروا سالمين

وفي سنة (٩٧٥) امر السلطان وزيره مصطفى باشا بالمسير في البحر لفتح جزيرة قبرص وعيّن كاشف البحر علي باشا القبودان ان يدور بالعمارة في وجه البحر صيانة للعساكر من هجوم العدو فخرج الاسطول والمراكب من فم الخليج بابهة واهبة زائدة فلما وصلوا الى الجزيرة خرجوا من طرف المملحة فخيم العسكر واستقرت الاراء على حصار قلعة (النقوسة) اولا اذ هي مدينتهم الكبرى فحاصروها مدة شهر ثم فتحوها وبعث الوزير عدة رؤس من رؤس عظماء النقوسه في اطباق من الفضة الى اهل قلعة «كرنية» فلما شاهدوها خافوا فطلبوا الامان وبعثوا بمفاتيح القلعة فتسلمها ثم توجه الى حصار قلعة «ماغوسه» وهي من امنع الحصون في ساحل البحر على

صخرة صماء مشحونة باسود المحاربين وقداستدار عليها خندق عميق بسور عرضه مائة ذراع وعشرة اذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعاً فحاصرها العساكر حصارا شديدا وقاتلوا قتال المستقتلين حتى يأس اهل القلعة ونادوا بالامان فأمنهم الوزير وبعثوا بمفاتيح القلعة وطلبوا ان يمكنوا من السير الى بلادهم مثل اهل رودس وكانوا نحو سبعة الاف مقاتل فخرجوا منها صاغرين . ثم سار الوزير بالاسطول فشن الغارة على جزر البحر الابيض كجزيرة « كفالته » وجزيرة « كورفس » وهي مفتاح بلاد البنادقة وفي هذه السنة امر السلطان بهدم البيوت الملاصقة لجامع اياصوفية لان الناس اكثروا من البنيان حتى استتر الجامع فهدم نحو اربعين ذراعاً حتى صار في غاية ما يكون من الحسن وامر بان يبنى له منارتان جديدتان وفي سنة (٩٧٩) غزت المراكب العثمانية جزيرة « كريد » لكن لم تفتح في هذه السنة .

وفي سنة (٩٨٢) خرج اسطول عظيم في سفن واغربة وشواني مشحونة بالرجال وآلات الحرب صحبة الوزير سنان باشا وبصحبته كاشف البحر علي باشا قاصدين فتح قلعة « حلق الواد » وتخليص « تونس » من يد الافرنج (ولها قصة في بني حفص) لانها كانت دار اسلام فتسلط عليها الافرنج وآل الامر

بعد محاربة شديدة ان عادت دار اسلام في ايام السلطان
سليم خان ولله الحمد

وفي هذه السنة اعني سنة (٩٨٢) انشأ السلطان حماما بدار
الخلافة لم يرَ مثله في الاتقان فدخل السلطان اليه وبينما هو يمشي
فيه زلقت قدمه فسقط سقطة عظيمة فاسود منها جنبه فلما خرج
من الحمام جاء رئيس الاطباء محمد بن غرس عز الدين فكان جاهلا
فعالجه ببعض ضمادات لم تفد شيئاً وكان الواجب فصده من
غير تأخير فاشتد مرضه وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشر شعبان
سنة اثنين وثمانين وتسعمائة فاخفى موته احد عشر يوماً حتى قدم
ولده السلطان مراد خان ليلة الاربعاء ثامن شهر رمضان فكفنوه
وحنطوه وجعلوه في تابوت ووضعوه في المكان الذي توفي فيه فلما
وصل السلطان مراد خان ودخل قسطنطينية على حين غفلة
وجلس على سرير الخلافة والسلطنة اشيع حينئذٍ موت السلطان
سليم خان الثاني المغفور له فحينئذٍ دخل اركان الدولة والوزراء
فقال الوزير الاعظم محمد باشا هذا سلطانكم قد مات وان الحي القيوم
الذي لا يموت فترحموا عليه وخضوا عنكم وهذا سلطانكم الجديد
قد وصل. فترحموا كلهم عليه فلما كان صبيحة يوم الاربعاء اذن
المؤذنون ونادى المنادون في الاسواق ان السلطان سليم خان

انتقل الى رحمة الله تعالى وان سلطانكم السلطان مراد خان الثالث ايده الله تعالى فذهب العلماء والوزراء والكبراء فسلموا عليه بالخلافة والسلطنة وعزوه بابيه وهو اول سلطان توفي بقسطنطينية وصلى عليه العالم الفاضل ابو حامد المفتي باشارة من السلطان ودفن في جنب اياصوفية. كان رحمه الله ملكا شجاعا ذكيا مائلا الى التقوى ووجوه الخير مهيباً جليل القدر صحيح العقيدة حنفي المذهب مواظباً على الصلوات الخمس وكانت مدة خلافته وسلطنته ثمانية اعوام وخمسة اشهر وتسعة عشر يوماً ومولده سنة (٩٣٠).

«١٢» السلطان مراد خان الثالث ابن السلطان سليم خان الثاني

وُلد سنة (٩٥٣) جلس على سرير الخلافة والسلطنة سنة (٩٨٤) وعمره ثلاثون سنة واول امر اصدره منع شرب الخمر الذي افرط فيه الجنود والانكشارية (اليكيچرية) وكان اكبر همه قتال صاحب (اذربيجان) و (خراسان) اولاد حيدر الصفوي فعين الوزير مصطفى باشا فاتح قبرص فتوجه سنة (٩٨٦) بعسكر كثير الى بلاد المشرق فبنى قلعة (قارص) وشحنها بالمدافع والمكاحل وهي مدينة اسلامية فيها مساجد وجوامع وفيها مزار الشيخ العارف بالله ابي الحسن الخرقاني من كبراء الصوفية فلما

استولى عليها الكفار خربوها . ثم سار الى تخوم بلاد العجم والكرج حتى وصل الى مكان يسمى (چلدير) من بلاد الشاه فحاصر هناك قلعة للكفار والكرج تسمى (يكى قلعة) فاستولوا عليها ثم هجم عليه عسكر الشاه فبعث الوزير مصطفى باشا عسكراً لقتاله فهزموا عسكر الشاه واستولوا على اموالهم وخيولهم واستولوا على عدة قلاع هناك ثم فتحوا قلعة (تفليس) قاعدة مملكة الكرج وكان المسلمون فتحوها ثم تغلب الكرج عليها ولما فتحت تفليس ارسلت (ام منوجهر) ملكة تلك البلاد ولدها الى الوزير بالطاعة ومعه مفاتيح ثمانية قلاع من القلاع الستة عشر التي تملكها واسلم ولدها (منوجهر) على يد الوزير و بلغ الوزير ان خاقان التاتار قد اظهر العصيان على سلطان آل عثمان فقاتله وقطع رأسه وفي سنة (١٠٠١) عين السلطان الوزير الاعظم سنان باشا لمحاربة المجر ففتح قلعة (بستريم) وقلعة (طاجه) ثم شتى في بلغراد وفي السنة الثانية فتحوا قلعة (بانق) من احصن القلاع وامنعها وتوفي السلطان مراد خان الثالث رحمه الله في جمادى الاولى سنة (١٠٠٣) عن خمسين سنة من عمره . ومدة ملكه عشرون سنة وثمانية اشهر ودفن تجاه ايا صوفية

«١٣» السلطان الغازي محمد خان الثالث ابن المرحوم السلطان مراد خان الثالث

جلس على سرير الخلافة والسلطنة يوم الجمعة سادس عشر جمادى الاولى سنة (١٠٠٣) وُلد سنة (٩٧٤)٠

لما استقر على السلطنة جهز الجيوش والعساكر للجهاد وخرج بنفسه حتى وصلوا بلغراد ومنها يتوصل الى العدو ثم تقدم بعساكره المظفرة الى ان نزل على حصن عظيم يقال له «اكري» معناه اعوج وهو حصن مشهور بالمنعة والمتانة فحاصره فصاح اهله الامان فاعطاهم السلطان امانًا فخرجوا من الحصن ودخله المسلمون ثم توغلوا بتلك الجهات والنواحي ورجع منصورا مؤيدا الى دار السلطنة مع عساكره المنصورة بعد ان دمر جيوش المجر والنمسا٠ توفي رحمه الله تعالى نهار الأحد ثامن عشر رجب سنة «١٠١٢» ومدة سلطنته تسع سنين وشهران وعمره ثلاثون سنة

«١٤» السلطان الغازي احمد خان ابن السلطان محمد خان الثالث

وُلد سنة «٩٩٨»٠ جلس على سرير الملك والسلطنة نهار الاثنين تاسع عشر رجب سنة «١٠١٢» وعمره نحو خمسة عشر سنة٠ سار سيرة الاكابر من الملوك وتكمل في علمه وفهمه وعدله، كان ملكا عظيم القدر جليل الذكر محبًا للعلم والعلماء وآل البيت

النبوي جوادا للفقراء عطاياه لاهل الاستحقاق مترادفة وكان يميل الى الأدب والمحاضرات وهو متقن للعربية والتركية وله شعر فيهما ومنه قوله: « وقد اجاد وابدع »

ظبي يصول ولا اتصال اليه * جرح الفؤاد بصارمي لحظيه
ما قام معتدلا وهزّ قوامه * إلاّ تهتكت الستور عليه
يسقي المدامة من سلافة ريقه * ويخصنا بالغنج من جفنيه
عيناه نرجسنا وآس عذاره * ريحاننا والورد من خديه

لما استقرّ في السلطنة واشتد امره ابتدأ بارسال العساكر مع وزيره الاعظم علي باشا لمحاربة المجر والنمسا وسعى بقطع دابر البغاة الخارجين ايام المرحوم والده، الذين تملكوا وبغوا في اكثر الانحاء والبلدان منهم حسين باشا الذي كان حاكما في الحبشة فانه تجبر وبغى وجبى الاموال الاميرية من البلاد من جهة قرمان واناطولي وحرق بعض النواحي وافسد القرى، ومنهم ابن جانبولاذ حاكم كلس وعزاز وهو الامير علي بن احمد بن جانبولاذ بن قاسم الكردي القصيري والى حكومة المعرة فانه آل امره الى ان جرد على العساكر السلطانية وطغى وبغى عليها لكن بتوفيقات السلطان احمد خان سكنت فتنتهم وتشتتوا وتمهدت الامور والامن في البلاد العثمانية وارتاحت الاهالي، كان رحمه

الله مدة حياته لا يفتر ولا ينام عن معاطاة الاسباب لراحة البلاد
والعباد . له مآثر وخيرات كثيرة منها عمارة المساجد وفعل
الخيرات . اراد ان يجعل حجارة الكعبة المشرفة ملبسة
واحدة بالذهب وواحدة بالفضة لكن منعه شيخ الاسلام محمد بن
سعد الدين وقال له هذا يزيل حرمة البيت الحرام ولو اراد الله
تعالى لجعله قطعة من الياقوت فامتنع رحمه الله عن ذلك فجعل
ثلاث مناطق من الفضة محلاة بالذهب داخل الكعبة الشريفة
صونا لها من الانهدام، ومن مآثره تجديد مولد السيدة فاطمة
وعمارة مسجد البيعة بالقرب من عقبة منى عن يسار الذاهب لها،
ووقف اوقافا كثيرة من قرى مصر على خدام الحرمين الشريفين، وفي
سنة « ١٠٢٤ » ارسل للحجرة النبوية الشريفة فصين من الالماس
قيمتهما ثمانون الف دينار فوضعها فوق الكوكب الدري وهذا
الكوكب تجاه الوجه الشريف وبعث للحجرة النبوية الشريفة
شبابيك من فضة محلاة بالذهب وامر ان يرسل اليه بالشبابيك
القديمة ليجعلها في مدفنه الذي انشاه بقسطنطينية فجعلها في
مدفنه كما اراد رحمه الله، وجدد عمارة العلمين اللذين هما حد الحرم
من جهة عرفة . ومن محاسنه انه حصل في الكعبة الشريفة ميلان
في بعض احجارها فارسل عمدا من فولاذ مطلية بذهب فطوقت بها

جدران الكعبة من الجهات الاربع وحفظت من السقوط الى الآن . ومن آثاره بقسطنطينية الجامع الذي لم يبن مثله في بنائه وانشائه ودقة صناعته وفي تجاهه المكان المعروف (بآت ميداني) . وبالجملة فله خيرات ومآثر كثيرة . توفي رحمه الله تعالى يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعده سنة « ١٠٢٦ » وقد بلغ من العمر ثمانياً وعشرين سنة ومدة سلطنته اربع عشرة سنة واربعة اشهر

« ١٥ » السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد الثالث

وُلد سنة « ١٠٠١ » ، وجلس على سرير الخلافة والسلطنة بعد وفاة اخيه السلطان احمد ثالث عشري ذي القعدة سنة « ١٠٢٦ » كان كثير التقشف كثير العبادة كثير الصلاح ليس له رغبة في الدنيا ولا في السلطنة زاهدا عابدا خاشعا مقبلاً على الآخرة فتنزل بطوعه واختياره ورضاه عن الخلافة والسلطنة الى ابن اخيه وكانت مدة خلافته ثلاثة اشهر

« ١٦ » السلطان عثمان خان الثاني ابن السلطان احمد خان

جلس على سرير الملك والخلافة عن عمه السلطان مصطفى خان سنة (١٠٢٧) . كان حسن الخلق والخلق جميل الشيم والطباع له ادب وحياء ودين وعرفان وشجاعة وكان ينظم الشعر

التركي . خرج للقتال وسافر في نحو ستمائة الف مقاتل لبلاد (القزق) فقاتلهم وانتصر عليهم واخذ الجزية منهم عن ثلاث سنين واخذ بعض القلاع وغنموا غنيمة عظيمة ثم عاد الى مقر الخلافة في اواخر السنة وامر في ايامه بتعطيل حانات الخمر ودار هو بنفسه وقفلها وطرد اصحابها . وفي ايامه جمد البحر الحاجزبين قسطنطينية واسكدار والغلطة وتجلد من شدة البرد فكان الناس يمرون من اسكدار الى استانبول مشاة وهذا لم يعهد مثله في الازمنة الماضية ثم انه رحمه الله قصد السفر الى الشام بنية الحج واخرج خيامه وسرادقه الى اسكدار يوم الاربعاء سابع رجب الفرد سنة (١٠٣١) وصمم على هذا القصد الشريف فحصل اللغط من العسكر واليكجرية وقامت الفتنة واجتمعت العساكر واتفقوا على عدم سفره وتجمعوا (بآت ميدانى) واتفقوا على قتل الوزير الاعظم دولار باشا وضابط الحرم السلطاني والدفتردار ومعلم السلطان المولى عمر بدعوى انهم كانوا السبب بتحريك السلطان على السفر الى الحج فاجتمع كبار العلماء بالسلطان وسألوه ان يسلم الوزير وضابط الحرم او يقتلهما هو حتى تسكن الفتنة فامتنع رحمه الله ثم قويت الفتنة وتجمعت العساكر وحل بالسلطان رحمه الله تعالى ما حل بامير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين (رضي الله

عنه)· والعجب كل العجب بين جمادى ورجب وقيل :

مات سلطان البرايا * فهو في الاخرى سعيدُ
قال لي الهاتف ارّخ * (ان عثمان شهيدُ)

(١٠٣١)

«١٧» السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان
احمد الاول ابن السلطان محمد الثالث

جلس على تخت الخلافة والسلطنة وبويع له رابع عشر ذى القعدة سنة (١٠٣٢) وُلد سنة (١٠١٨) لما تولى اقام شعار الملك والسلطنة اتم قيام· كان بطلا من الابطال شجاعاً مقداما ثابت الجاش قوي الساعد· ذكر انه ارسل درقة مطبقة احدى عشرة طبقة ضربها بعود فثبتت فيها وابرز امره الشريف الى العساكر المصرية باخراج ذلك العود منها وان من اخرجه يزاد في علوفته فحاولوا اخراجه فلم يقدروا وعجزوا عن ذلك وارسل قوساً ومعه خط شريف لوزير مصر احمد باشا بان يأمر العساكر بجر هذا القوس وزيادة علوفة من يتمكن من اخراجه فلم يقدر احد منهم على ذلك وعلقت الدرقة بالديوان السلطاني بمصر وعلق القوس بباب زويله ثم ابتدأ بهمة عالية باستئصال المتمردين والطغاة من العساكر الذين كانوا يثيرون الفتن فاباد كل متحزب وتوجه بنفسه

الملوكانية سنة (١٠٤٤) لغزو بلاد العجم وفتح بغداد لان (شاه عباس) كان قد ترقب الفرصة فزحف على بغداد ولم يخبروا السلطان بذلك فتوجه بعساكر كثيرة يضيق عنها الفضاء وفتح (وان) ثم توجه لبغداد وكان الشاه قد حصنها فامر بحفر حفيرة عظيمة (لغم) ووضع فيها البارود فهدم جانباً عظيما من جدار السور فلما رأى اهل بغداد ما دهمهم طاروا هلعاً وخوفاً وانهزمت عساكر الشاه وفتحوها بعد حصار اربعين يوماً ودخلها السلطان مع العساكر المظفرة وقتلوا من الاعاجم اكثر من عشرين الفاً واسروا رؤسائهم واهل شوكتهم وصرف السلطان رحمه الله همته الى ازالة ما كان احدثه الارفاض في مرقد الامام الاعظم ومرقد الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما وامر بتجديد عمارتهما واتقان واحكام امرهما تعظيما لهما وبنى ما كان تهدم من سور القلعة وشحنها بالعساكر ثم رجع الى دار الخلافة والسعادة باليمن والنصر والسيادة

كان قبل ذلك قد عصى وتجبر وبغى على الدولة العلية الامير فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزي امير جبل لبنان (وهو من طائفة وعائلة كلهم كانوا امراء تلك النواحي وليسوا من ذرية معن بن زائدة المشهور لأن هؤلاء من اصل الدروز) وجمع جموعاً كثيرة وتعدى حدوده فاستولى على بلاد كثيرة منها

(صيدا) و (بيروت) و (صفد) و (الشقيف) وخرج عن طاعة السلطان فلما بلغ خبره السلطان مراد خان صدر امره بمحاربته وردعه عن الظلم والفساد فتوجه والي دمشق بعساكره فقاتلوه وانهزم جمعه واسروه هو وولده وارسله الوالي الى مقر الخلافة مع ولده فعامله السلطان بالاكرام بعد ان عاتبه ثم قام احد احفاد فخر الدين ثار ثانياً فنهب بعض مدائن الشام فامسكوه وقتلوه وقتل السلطان فخر الدين وولده وحينئذ انقرضت سطوة بني معن من ذلك الحين سنة (١٠٣٧) وانتقلت حكومة جبل لبنان من بعدهم الى عائلة بني شهاب ، كانوا مسلمين سنية ومنهم الامير بشير الكبير المشهور الذى ساعد العساكر المصرية لاخذ بلاد الشام وقد تنصر ومات على نصرانيته في الاستانة العلية

كان السلطان رحمه الله تعالى يمنع من شرب الدخان المعروف بالتوتون و يبطل القهوات في جميع الممالك الاسلامية وكان ظهور التوتون آخر القرن العاشر سنة (٩٩٩) . ومن مآثر السلطان رحمه الله تعالى تجديد باب الكعبة المعظمة وفرش الحرم الشريف بالحصى وذلك سنة (١٠٤٥) توفي السلطان مراد خان الرابع تاسع عشر شوال سنة «١٠٤٩» ومدة خلافته وسلطنته ست عشرة سنة واحد عشر يوماً (رحمه الله تعالى)

بيانٌ

الدروز طائفة في جبل لبنان وحوران ينتسبون الى رجل يقال له (دروز) بفتح الدال المهملة وضم الراء آخره زاي اصله من بلاد المشرق من الباطنية القرامطة· اتبعه جماعة منهم حمزة ومحمد بن اسماعيل ولما انهزمت القرامطة فروا الى مصر وبها الحاكم بامر الله وكان هذا يعتقد بالحلول وتناسخ الارواح حتى غلا وادعى حلول الاله فيه فوافقوه وحسنوا اعتقاده الخبيث ووافقهم جماعة من جهلة اهل مصر والف بعضهم للحاكم كتاباً سماه (رسالة الحاكم بامره) يقولون فيه ان الاله حل في عليّ وانتقل الحلول الى اولاده واحداً بعد واحد حتى انتقل الى الحاكم فاجتمع عليهم جماعة كثيرون من غلاة الاسماعيلية فثار عليهم عوام المصريين وقاتلوهم وفرقوا جمعهم فهرب دروز وبعض من جماعته واختفوا عند الحاكم بامر الله فاعطاه مالا عظيما وقال لدروز اخرج الى اراضي الشام بجماعتك وانشر الدعوة هناك وفرق هذا المال على من اجاب الدعوة فخرج دروز وحمزة ومحمد بن اسماعيل ومن بقي منهم ونزلوا بوادي التيم غربي دمشق (وهي حاصبيا وراشيا) فقرأوا ذلك الكتاب على جهلة تلك الناحية واستمالهم دروز الى محبة الحاكم واعطاهم الاموال وقرر في عقولهم تناسخ الارواح وان العالم

لا يزيد ولا ينقص واباح لهم الخمر والزنا والمحرمات واختصروا
من القرآن سورا ليس فيها احكام وقالوا ان شريعة محمد بن عبد
الله قد نسخها محمد بن اسماعيل ومن طالع كتبهم عرف حقيقة
معتقدهم واحوالهم ، واني طالعت رسالة من رسائلهم عثرت فيها
على ما يندى له جبين المدنية في هذا العصر ويحمر له وجه
الانسانية وتتبرأ منه الاديان الوثنية فضلا عن الكتابية ويتنصل
منه العقل السليم تنصل الصحيح من السقيم تراهم لا يزالون
يقولون فيها ان الالهية لا تزال تنتقل وتظهر في شخص بعد
شخص كما ظهرت في عليّ وشمعون ويوسف وانها ظهرت الآن
في الحاكم وان كل دور يظهر فيه الاله ويقولون هو الآن ظاهر
في مشايخهم الذين يسمونهم العقال وشيوخ العقل ويجحدون
الصلاة وصوم رمضان والحج ويسمون الصلوات الخمس باسماء
المؤسسين لهذا المذهب من القرامطة ويجعلون ايام رمضان اسماء
ثلاثين رجلا من رؤسائهم ولياليه اسماء ثلاثين امرأة وينكرون
قيام الساعة يقولون العالم ارواح تدفع وارض تبلع وبالجملة فمعتقدهم
ضلال كله . عافانا الله من ذلك

«١٨» السلطان ابراهيم خان الاول ابن السلطان احمد
خان الاول ابن السلطان مراد خان الثالث

جلس على تخت الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية سنة (١٠٤٩) . كان ملكا جليلا مهيباً حسن المنظر سمح الكف كان زمانه انضر الازمان وعصره احسن العصور طاعته جميع الممالك والرعايا وسكنت الفتن في زمانه واعتدل به الزمان . ما جهز جيشاً الى ناحية الا انتصر

افتتح حروبه بارسال جيش كثيف الى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الذين احتلوا مدينة ازاق فحاربتهم عساكر العثمانيين وابلوا فيهم بلاء حسناً واستردوا المدينة منهم بعد ان احرقوها

ومن فتوحاته العظيمة فتح جزيرة (اقريطش) وهي جزيرة كريد من اعظم الجزائر وهي في الاصل كانت لملوك البندقية تشتمل هذه الجزيرة على بلاد ورساتيق وفيها اربع وعشرون الف قرية ودورها ثلثمائة وخمسين ميلا او مسيرة خمسة عشر يوماً . كان فتحها سنة (١٠٥٥) . توفي رحمه الله تعالى سنة «١٠٥٨» ومدة خلافته وسلطنته ثمان سنين وتسعة اشهر .

«١٩» السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان سليم خان

جلس على سرير الملك والخلافة الاسلامية سنة «١٠٥٨»

كان حديث السن في اول ايامه كثرت الفتن والفوضى من الجنود و كثرت تعديات الانكشارية «اليكيچرية» على الاهالي حتى سخر الله تعالى محمد باشا كوپريلي فاتقن الامور والسياسة ورد الانكشارية عن تعدياتهم وخلفه ولده احمد باشا كوپريلي زاده فكان خير خلف لخير سلف متصفا بالشجاعة والاقدام وحسن الرأي والتدبير فجهز الجيوش وقادها بنفسه سنة «١٠٧٤» وعبر نهر الطونه بالعساكر لمحاربة النمسا ووضع الحصار امام قلعة «توهزل» بلدة مشهورة قوية الحصون متينة جدا فحاصرتها الجنود العثمانية مدة حتى الجأوا اهلها الى الخروج فخرجوا منها واستلمتها العساكر العثمانية ثم اجتمعت جيوش كثيرة من اوروبا فتوجه بعساكره واجتاز النهر وهو نهر رأب وحاصر (سرنوار) والتحم القتال وتعددت المناوشات الحربية فكانت الحرب سجالا حتى كانت العاقبة بان انتصر جند احمد باشا ثم رجع الى مقر السلطنة بالعساكر محفوفا بالنصر وسكنت الامور وحصل الامن والامان في مقر الخلافة وفي سائر البلاد . توفي السلطان محمد خان الرابع سنة «١٠٩٩» عن ثلاث وخمسين سنة من عمره ومدة سلطنته اربعون سنة وخمسة اشهر كانت في آخرها على احسن حال

«٢٠» السلطان سليمان خان الثاني ابن السلطان ابراهيم خان

جلس على سرير الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية سنة (١٠٩٩) فقام بها حق القيام وسكنت الاحوال والفتن وانتظم نظام العسكرية الانكشارية (اليكيچرية) واسترد البلدان التي تسلطت عليها الاعداء مثل مدائن (نيش) و (ودين) و (سمندرية) و (بلغراد) وعاد المجد والسؤدد للدولة العلية

توفي الى رحمة الله تعالى في رمضان سنة اثنين ومائة والف من غير عقب عن خمسين سنة من عمره ومدة سلطنته ثلاث سنين وثمانية اشهر.

«٢١» السلطان احمد خان الثاني ابن السلطان ابراهيم خان

جلس على سرير الخلافة والسلطنة العثمانية بعد اخيه سنة «١١٠٢» ولم يقع في ايامه من الفتوحات ما يذكر

توفي رحمه الله سنة (١١٠٦) عن اربع وخمسين سنة من عمره ومدة سلطنته اربع سنين وثمانية اشهر

«٢٢» السلطان مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد خان الرابع

جلس على سرير الخلافة والسلطنة سنة «١١٠٦» . كان

رحمه الله تعالى شجاعاً حازماً قوياً ثابت الجاش

بعد جلوسه على عرش الملك بثلاثة ايام باشر بتجهيز الجيوش والعساكر وخرج بنفسه لمحاربة بولونيا فحاربهم وانتصر على البولونيين عدة مرات ثم حارب الروس واضطرهم لرفع الحصار عن مدينة (ازاق) من بلاد القرم وهي مدينة حصينة ذات اهمية وموقع سياسي فتخلوا عنها ثم اخذها بعد ذلك بطرس الاكبر صاحب الوصية المشهورة للروس وهو الذي اسس بطرسبورج وجعلها عاصمة الروس توفي هذا الامبراطور سنة «١٧٢٥» ميلادية وخلفته زوجته كاترينه الاولى ·

توفي السلطان مصطفى خان الثاني ثاني ربيع الآخر سنة (١١١٥) عن اربعين سنة من عمره ومدة سلطنته ثمان سنين وثمانية اشهر

«٢٣» السلطان الغازي احمد خان الثالث ابن السلطان محمد خان الرابع

ولد سنة «١٠٨٣» جلس على سرير الخلافة والسلطنة سنة (١١١٥) بعد اخيه السلطان مصطفى خان الثاني وبعد جلوسه جهز جيوشا تقارب مائتي الف مقاتل بقيادة (بلطه جي محمد باشا) لمحاربة الروس وقامت الحرب على ساق وجرت فيها

وقائع حربية مهمة وحصر فيها الامبراطور بطرس الاكبر وزوجته كاترينا ثم ارتفعت الحرب على صلح مقرر بين الدولتين

في ايام المرحوم السلطان احمد خان الثالث تأسست دار الطباعة في الاستانة العلية بعد اقرار المفتي واصداره الفتوى بالطبع مشترطا عدم طبع القرآن الكريم خوفاً من التحريف وقد كانت المطابع وجدت في بلاد اوروباسنة (٨٥١).

توفي السلطان المرحوم احمد خان الثالث سنة «١١٤٩» ومدة خلافته اربع وثلاثون سنة

«٢٤» السلطان الغازى محمود خان الاول ابن السلطان مصطفى خان الثاني

ثم بعد استتباب الأمن استأنفت الدولة العلية الحرب مع مملكة العجم وخرجت الجيوش العثمانية وتغلبت على جيوش الشاه طهماسب الثاني في عدة وقائع فطلب الشاه الصلح وتم بين الدولتين الامر في الصلح في ١٢ رجب سنة «١١٤٤» على ان تترك مملكة العجم للدولة العلية كل ما فتحته ما عدا مدائن (تبريز) و (اردهان) و (همذان) وباقي اقليم (لورستان) وفي غضون ذلك قامت الحرب بين الدولة العلية والروسيا بسبب مملكة بولونيا واتفقت الروس مع النمسا فانتصرت عساكر الدولة العلية

على جيوش النمسا وقد كانت اغارت على بلاد البوسنة والصرب والفلاخ وفازت الدولة فوزاً عظيماً وتم الصلح بين الدول بما فيه مصالح الدولة وذلك كله بهمة وغيرة الوزير الاعظم والصدر الافخم الحاج محمد باشا الذي كان لا يغفل طرفة عين عن جمع الجيوش وتجهيز المعدات

وفي يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من صفر الخير سنة «١١٦٨» توفي السلطان محمود الاول بالغاً من العمر ستين سنة مأسوفاً عليه من جميع العثمانيين لاتصافه بالعدل والحلم والمساواة بين جميع رعاياه بدون نظر لفئة دون أُخرى وكانت مدة خلافته وسلطنته خمساً وعشرين سنة وفي ايامه السعيدة اتسع نطاق الدولة بآسيا واوربا ومن آثاره الحسنة تأسيس اربع كتبخانات الحقها بجوامع اياصوفية ومحمد الفاتح والوالدة وغلطة سراى

«٢٥» السلطان الغازي عثمان خان الثالث ابن السلطان مصطفى خان الثاني

وُلد سنة «١١١٠» وجلس على سرير الخلافة بعد وفاة اخيه سنة «١١٦٨»

تقلد السيف في جامع ابي ايوب الانصاري الصحابي على حسب العادة القديمة وابقى كبار الموظفين في وظائفهم

وضبط الامور والاحوال ، كان يدور ليلاً في الشوارع والازقة متنكرًا لتفقد احوال الرعية والوقوف على احوالها ، ثم توفي رحمه الله تعالى في(١٦)صفر سنة (١١٧١)بدون ان يحصل في ايامه قلاقل تستحق الذكر ومدة سلطنته ثلاث سنين واحد عشر شهرا وعمره ستون سنة

«٣٦» السلطان الغازي مصطفى خان الثالث ابن السلطان احمد الثالث

وُلد سنة (١١٣٩) وجلس على سرير الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية سنة (١١٧١) . كان عاقلا ذا رأي حسن وتدبير محبا للاصلاح وتقدم البلاد وراحة الرعايا والعباد وكان وزيره الاعظم راغب باشا صاحب السفينة فاخذ هذا الوزير العالي الشان العالم المتفنن في اصلاح الشئون بمساعدة السلطان وتعضيده له فأسس مستشفيات للحجر على الواردات الخارجية اذا كان الوباء منتشرا في الخارج لعدم تعديها الى الممالك المحروسة وانشأ مكتبة عمومية على نفقته وسهل الطرق لتسهيل المواصلات الى الممالك العثمانية لجلب الارزاق والتجارة بسهولة وامان وتوفي ذلك الوزير رحمه الله تعالى في(١٤)رمضان سنة (١١٧٦)

وبعد موته انتشبت الحرب بين الدولة العلية والروسيا وفي

ذلك الحين كان علي بك الملقب بشيخ البلد الذى استقل بشئون مصر تخابر مع قائد الاسطول الروسي بالبحر الابيض ليمده بالذخائر والاسلحة حتى يتم استقلاله بمصر فساعده القائد الروسى فتمكن علي بك من فتح مدائن (غزة) و (نابلس) و (اورشليم) و (يافا) و (دمشق) واستعد للسير الى حدود بلاد الاناطولي لكن ثار عليه احد المماليك بمصر وهو محمد بك الشهير بابي الذهب فعاد علي بك الى مصر لمحاربته فانهزم والتجأ الى الشيخ ظاهر الذي كان عاملا على مدينة (عكا) من قبل الدولة العلية فاتحد معه على محاربة العثمانيين بالاتحاد مع القائد الروسي واطلقت السفن الروسية قنابلها على مدينة (بيروت) فاخربت منها نحو ثلثمائة بيت وبعد ذلك عاد علي بك الى مصر في المحرم سنة (١١٨٧) لمحاربة محمد بك ابي الذهب وانضم الى جيوشه اربعمائة عسكرى روسي فقابلهم ابو الذهب عند الصالحية بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسر علي بك واربعة من ضباط الروس بعد ان قتل كل من كان معهم ثم قطع رأس على بك مع الاربعة ضباط الروسيين وارسلهم الى الوالي العثماني خليل باشا وهو ارسلهم الى قسطنطينية

توفي السلطان مصطفى الثالث في (٨) ذى القعدة سنة

(١١٨٧) ومدة سلطنته ست عشرة سنة وثمانية اشهر

كان رحمه الله عادلا محباً للخير وله عدة ماثر خيرية كالمدارس والتكايا وانشأ في اسكدار جامعاً على قبر والدته ووقف عليه اوقافا كثيرة واصلح جامع السلطان محمد الفاتح (رحمه الله تعالى).

«٢٧» السلطان عبد الحميد خان الاول ابن السلطان احمد خان الثالث

وُلد سنة (١١٣٧) وفي اليوم الثالث من جلوسه على سرير الخلافة والسلطنة تقلد السيف في جامع ابي ايوب الانصاري. ثم بلغ الدولة العلية ان الروس يستعدون لتجهيز عساكر بقرب الحدود العثمانية فجهزت الدولة العلية جيوشا والتقى الجمعان بمدينة (شوملا) وحصلت محاربات ومناوشات انجلى الامر على اجراء صلح بين الدولة العلية والدولة الروسية على شروط معلومة وبعد ذلك اخذت الدولة العلية في اصلاح الشئون الداخلية فاستعانت بمحمد بك ابي الذهب على الشيخ ظاهر عمر فاتى لمحاصرته بمدينة عكا من جهة البر وحاصرها حسن باشا من جهة البحر وضايق عليه حتى فرّ هارباً فقصد جبال «صفد» فقتل وتخلصت الدولة والعباد من شره و كذلك قتل ابو الذهب اثناء محاصرته عكا

وبهذا الوقت استولت الروسية على بلاد القرم استيلاءً تاماً وتوفي السلطان عبد الحميد خان الاول في ١٢ رجب الفرد سنة (١٢٠٣) عن ست وستين سنة من عمره ومدة سلطنته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر

«٢٨» السلطان سليم خان الثالث ابن السلطان مصطفى خان الثالث

وُلد سنة (١١٧٥) وتولى السلطنة والخلافة الاسلامية سنة (١٢٠٣) ثم اخذت الدولة العلية في اصلاح داخليتها خصوصاً العسكرية والبحرية وبذلوا الجهد في مطاردة قراصين البحر لتسهيل سبيل التجارة واصلاح الثغور والقلاع الحصينة لحمايتها وانشاء عدة مراكب حربية واستحضروا عدداً عظيماً من مهرة المهندسين من السويد وفرنسا لصب المدافع في معامل الطوبخانة العامرة . ثم وضعوا نظاماً خاصاً للجنود المشاة وترتيب فرق جديدة وتدريبها على النظام الجديد فانشأ اول فرقة منتظمة من الف وستمائة نفر تحت قيادة ضابط انكليزي دخل في الدين الاسلامي وسمي (انكليز مصطفى) وكان القصد من ترتيب العساكر النظامية الاستغناء بهم عن العساكر الانكشارية الذين صاروا عالة على الدولة حتى اعتادوا على الاهالي في الاستانة العلية وفي

الممالك العثمانية بالسلب والنهب والقتل وغير ذلك فضلا عن عصيانهم المرة بعد المرة وفي هذه الاثناء استبد المماليك بمصر برياسة الامراء المصرية واشهرهم مراد بك وابراهيم بك وعثمان بك البرديسي وعلي بك وغيرهم

في سنة (١٢١٣) امرت الجمهورية الفرنساوية بونابرت القائد الشهير بالمسير الى مصر لفتحها بدون مخابرة الباب العالي واوصته بكتمان هذا الامر حتى لا تعلم به انكلترا فجهز في مدينة طولون جيشاً مؤلفاً من ستة وثلاثين الفاً من المقاتلة المدربين في الحروب وعشرة الاف من العساكر البحرية مع اسطول مركب من ثلاثين سفينة حربية واثنين وسبعين قراويت واربعمائة مركب لحمل الذخائر واضاف معه الى جيشه مائة واثنين وعشرين عالما على اختلاف العلوم والمعارف فخرج من طولون حتى وصل جزيرة مالطه ومنها الى مدينة اسكندرية في «١٧» محرم سنة «١٢١٣» وانزل عساكره على بعد اربعة فراسخ منها ودخل بعساكره الاسكندرية عنوة وسار قاصدا القاهرة عن طريق الصحراء فقابله مراد بك بشرذمة من المماليك عند مدينة (شبراخيت) فهزمه بونابرت وواصل السير حتى وصل مدينة (انبابه) مقابل القاهرة وحصلت بينه وبين ابراهيم بك ومراد بك من امراء المماليك

(واقعة الاهرام) ودخل بونابرت مدينة القاهرة بعد ان اعلن بها انه لم يأتِ لفتح مصر بل انه حليف الباب العالي اتى لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين لامر السلطان ثم صار القطر المصري من البحر الابيض الى اقاصي الصعيد في قبضته غير انه لم يلبث ان جاءه خبر واقعة (ابي قير) وتدمير وتحريق السفن الفرنساوية بواسطة (تلسن) امير البحر الانكليزي وحفظ الانكليز البحر الابيض وقطعوا المواصلات بينه وبين فرانسا

ولما علمت الدولة العلية باحتلال الفرنساويين القطر المصري اخذت في الاستعداد لمحاربتهم واتفق الباب العالي مع انكلترا والروسيا على محاربة فرانسا · فلما شعر بونابرت توجه قاصدا بلاد الشام وقام من مصر ومعه ثلاثة عشر الف مقاتل من طريق العريش ودخل مدينة غزة والرملة ويافا ثم قصد عكا فحاصرها مدة من جهة البر فلم يتمكن من فتحها لوصول المدد اليها من جهة البحر واستيلاء الاميرال الانكليزي ولتيقظ احمد باشا الجزار قائد حاميتها ثم بلغه تجهيز جيش عثماني من دمشق لانجاد مدينة عكا من جهة البر فعاد بمن بقي من جيوشه الى القاهرة ولم يظفر من بلاد الشام بشيء ولما تحقق بونابرت اتفاق الدولة العلية وانكلترا على محاربة فرنسا خرج من مصر بمن بقي معه وسافر الى بلاده على

مراكب الانكليز بعد ان حصلت موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين وبذلك انتهت الحرب ورجعت البلاد الى حاكمها الشرعي ومالكها الاصلي صاحب الخلافة العظمى وسكنت الاحوال وذلك في ٢٢ ربيع الاخر سنة (١٢١٦)

ولما دخل الفرنساويون مصر اتى محمد علي باشا مع الجنود لمحاربتهم واصله من مدينة «قوله» من بلاد مكدونيه · ولد سنة «١١٨٢» وتوفي والده وهو صغير فرباه عم له حتى بلغ اشده وزوجه ابنته ثم اشتغل بتجارة الدخان وربح منها كثيرا ولما كان مع العساكر العثمانية عينه خسرو باشا الذي عين واليا لمصر بعد خروج الفرنساويين قائد فرقة تبلغ اربعة الآف فاخذ محمد علي باشا في استمالة الجند · ثم مازال يتعاطى الاسباب لاستقلاله بولاية مصر بعد عزل خسرو باشا مع كثرة الفتن واختلاف الجنود واحوال الانكشارية وضعف قوة المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر الى ان انتخب الاهالي باتفاق وجوه وعلماء مصر بان يكون محمد علي باشا واليا على مصر وكتبوا الى الباب العالي يستدعون ذلك فاصدر السلطان فرمانا بتولية محمد علي باشا على مصر في ١٠ ربيع الثاني سنة (١٢٢٠) فصفا له الوقت ولم يبق له فيها منازع فاشتغل بتحسين البلاد واصلاح العباد

وفي سنة (١٢١٩) كان توفي احمد باشا الجزار والي ايالة صيدا المقيم بمدينة عكا

اصله من بلاد (البشناق) حضر الى بلاد مصر فاستخدم عند علي بك احد المماليك المتغلبين وكان ضابطاً في عسكره . كان سفاكا للدماء شجاعاً بطلاً وقاتل اعداء علي بك وحينئذٍ لقب بالجزار ثم حضر الى البلاد الشامية وصار محافظاً لبيروت وفي اثناء ذلك حضر الاسطول الروسي الى سواحل بلاد الشام وذلك بطلب الشيخ ظاهر عمر وحكومة جبل لبنان وقتئذٍ فحاصر الاسطول بيروت وبهمة احمد باشا الجزار حفظت بيروت من التعدي ورجع الاسطول خائباً .

ثم بنى سور بيروت ومنع تسلط حكومة لبنان عنها وكان قد حضر من الاستانة وقتئذٍ حسن باشا الجزائرلي باسطول عثماني فلما مات الظاهر عمر حاكم عكا انهى حسن باشا المشار اليه بالوزارة الى احمد باشا الجزار وعينه والياً لأيالة صيدا وذلك سنة « ١١٨٩ » . ومن مآثره حفظ البلاد الشامية من الفرنساويين كما تقدم .

وفي ٢١ ربيع الاخر (١٢٢٣) توفي السلطان سليم خان الثالث عن ثمانية واربعين سنة من عمره وكانت مدة سلطنته تسع عشرة

سنة « رحمه الله تعالى »

« ٢٩ » السلطان مصطفى خان الرابع ابن السلطان عبد الحميد خان الاول

ولد سنة (١١٩٢) وجلس على سرير الخلافة والملك سنة (١٢٢٣) فاهمل مشروع تنظيم العساكر على الطرز الجديد فعاد الانكشارية الى قدورهم آمنين على مناصبهم وبذلك نشأ الخلاف وانتشرت الفتن بين الرؤساء حتى آل الامر الى ان تولى السلطان محمود خان فكانت مدة سلطنة السلطان مصطفى خان الرابع نحو ثلاثة اشهر واقيم بعده :

« ٣٠ » السلطان الغازي محمود خان الثاني ابن السلطان عبد الحميد خان الاول

جلس على سرير الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية سنة (١٢٢٣) .

كان رحمه الله ملكا شجاعا بطلا مهيبا شديد القوة دينا فسكنت الامور في الاستانة العلية وهدأت فتنة الانكشارية وكانت افكاره منصرفة الى اكمال تنظيم العساكر المنظمة على الطرز الجديد والغاء العساكر الانكشارية وهذا من اهم شيء . ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهابية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة

والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق

وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب وهو رجل ولد في «الدرعية» بارض العرب من بلاد الحجاز طلب اولا العلم على مذهب ابي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان واخذ عن علمائها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (١١٧٠) ثم ادته ألمعيته الى الاجتهاد فانشأ مذهباً مستقلا وقرره لتلامذته وشاع امره في «نجد» و «الاحساء» و «القطيف» و«عمان» و«بني عتبة» من ارض «اليمن» ولم يزل امرهم شائعاً ومذهبهم متزائدا وجماعتهم تكثر الى ان صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وردع هذه الطائفة خوفاً من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطفأ سراجهم وبدد شملهم واخفى ذكرهم وقد توفي زعيمهم سعود سنة (١٢٢٩) فساد الامن في طريق الحج واتى الناس افواجاً لتادية فريضة الحج وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد ان لم يكن احد يتمكن من اداء هذه الفريضة

وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم ومعتقداتهم :

اعلموا رحمكم الله ان الحنيفية ملة ابراهيم ان نعبد الله مخلصاً له
الدين وبذلك امر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا عرفت ان الله تعالى خلق
العباد للعبادة فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما
ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك في
العبادة فسدت كالحدث اذا دخل في الطهارة كما قال تعالى : (ما
كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على نفسهم بالكفر
اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون) . فمن دعا غير الله
طالباً منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير او دفع ضر فقد
اشرك في العبادة كما قال تعالى: (ومن اضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا
حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى
(والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم
ولا ينبئك مثل خبير) فاخبر تبارك وتعالى ان دعاء غير الله شرك،
فمن قال يا رسول الله او يا ابن عباس او يا عبد القادر زاعماً انه
باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذي
يهدر دمه وما له الا ان يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون

بغير الله او الذي يتوكل على غير الله او يرجو غير الله او يخاف وقوع الشر من غير الله او يلتجي الى غير الله او يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو ايضاً مشرك وما ذكرنا من انواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وامرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك اي التشنيع عليهم بمعرفة اربع قواعد ذكرها الله في كتابه ·

اولها : ان تعلم ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون ان الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدبر لجميع الامور والدليل على ذلك قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والارض امّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ومن يدبر الامر فسيقولون الله قل افلا تتقون » وقوله تعالى : « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله فقل افلا تذكرون · قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون · قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون » · اذا عرفت هذه القاعدة واشكل عليك الامر فاعلم انهم بهذا اقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فاشركوا

القاعدة الثانية

انهم يقولون ما نرجوهم الا لطلب الشفاعة عند الله نريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون). وقال الله تعالى: « والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار». واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:

القاعدة الثالثة

وهي ان منهم من طلب الشفاعة من الاصنام ومنهم من تبرأ من الاصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وامه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى: « اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا » ورسول الله لم يفرق بين من عبد الاصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله. واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:

القاعدة الرابعة

وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون والدليل عليه قوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) واهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله . فاذا عرفت هذا فاعرف : ان المشركين في زمان النبي اخف شركا من عقلاء مشركي زماننا لان اولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد والرخاء والله اعلم بالصواب . اه

وهذه الرسالة والقواعد التى اسسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لان هذا هو الدين الذي جاء به النبي والانبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين . لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسئلة واتبعه قومه من بعده فافرطوا وفرطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تنقيص وتحقير ما عظمه الله وامرنا بتعظيمه ومحبته وتوقيره وقاسوا المسلمين المخلصين في التوحيد بالمشركين حتى قاتلوا المسلمين في افضل البقاع واستحلوا دماءهم واموالهم كما وان اكثر العوام من جهلة الاسلام قد تغالوا وافرطوا وابتدعوا بدعا تخالف المشروع من الدين القويم فصاروا يعتمدون على الاولياء الاحياء منهم والاموات معتقدين ان لهم التصرف

وبأيديهم النفع والضر ويخاطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم وخروج عن الصراط المستقيم وقد ورد في الحديث المرفوع: (دين الله تعالى بين المغالي والمقصر).

وهنا شيء لا بد لك من معرفته وهو ان الحب لله وفي الله والحب مع الله بينهما فرق من اهم الفروق ومنه تعلم جهل وخطأ الوهابية وشيخهم فان الحب لله وفي الله هو من كمال الايمان في الله والحب مع الله هو الشرك المنهي عنه وقاتلهم عليه النبي صلوات الله وسلامه عليه. والفرق بينهما ان الحب في الله ولله تابع لما يحبه الله كحب الرسل والملائكة والاولياء والعلماء والكعبة والمدينة وبيت المقدس لان الله يحبهم ويحب من يحبهم ويعظمهم. والحب مع الله على نوعين نوع يقدح في اصل التوحيد وهو شرك كعبدة الاوثان والاصنام والانداد من المشركين لانهم عظموا واحبوا مع الله ما يبغضه الله. والنوع الثاني يقدح في كمال الاخلاص والتوحيد ومحبة الله ولا يخرجه عن الاسلام كمحبة ما زينه الله للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسوّمة والانعام والحرث فان محبتها طبيعية ومحبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء فان احبها لله ليتوصل بها اليه واستعانة على مرضاته وطاعته كانت من قسم الحب لله وفي الحديث:

«حبب الي من دنيا كم النساء والطيب» وان احبها لموافقة طبعه وشهوته وهواه كانت من المباحات لكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه وان كان حبه لها مراده ومقصوده وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالما لنفسه متبعاً لهواه فالاول محبة السابقين والثانية محبة المقتصدين والثالثة محبة الظالمين فتأمل ذلك وما فيه. فانه معترك النفس الامارة والمطمئنة والله تعالى يوفقنا واياك والسلام.

ثم نعود الى المقصود ففي سنة «١٢٣٧» تحركت (المورة) واظهرت العصيان وحصلت الثورة من اليونان بطلب الاستقلال بمساعدة بعض دول اوروبا وخرجت من اليونان قرصان من مراكبها يقطعون طريق المارين في البحر الابيض واتت مراكب من اليونان الى مدينة بيروت لاجل السلب والنهب منها والقوا القنابل على المدينة فلم ينجحوا ورجعوا خائبين وذلك سنة «١٢٤٠»

فارسلت الدولة العلية الى المورة بعض عساكرها ولم تكن منظمة لاجل استتباب الراحة فيها ورجوع اليونان عن العصيان الى الطاعة فلم يحصل المقصود. ثم في سنة «١٢٣٩» صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا والي مصر ان يرسل من عساكره المنظمة الى المورة فامتثل الامر وارسل سبعة عشر الفاً من

العساكر المصريين المنظمة بقيادة ولده ابراهيم باشا ففتح المدن فيها ومهد الامور فاظهر اليونان الطاعة ثم تداخلت بعض الدول وساعدت اليونان على الاستقلال وتم الامر والصلح بينهم وبين الباب العالي سنة (١٢٤٤) . ثم تبلغ ابراهيم باشا هذا الصلح الذي قد تمّ وامره والده محمد علي باشا بالرجوع مع العساكر من موره الى مصر

ولما ظهر للسلطان محمود خان افضلية العساكر المنظمة بسلك العسكرية زاد تعلقه وهمته باصلاح عسكرية الدولة العلية واراد اتمام المشروع الذي لم يمكن للسلطان سليم خان الثالث اقامه فجمع جميع ذوات واعيان المملكة وكبار ضباط الانكشارية في بيت مفتي التخت العثماني سنة (١٢٤١) فخطب فيهم الصدر الاعظم سليم محمد باشا مظهرا ما وصلت اليه حالة الانكشارية من الانحطاط وعدم الانقياد حتى صارت من اكبر دواعي تاخر الدولة العلية بازاء تقدم الدول بعد ان كانت هذه الفئة من اكبر اسباب تقدم الدولة العلية وامتداد فتوحاتها ثم اظهر لهم ضرورة تنظيم العساكر المنظمة فاستحسن الحاضرون اصلاح العسكرية وقرروا هذا المبدأ الحسن وختمه الحاضرون حتى ضباط الانكشارية وافتى المفتي بجواز العمل به شرعاً ومعاقبة من يعارض ولما تحقق

الانكشارية هذا الامر وتبينوا عواقبه وانه قضاء مبرم على ضياع كافة امتيازاتهم اخذوا يستعدون للثورة والعصيان كما كانوا يفعلون قبل واستمالوا بعض الرعاع الذين كانوا يتبعونهم طمعاً في النهب والسلب

فلما كان اليوم الثامن من ذي القعدة سنة (١٢٤١) تعرض بعضهم للجند وقت التمرين فاصدر السلطان امره بمعاقبة كل متعرض لهم بالقتل وحضر السلطان على الفور الى سرايته وجمع العلماء واخبرهم بما ينويه الانكشارية فاستقبحوا عملهم وشجعوه على المقاومة فاستدعى الايات الطوبجية التي تنظمت واستعد لقتال الثائرين واخرج السلطان العلم النبوي الشريف وسار بجنود الطوبجية الى ساحه «آت ميداني» حيث كان الثائرون مجتمعين وتبعه كثير من العلماء وطلبة العلم وسلطت الطوبجية مدافعها على الانكشارية من كل صوب فهربوا الى اماكنهم طالبين النجاة فهدمت المدافع محلاتهم وشعلت فيها النيران حتى دمرتها وانتهت هذه الفتنة على احسن حال

وفي اليوم الثاني صدر فرمان سلطاني باستئصال هذه الفئة بالكلية وابطال ملابسها واصطلاحاتها ومحو اسمها من جميع الممالك المحروسة ونودي بذلك في الشوارع وصدرت الاوامر الى

جميع الولايات بالتفتيش على كل من بقي منهم واعدامه حتى لا تبقى منهم باقية ثم اخذ السلطان في ترتيب وتنظيم الجيوش بهمة عالية وعين الوزير حسين باشا قائدا عاما برسم «سرعسكر» وفي ختام السنة بلغت العساكر المنظمة مائة وعشرين الفاً

وفي هذه الاثناء اعلنت الروسية الحرب وسارت بجيوشها على الحدود واجتازت نهر (بروث) الفاصل بين املاك الدولتين واحتلت مدينة (ياش) عاصمة البغدان وفي سنة «١٢٤٣» دخلت مدينة (بوخارست) عاصمة الافلاق ثم حاصروا مدينة وارنه براً وبحراً واتى قيصر الروس (نقولا) بذاته لمراقبة الحصار ثم سار لمحاصرة السرعسكر حسين باشا في مدينة (شومله) ومن جهة اسيا احتل الروس قلاعا وحصونا اهمها قلعة «قارص» حتى تم الصلح بتوسط مملكة بروسيا على شروط معلومة سنة «١٢٤٥»

وفي هذه السنة اظهرت فرانسا ما كانت ترمي اليه من الاستيلاء على الجزائر ولم تزل تترقب الوسائل والاسباب حتى اختلقت دعوى منع تعدي قرصان البحر على مراكبها التجارية وفي الحقيقة لم تختلق هذه الوسيلة الا ليكون لها مركز حربي بشمال افريقيا فارسلت فرانسا جيشاً مؤلفاً من نحو سبعة وعشرين الفاً وعمارة بحرية مؤلفة من مائة سفينة وبعد

المحاربة بين الفريقين احتل الفرنساويون القلعة الواقعة امام الجزائر ودخلت الجيوش الفرنساوية الجزائر وبعد ذلك اخذت ترسل الجيوش الى داخلية الجزائر وما زالوا يقاومونها تحت امرة الوطني الشهير السيد الامير عبد القادر الحسني الجزائري الذي دافع عن البلاد مدة سبع عشرة سنة ثم سلم نفسه في «٢٤» رجب سنة «١٢٦٣» ·

لما اكثر محمد علي باشا الطلبات والضرائب على المصريين لاجل الاصلاحات الداخلية هاجر بعض الاهالي منها والتجأوا الى عبد الله باشا والي ايالة صيدا المقيم بعكاء ولما طلبهم منه محمد علي باشا خوفاً من كثرة المهاجرة من بلاد مصر امتنع عبد الله باشا من ارسالهم بدعوى ان الاقليمين تابعان لسلطان واحد فلذلك امر محمد علي باشا سنة «١٢٤٧» بتجهيز الجيوش والتأهب السفر لفتح بلاد الشام فتوجهوا عن طريق العريش وعن طريق البحر في آن واحد لمحاصرة عكا من الجهتين وعين ولده ابراهيم باشا قائدا عاماً للجيوش وسليمان بيك الفرنساوي قائمقاماً له فاستولت العساكر البرية في طريقها على «غزة» و«يافا» و«نابلس» و«بيت المقدس» وجعل (حيفا) مقراً لاعماله ومركزاً للاركان الحربية وحاصر عكا براً وبحراً · فلما بلغ الباب العالي دخول الجيوش المصرية الى

بلاد الشام اعتبروا ذلك عصياناً من محمد علي باشا فصدر الامر
الى والى حلب عثمان باشا بالمسير لمحاربة المصريين فجمع هذا الوالى نحو
عشرين الفاً فتوجه ابراهيم باشا مع فرقة من العساكر لملاقاته فالتقي
الجمعان بالقرب من مدينة حمص فانتصر المصريون ثم عاد ابراهيم
باشا الى عكا وشدد الحصار ودخلها عنوة سنة «١٢٤٧»
واخذ عبد الله باشا سبب هذا الحرب وارسله الى والده في مصر.
وبوصول خبر سقوط عكا امر السلطان محمود خان بتجهيز
العساكر فجمع نحو ستين الفاً وعين حسين باشا فسار الى جهة
بلاد الشام بكل تأنٍ وبطء حتى امكن ابراهيم باشا الاستعداد
لملاقاته فتغلب حتى دخل مدينة حلب الشهباء وتقهقر
حسين باشا وتحصن في جبال طوروس الفاصلة بين الشام والاناطول
عند بيلان. ثم جمع السلطان جيشاً اخر برئاسة رشيد باشا
وارسله الى بلاد الاناطول لمنع هجمات ابراهيم باشا عن القسطنطينية
واحتل ابراهيم باشا اطنه وماوراءها الى مدينة قونيه. فالتقى بالقرب
من هذه المدينة برشيد باشا فانتصر عليه. فساد القلق في الاستانة
العلية وخيف من تقدم ابراهيم باشا بجيوشه

ولما تواترت اخبار المصريين خشيت الدول الاوروباوية من عاقبة
هذا الامر وكانت الروسية اشد قلقاً. فعرضت على الدولة العلية

مساعدتها وبعد مخابرات ومداولات اتفقوا على ان يخلي المصريون اقليم الاناطول ويرجع الى ما وراء جبال طوروس ويعطي لمحمد علي باشا ولاية مصر مدة حياته ويعين والياً على ولايات الشام الاربع (عكا) و (طرابلس) و (حلب) و (دمشق) وعلى جزيرة كريد وان يعين ولده ابراهيم باشا على اطنه وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة كوتاهية نسبة للمدينة التي كان بها ابراهيم باشا عند اتمامها . ثم عين الباب العالي حافظ باشا سرعسكر الجيوش ليتقدم بسرعة الى ولايات الشام فذهب وعبر نهر الفرات عند مدينة (بلاچيق) بالقرب من نصيبين المعروفة باسم نزيب في (١١) ربيع الثاني سنة (١٢٥٥) فالتقى الجمعان وفاز المصريون ورجع الجيش العثماني تاركا المدافع وعشرين الف بندقية وغيرها ولم يصل خبر هذه الواقعة الى حضرة السلطان محمود خان الثاني . فانه توفي وقتئذٍ رحمه الله تعالى وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء والهناء فجأةً في (١٩) ربيع الثاني سنة (١٢٥٥) عن خمس وخمسين سنة من عمره ومدة خلافته احدى وثلاثون سنة وعشرة اشهر

«٣١» السلطان الغازى عبد المجيد خان ابن السلطان الغازي محمود خان الثاني

وُلد سنة (١٢٣٧) وجلس على كرسي السلطنة العثمانية والخلافة الاسلامية سنة (١٢٥٥) وسنه نحو سبعة عشرة سنة فقام بالسلطنة وشأن الخلافة حق القيام بالجد والاجتهاد مع وجود الفتن والارتباكات الحاصلة من محمد على باشا وغيره ومما زاد هذه الارتباكات ان احمد باشا القبطان العام للاسطول العثماني خرج بجميع المراكب الحربية واتى بها الى الاسكندرية وسلمها الى محمد علي باشا في (٢) جمادى الاولى سنة (١٢٥٥) فحينئذ وردت لائحة من وكلاء الدول في الاستانة العلية ممضاة من سفراء فرنسا وانكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا يصرحون بالاشتراك مع الدولة العلية في المذاكرة بشأن مسئلة محمد على باشا والتوسط بهذه المسئلة المهمة فاجتمعت السفراء وحصلت المذاكرات والقيل والقال بهذا الشأن وكل من السفراء يريد مصالح دولته فتشتتت الاراء واختلفت السفراء ولم يتم شيء في هذه المسئلة ثم وردت الاوامر الى الاسطول الانكليزي والنمساوي بالتوجه لمحاصرة سواحل الشام فحضر الاسطول الى بيروت واعلن الاميرال للعساكر المصرية باخلاء بيروت وعكا في اقرب وقت فطلب سليمان باشا قائمقام ابراهيم باشا مدة اربع

وعشرين ساعة ليتداول مع ابراهيم باشا فلم يقبل طلبه الاميرال الانكليزي وابتدأ باطلاق المدافع على مدينة بيروت من الظهر الى بعد العشاء وبقي الحصار عليها نحو شهر وقلاع بيروت لم تقابله بالمثل فلما تحقق وعلم محمد على باشا ان لا مناص ولا حيلة الا بالاذعان لما اتفقت عليه الدول مع الدولة العلية اصدر اوامره الى ولده ابراهيم باشا يستدعيه والعساكر المصرية بالانجلاء عن البلاد الشامية والرجوع الى مصر فتوجه مع العساكر عن طريق العريش مع المشقة الشديدة تاركين البلاد التى اراحوها بانجلائهم عنها. وذلك في رمضان سنة (١٢٥٦) ومدة اقامتهم في تلك البلاد نحو تسع سنين. ثم انزل الامير بشير الكبير امير جبل لبنان الى صيدا وارسل بسفينة انكليزية الى مالطه سنة «١٢٥٦» ثم استرحم من الباب العالى بان يأتي الى الاستانة العليـة فاذن له وحضر الى الاستانة وبهـا توفي سنة «١٢٦٧» واستلم البلاد سلطانها ومالكها السلطان عبد المجيد خان رحمه الله تعالى وهدئت الامور وسكنت الفتن

وفي سنة (١٢٥٧) بعد توجه العساكر المصرية وذهاب الامير بشير حدثت الفتنة بين الدروز والمارونية في جبل لبنان ووقعت المحاربة وسفك الدماء بينهما بواسطة دسائس اهل الغايات

املاً بارجاع الامير بشير الى جبل لبنان فحضر الاسطول العثماني بقيادة ناظر البحرية خليل باشا دامـاد وانحل المشكل وسكنت الفتنة وصار تعيين قائمقام للدروز وقائمقام للنصارى وذلك سنة (١٢٥٨)٠

ثم مازال السلطان عبد المجيد خان ساكن الجنان المحبب لجميع الرعايا في كل مكان يسير على خطة والده في اصلاحات الامور الداخلية من التمدن والعمران والنظامات النافعة وتنظيم العساكر واستتباب الامن والراحة وصدور الفرمانات في ذلك الى جميع الولايات٠ لكن اشغلت الباب العالي عن تنفيذ هذه الاصلاحات حرب الروسيا مع الدولة العلية التى قامت بسبب اختلاف فرنسا والروسيا على حماية الاماكن المقدسة باورشليم وعرفت بحرب القرم٠ وكان ابتداؤها سنة (١٢٦٩) و بوقتها اتفقت فرانسا وانكلترا مع الدولة العلية على محاربة الروسيا حماية للدولة العلية ثم حصل الصلح على بنود معلومة سنة «١٢٧٢»٠ وفي السادس من ذى القعدة سنة «١٢٧٤» حدثت فتنة بجدة وسببها ان تاجراً من تجار البلد له مركب وكان فيه علم انكليزي فطلب من الوالي وقتئذ نامق باشا ان يجعل على المركب علما عثمانيا فاذن له فلما نصبوا العلم العثماني ذهب قنصل الانكليز الى المركب وازال العلم العثمانى باهانة فثار

المسلمون وقتلوا ذلك القنصل فحصل هيجان بالمدينة وآل الامر بعد ذلك الى ان جاء مركب حربي انكليزي والقى المدافع على جدة بلا تروٍ ولا انصاف ثم سكنت هذه الفتنة وتداركها نامق باشا والي الحجاز .

وفي اواخر سنة «١٢٧٦» وقعت الفتنة بين الدروز والنصارى في جبل لبنان بواسطة الدساس السياسية وكثر القتل والنهب من الطرفين وامتدت هذه الفتنة الى دمشق واوجبت تداخل الدول الاوروباوية خصوصاً فرانسا بدعوى حماية المارونية فارسلت نحو ستة الاف عسكري لمساعدة العساكر العثمانية المرسلة لاعادة السكينة والامن تحت قيادة ورياسة فواد باشا معتمد الدولة العلية لهذه المهمة وتشكل مجلس مركب من مندوبي الدول الاجنبية تحت رياسة فواد باشا وتسمى مجلس فوق العادة فسكنت الفتن واجتمع المجلس للمذاكرة في شأن جبل لبنان واستتباب الراحة فيه وبعد مداولات طويلة اتفقوا مع فواد باشا على ان يعطوا المسيحيين الذين حرقت دورهم مبلغ خمسة وسبعين مليون قرش بصفة تعويض وان يمنح اهالي الجبل حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العلية يكون حاكمها مسيحي كاثوليكي المذهب وان يكون فيه للباب العالي حامية ثلثمائة عسكري من نوع الخيالة

المسمى «دراغون» . ثم عين داود باشا الارمني اميراً للجبل لا يمكن عزله في خلال خمس سنوات الا باتفاق الدول وبذلك انتهت هذه المسئلة بحسن مساعي المرحوم فؤاد باشا ثم خرجت الجيوش الفرنساوية من بيروت وبعد عشرين يوما في«١٧» ذى الحجة سنة «١٢٧٧» توفي المرحوم المغفور له السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان الثانى عن اربعين سنة من عمره ودفن في قبر اعده في حياته بجوار جامع السلطان سليم ومدة سلطنته وخلافته اثنان وعشرون سنة فتأسف عليه جميع رعاياه فان له اليد الطولى في راحة الاهالي وتأمين البلاد والعباد رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

«٣٢» السلطان الغازي عبد العزيز خان ابن السلطان محمود خان الثاني

وُلد في «١٤» شعبان سنة (١٢٤٥) وجلس على تخت الخلافة الاسلامية في ١٨ ذي الحجة سنة «١٢٧٧» ثم توجه في موكب حافل الى ضريح ابي ايوب الانصاري فتقلد السيف السلطاني على ماجرت به العادة ومنه سار لزيارة السلطان المجاهد محمد الفاتح ثم زار قبر والده السلطان محمود خان الثاني رحمهم الله جميعاً وادام لهم هذه الشوكة والسلطنة العثمانية والبهجة الاسلامية

الى آخر الدوران

ثم في جمادى الاولى عين فؤاد باشا صدرا اعظم وكان وقتئذ في بيروت كل مسئلة فوق العادة فارسلت له باخرة سريعة فنزل من بيروت يودع جميع الاهالي الذين اصطفوا لوداعه فكان يودع الجميع بكل شفقة ورفق وداع الوالد لاولاده فلما وصل الاستانة العلية بذل الجهد في اصلاح المالية التي اقترضتها الدولة وبسبب القوائم التي هي عبارة عن اوراق صغيرة ملوَّنة بالوان مختلفة كل منها بقيمة معلومة من النقود · وفي شوال سنة (١٢٧٩) سافر من الاستانة العلية السلطان عبد العزيز خان لتفقد ممالكه المحروسة الى وادى النيل (مصر) وبمعيته فؤاد باشا · وفي صفر الخير سافر ايضاً السلطان عبد العزيز خان قاصدا مدينة باريس بناء على دعوة الامبراطور نابوليون وقد دعا الامبراطور اغلب ملوك الدنيا لاجله ثم عاد جلالة السلطان الى مقر خلافته عن طريق وارنه بعد ان تغيب عنها ستة اسابيع وفي سنة (١٢٨٥) وضعت مجلة الاحكام العدلية ليعمل بها في المحاكم النظامية بمعرفة لجنة من علماء ذاك العصر · وفي سنة (١٢٨٦) كان ابتداء فتح خليج السويس ليتصل البحر الاحمر بالبحر الابيض وكان تمامه سنة «١٢٩١» وكان يظن ان سطح مياه البحر الاحمر اعلا بنحو عشرة

امتار عن سطح مياه البحر الابيض ولما تحقق لدى علماء الهندسة ان سطحي البحرين مساويان لبعضهما تم فتحه باحتفال عظيم حضره امبراطور فرنسا وامبراطور النمسا وولي عهد المانيا وايطاليا وجمع غفير من جميع البلاد

وقد كان هارون الرشيد خامس خلفاء العباسية اراد ان يفتح هذا الخليج فمنعه وزيره يحيى بن خالد البرمكي لامور سياسية فقبل رأيه وترك ذلك

توفي السلطان الغازي عبد العزيز خان ابن السلطان محمود خان الثاني شهيداً في سنة (١٢٩٣) رحمه الله رحمة واسعة

«٣٣» السلطان مراد خان الخامس ابن السلطان عبد المجيد خان

ولادته في (٢٥) رجب سنة (١٢٥٦) . بويع له بالخلافة سنة «١٢٩٣» ثم لما علم وتيقن ان الاصلاح والسعي في هذه الحوادث مع وجود الاختلاف يحتاج الى معاناة ومشقة شديدة تنزل عن الخلافة وسكن في سرايته بكل اكرام واحترام

«٣٤» امير المؤمنين وحامي سنة وشريعة سيد المرسلين
مليك العصر وخليفة الوقت السلطان الغازي

عبد الحميد

خان الثاني

ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان ابن السلطان الغازى محمود خان الثاني ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان الاول ولد في (١٦) شعبان سنة (١٢٥٨) وجلس (ايده الله) على اريكة الملك وسرير الخلافة العثمانية الاسلامية في (١١) شعبان سنة (١٢٩٣) الموافق (١٩) اغستوس سنة (١٢٩٢) فاستلم زمام المملكة بساعد من حديد بعد ما كادت تنهكه المشاكل الداخلية والخارجية ونهض نهضة الليث من عرينه فلمّ الشعث ورأب الصدع ونظم الامور وضرب على ايدي العائثين وبدد شمل الفتانين المتمردين الذين ناء بهم عاتق الملك في ذلك الحين فما كان جزاؤهم الا القاءهم عنه الى اقصى مايستطاع وهكذا فعل ايده الله

ثم بعد ان اراح الملك من مشاكله وجّه نظره لوجهة الحياة الحقيقية وهي وجهة العلم والمعارف تلك الوجهة التى لا تقوم قائمة الا بها . وهي من اهم الاسباب في ترقي الامم السائدة في هذا العصر

فقتح المكاتب على اختلافها من ابتدائية ومتوسطة وعالية حتى اصبحت المدارس في عصره الحميدى لاتخلو منها القرى والدساكر فضلاً عن المدن والعواصم واصبحت الاطفال (ذكوراً واناثاً) يناهزون الكهول والشيوخ في العلم والعرفان بل ربما تجد المراهق او اليافع في هذا العصر الحميدى على جانب من العلم واللغات قلما كان يحلم به كهل او هرم في الاعصر الغابرة ولم تزل نرى اوامره العالية وارادانه السنية تترى في كل حين بتربية النشء الاسلامي تربية عثمانية اسلامية مانحاً الحرية في الدين لجميع الطوائف انما همه الوحيد ان تكون تربيتهم الدينية ممزوجة بالصبغة العثمانية خالصة من سائر الشوائب الغريبة شأن كل دولة تحافظ على مبادئ رعاياها وصيانتها من عيث الدخلاء

ولم تزل اوامره ايضاً متجددة بتعميم المكاتب في جميع انحاء المدن حتى قرأنا في احصاء اخير نشرته الجرائد في هذه الايام زبدته : ان عدد المدارس في الممالك المحروسة (٣٦٢٣٠) مدرسة وان عدد تلامذتها (٣٣١١٤٠) تلميذا

اما الجهة العسكرية فهو (ايده الله) لا يفتر طرفة عين عن الدأب في ترقيتها حتى اصبحت تضاهي اعظم قوة عسكرية وهذه القوة ممزوجة بالعلم والعرفان ولا سيما بالعلم الحربي العسكري شأن

الجنود المنظمة في هذا العصر فترى المكاتب العسكرية شاملة انحاء المملكة من ابتدائية ومتوسطة وعالية كالمكاتب الملكية . ومن اكبر حسناته الآلايات الحميدية التي جعلها في مقابلة عساكر (القزاق) عند الروس

اما خيراته الدينية ومناقبه الاسلامية من بناء مساجد وترميم قبور واضرحة «منها تجديد مقصورة سيدنا يحيى الحصور في بيروت» وتشييد ملاجيء خيرية ومستشفيات عمومية فهوامر اشهر من ان يذكر وهو لا يدخل تحت حصر حتى لا يكاد يمر يوم الا وترى له فيه اثراً يذكر.

ومن اكبر اعماله التي يسطرها له التاريخ بكل افتخار ولا يمحوها كرّ الدهور والاعصار وهي الحسنة الفريدة في سلسلة حسنات بني عثمان «السكة الحميدية الحجازية» وما ادراك ما السكة الحجازية امر كبير ومشروع خطير . حمله على ذلك (حفظه الله تعالى وايد ملكه) الحنان الفطري للأمة الاسلامية ليخفف عنها مشقات السير على ظهر النوق ساقه اليه دينه وتقواه كان ابتداؤه فيها في يوم عيده الفضي اي يوم مرور ربع قرن على جلوسه المأنوس وذلك سنة (١٣١٧) ولم تزل الاعمال فيها قائمة على ساق وقدم نسأل الله ان يوفقه لاكمالها بمنه ورضاه

هذا قل من كل او بعض من اعماله الخطيرة التي تسطرها له الامة الاسلامية على صفحات القلوب وهو خليفتها في هــذا العصر نسأل الله ان يؤيد عرش هذه الخلافة الاسلامية الى ابد الدهر . آمين انتهى

تقريظ

لمحرر جريدة الاقبال الغراء

صُغتَ « للاسلام » يا « مفتي » الورَى

دُرَر « التاريخ » في عِقدٍ منضدْ

ليس بدعاً ان غلا « جوهره »

فهو تاريخ « له التاريخ يشهدْ »

٣١٠ ١٠١٠

١٣٢٠

محيي الدين الخياط

يقول مصحح طبع هذا الكتاب

الحمد لله وارث الامم · وباعث الرمم · ومفيض الآلاء والنعم · الذي جعل الخلق شعوباً وقبائل · وجعل عبرةً للاواخر سيَر الاوائل · والصلاة والسلام على الرسول الهاشمي · مؤسس الشرع الاسلامي · وعلى آله وصحبه الذين طوقوا الكرة الارضية بالفتوحات · وبثوا انوار المدنية الاسلامية في آفاق الكائنات

وبعد فان النفوس بحكم الطبع مولعة بآثار الامم الغابرة منقبة عن اعمالها واقوالها واخبارها وشؤونها وما درج عليه جمهورها · وان كل امة يهمها الاطلاع على تاريخ دينها وابناء ملتها وما طرأ عليها من التقلبات والاحوال وهو الامر الذى دعا حضرة (سيدي الوالد حفظه الله) ان يجمع في هذه الاوراق زبدة تاريخ الامة الاسلامية من زمن الخلفاء حتى العصر الحاضر لانه (حفظه الله) جمع السيرة النبوية في كتاب مستقل سماه (ذخيرة اللبيب في سيرة الحبيب) وطبع على حدة

وقد اقتصر في هذا التاريخ كما اقتصر في الذخيرة قبله على اهم الحوادث ولباب الاخبار نابذاً التطويل · راغباً عن كثرة الاقاويل ليسهل تدريسه ومطالعته

وقد قابلته على الاصل ولم آل جهداً في التصحيح ومع ذلك

فارجو ممن نظر فيه ان يصلح ما يقع عليه نظره من الغلط . لان الانسان لا يخلو من السهو والشطط

هذا وقد كان تمام طبعه في ايام صاحب الخلافة العظمى والامامة الكبرى حضرة سيدنا ومولانا امير المؤمنين . وحامي حمى الدين المبين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني ثبّت الله عرش خلافته الى آخر الدوران ولا زالت شمس العلم في ايامه الحميدة منيرة الاشراق ماتوالى الملوان وكرّ الجديدان آمين اللهم آمين

الفقير اليه تعالى

محمد حسن فاخوري



صحيفة	سطر	خطا	صواب
١١	٧	تود	توزد
٥٠	١٦	الفرقد	الفرقد
٥٢	١	عظيها	عظيمها
٥٨	١٦	أحد	أحداً
٦٤	١٢	نبعت	نبعث
٧٠	٠٤	فقال	فقالا
٧٣	٠٤	عير	غير
٧٥	٠٦	بما	بمن
٨٤	١٤	يقلبها	يقبلها
١٠٥	٣	جده	جديه
١٠٧	٢	ست وعشرين	ست وعشرين ومائة
١٢٥	٧	برعد	يرعد
١٣٥	٧	لواثق	الواثق
١٣٥	٨	فاذا	واذا
١٤١	٣	ابوعبدالله بن محمد	ابو عبد الله محمد
١٨٧	١٧	بعلاصلاح الدين	بعده بصلاح الدين
٢٨١	٣	كل	لحل

ترحلت يا ذا المجدِ عن هذه الدارِ
وعندكَ علمٌ أنها ذاتُ أكدارِ

أبقيتَ فينا ما فيه لكَ الحمدُ والثنا
من الناسِ والأجرُ العظيم من الباري

لقد كنتَ ذا جاهٍ وحلمٍ وعفّةٍ
وعقلٍ رزينٍ لا يُقاسُ بمقدارِ

بيروتُ بالإفتاءِ قلّدتَ جيدَها
من العزِّ والإقبالِ أحسنَ تقصارِ

ومثلُكَ من يبكي عليه زمانُه
لأنكَ فيه سيرةُ سيرِ أخيارِ

خلّفتَ فينا بعدَ أنسكَ وحشةً
بها لوعةُ الأحشاءِ تُضرمُ كالنارِ

وما كلُّ مفقودٍ عواقبُ رزئهِ
تجرُّ جيوشَ الحزنِ للأهلِ والجارِ

وأنتَ الذي أحرزتَ كلَّ فضيلةٍ
ونزّهتَ في محياكَ عن وصمةِ العارِ

وألبستَ من تقواكَ ثوبَ كرامةٍ
عليه من الإيمانِ بهجةُ أنوارِ

وذلك عبد الباسط السيد الذي

بدت منك في الدنيا محامد آثار

وكان بك المعروف طبعا ولم ترده

إساءة إنسان بشر وإضرار

عليك سلام الله حيا وميتا

ولا زلت مشمولا برحمة غفار

حملت على نعش الى مرقد غدا

بذاتك مأنوسا كروضة ازهار

وشيعك القوم الكرام ولا ترى

بهم غير محزون عليك ومحتار

قصدت كريما لا يخيب قاصدا

وصرت له ضيفا بجنة ابرار

هنالك لا موت ولا مرض ولا

مخافة فقر وتحمل اوزار

فهذا يسلي النفس عن حسرتها

عليك ودعوها لراحة افكار

